الدكتور بيرم كمال

تطور مدينة المسيلة عبر العصور

بسم الله الرحمن الرحيم

طبعة أولى سنة 2015

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والنقل والترجمة
و التصوير المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا
بإذن خطي من المؤلف والناشر

دار الكوثر للنشر والتوزيع

حي سونلغاز فيلا رقم 5 جسر قسنطينة-الجزائر
الجوال:0561.34.07.96

البريد الإلكتروني: darelkaouthar@ymail.com

الإيداع القانوني: 2015-2193

ردمك: 978-9931-586-00-5

اهداء

الى روح والدي رحمه الله، الى والدتي حفظهما الله،

الى زوجتي وابنائي اهدي هذا العمل.

مقدمة

هذا الكتاب الذي نقدمه للقراء يفتح نافذة يطل من خلالها القارئ على تاريخ وحضارة مدينة ومنطقة المسيلة منذ القديم الى غاية الثورة التحريرية وهو عبارة عن مساهمة تاريخية وعملا يقع في سلسلة من عدة أجزاء حول تاريخ منطقة المسيلة عامة، وهو متكون من عدة أجزاء.

حاولنا التقديم له بفصل تمهيدي حول جغرافية الحضنة والمسيلة لأنها مثلت مجال الأحداث التاريخية، وأردنا في جزئها الأول هذا إعطاء لمحة بسيطة ومقتضبة حول ماضي المسيلة منذ القديم إلى العهد العثماني، نراها ضرورية وأساسية لأبناء المنطقة خاصة، والذين شغفهم كبير للاطلاع على ماضي هذه المدينة وحضارتها. ويستكمل الجزء الثاني بفترة الإحتلال الفرنسي التي تبدأ من وصول الفرنسيين سنة 1840 في إطار عملية توسع الإحتلال الفرنسي وما تبعه من مقاومات شعبية وانتفاضات وأهم محطات الإدارة الإستعمارية وأدواتها وتطور القيادات الأهلية، ونلمس من خلال هذا الجزء كيف استطاعت فرنسا أن تخضع المنطقة وتدير شؤونها الإدارية والعسكرية، أما الجزء الثالث فقد تناولنا فيه الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية التي عاشتها المنطقة عامة في ظل الإدارة الإستعمارية وما صاحبها من تحولات جوهرية في أنماط حياة المجتمع واقتصاده التقليدي خاصة خلال الفترة الممتدة بين 1830-1962 وحاولنا انطلاقا من المدونات التاريخية العربية والأجنبية التي رصدت تاريخ السكان وتقسيماتهم رغم

قلتها وكيف نفذت سلطة الإحتلال الفرنسي فيما بعد في المجتمع التقليدي بالحضنة عامة والمسيلة خاصة والتي استوطن أراضيها الخصبة المعمرون الفرنسيون والأجانب، ورغم شح الكتابات حول السكان من حيث الأصول والتطور التاريخي لهم فقد وضفنا الذاكرة الجماعية المحلية في إعطاء ملمح إتنوغرافي لمدينة ومنطقة المسيلة قبل وخلال الإحتلال الفرنسي .ثم تناولنا في الجزء الأخير الوضع السياسي وتطور النضال السياسي للحركة الوطنية انطلاقا من الواقع الثقافي الذي ساد فترة السيطرة الإستعمارية من خلال إعطاء صورة للمشهد الثقافي الذي عاشته منطقة المسيلة خلال الإحتلال الفرنسي .وغايتنا الأولى من وراء هذا العمل المساهمة بالقدر المستطاع لتأسيس تاريخ مدينة المسيلة بصورة شاملة ومكتملة زمنيا، وتحقيق غاية القراء والباحثين حول تاريخ مدينة المسيلة ومنطقتها التي بقيت بعيدة عن كل اهتمام في الكتابات الوطنية خاصة العربية منها رغم ظهور بعض المحاولات المتسرعة البعيدة عن العمل الأكاديمي العلمي الجاد.

علما ان البحث في تاريخ الجزائر المحلي لا يزال يفتح آفاقا واسعة أمام الباحثين الجزائريين، بالنظر إلى أن مواضيع عديدة لا تزال بكرا ولم تخضع بعد إلى الدراسة، السطحية منها أو المعمقة، ولا يجب أن نفهم من هذا أن خوض غمار البحث في التاريخ المحلى لمنطقة المسيلة، يعد سبيلا سهلا أو مغريا، إنما هو مسلكا وعرا وصعبا من حيث ندرة المادة الخبرية وانعدام الكتابات لبعض فتراتها التاريخية وهذا ما يفرض على أي باحث تحاشي السطحية والانزلاق وراء توجه الكتابات الأجنبية التي تعد رغم ذلك المصدر المرجعي في ظل غياب الكتابات والدراسات الوطنية الأساسية اللمتعلقة بالمسيلة.

ولهذا فان إعداد دراسة تاريخية وافية وشاملة لإقليم المسيلة عبر التاريخ في جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لا تزال إلى يومنا هذا مسالة عويصة، تتطلب جهودا كبيرة قد ينوء على حملها باحثون فرادى، و يمكن أن نفسر هذا بعوامل منها :

أن مسألة الكتابة الخاصة بالتاريخ المحلي لمنطقة المسيلة لا تزال بكرا وقد يعود ذلك إلى طغيان الأحداث الوطنية الهامة ذات التوجه السياسي عند المؤرخين على باقي المواضيع المحلية.أن نقص المادة الخبرية والكتابات القاعدية لإقليم المسيلة، دفع أغلب الباحثين وحتى الأساتذة إلى توجيه أبحاثهم إلى مواضيع أخرى والبحث في المواضيع التي تستهوي الإهتمامات الوطنية والإقليمية ذات الرصيد المقبول من الكتابات والدراسات بالأقلام العربية.

ولعل حساسية بعض الأحداث التاريخية المحلية والقضايا الشخصية المرتبطة بها خلال فترة الإحتلال الفرنسي والتي تحدث في كل مجتمع وفي مختلف الأزمنة والحضارات، قد تدفع أغلب الباحثين إلى تجنب الغوص في مسألة الكشف عن حقائقها وملابساتها التاريخية، والتي قد تؤثر على علمية ودقة البحث الأكاديمي أحيانا من جهة وانعدام المعلومة حول مصادر بحثها.

والحديث هنا عن مسألة نقص التجربة في الكتابات المحلية للجزائر لا يرمي إلى إضفاء صفة السوداوية على البحث في التاريخ المحلي، إنما يهدف إلى تفسير الحصيلة المتواضعة لنتائج البحث في مثل هذه التجربة منذ الإستقلال، مقارنة بالكتابات الأخرى وحتى الأجنبية التي خصت إقليم المسيلة.

يمثل موضوع الكتاب الذي اخترنا لـه عنـوان المسـيلة عـبر العصـور جانب كبير من الأهمية، من حيث انه لم تحض المسيلة بعد إلى يومنا هذا باي دراسة باللغة الوطنية بشكل منفرد الا ما تعلـق بارتباطهـا باحـداث تاريخيـة خلال الفترةالممتدة بين الاحتلال الروماني الى العهد العثماني، كما أن منطقة المسـيلة ورغـم الأحـداث التاريخيـة الـتي شـهدتها في الفـترة الوسـيطة، والكتابات الأجنبية الـتي خصصـت لهـا، إلا أننـا لاحضـنا انقطاعـا ملفتـا للاهتمام لهذه الكتابات في الفترة الحديثة والمعاصرة، التي خصصنا لها الحيـز الاكبر في هذه الدراسة .

ومن جملة العوامل التي دفعتنا لهذا العمل الذي نتمنى ان ينـال رضـى القراء اذكر ما يلي :محاولـة المسـاهمة الشخصـية في تأسـيس قاعـدة تاريخيـة للأبحـاث المتخصصـة في هـذا الإقلـيم الجغـرافي مـن الجزائـر في المسـتقبل واستغلال ما تحصلنا عليه من وثائق الارشـيفات المحليـة والاجنبيـة وعمليـة بحث دامت اكثر من سبع سنوات .

- حماية الذاكرة الجماعية باستغلالها في تصحيح المعـارف والمـدونات الاستعمارية التي لها علاقة بالأرض والمجتمع بالمسيلة.

تجـاوز بعـض الكتابـات الـتي بـدات تطفـوا في السـاحة الثقافيـة دون مرجعية تاريخية علمية والتي يقع في اخطائها بعض القراء عن جهل، وهدفنا هو وضع سكة الكتابة التاريخية لمنطقـة المسـيلة في اطارهـا الجـاد والصـحيح البعيد عن الاهواء الشخصية او الاشهارية.

لا بد من الإشارة أنني حاولت استنطاق الذاكرة الجماعية لبعض الأفراد وبعض مشايخ وأئمة المساجد والزوايا، وهذا رافد من الروافد الأساسية في رأينا لموازنة المصادر الأرشيفية المتعلقة بمنطقة المسيلة.

هذا مع العلم أن الكثير من الباحثين يغفلون هذه المصادر الأولية والأساسية في بناء وتأسيس دراسة تاريخية محلية جادة.وكان اعتمادنا في كتابته على الوثائق الأرشيفية المحفوظة بأرشيف ولاية قسنطينة المتعلقة ببلدية المسيلة المختلطة ونواحيها والمتمثلة في تقارير ودراسات للمتصرفين الإداريين الذين تعاقبوا على بلديات المسيلة مثل بلدية بوسعادة والمعاضيد والمسيلةو بريكة، مع مونوغرافيات لسنوات مختلفة.

لم تكن عملية البحث في مثل هذه المواضيع بالأمر السهل، بحيث واجهتني جملة من المصاعب المتعددة الأوجه، المنهجية منها والعلمية، والتقنية، كان في بدايتها انعدام الكتابات المتعلقة بالموضوع باللغة العربية، وتفرق مادة الموضوع بين مراكز الأرشيف المحلية والأجنبية، وكانت مسالة البحث صعبة في الأرشيفات لقد غطى هذه المصاعب جانب الرغبة الذاتية في موضوع اعتبره جزء من ذاكرة منطقتي ووطني، و اعتقد أنني بقدر ما حاولت أن أضع لبنة لتاريخ المسيلة مع الأمانة العلمية والصدق، إلا أن هذه المحاولة تفتح مزيد من آفاق البحث لجوانب نراها ما تزال مجهولة تنتظر باحثين لتغطيتها، واعتقادي بان هذا التقديم التاريخي لاقليم المسيلة لم يفي المنطقة حقها الكامل من البحث والدراسة، الا انه على الأقل يحقق الحد الأدنى مما يجب ان تحض به منطقة كالمسيلة من الكتابة التاريخية، و التي تجد بحول الله أمامها شغف العديد من القراء من أبناء المنطقة وخارجها وتلك سعادتنا وهمنا وبالله التوفيق.

جغرافية منطقة المسيلة

تقع مدينة المسيلة ضمن اقليم الحضنة، ذلك المنخفض الطبيعي المميز في جغرافية الجزائر عموما بتكوينه الجيولوجي والجيومورفولوجي، إقليم المسيلة جغرافيا ومناخيا ينتمي الى السهول العليا المحصورة بين السلسلة الجبلية التلية المرتبطة في الشمال بالبحر، وفي الجنوب بالسلسلة الصحراوية أو ما يسمى بإقليم النجود الذي يشمل كامل المنطقة الممتدة بين الأطلس التلي والصحراوي، ويتجه عموما من الغرب إلى الشرق.وتعود معظم ترسباته إلى الزمنين الجيولوجيين الثاني والثالث، ويزيد ارتفاعه على مستوى سطح البحر إلى 1200 متر، وتشكل منطقة المسيلة رأس هذا المثلث الجغرافي الذي تعد منطقة الحدود المغربية الجزائرية قاعدته [1].

لقد اختلف الباحثون في الفصل بين كون إقليم النجود الذي تنتمي إليه منطقة االمسيلة عامة سهولا أم هضابا، بسبب أن البحوث بشأنه تمت على أساس التكوينات الرسوبية الحديثة، التي جلبتها السيول المنحدرة من الجبال المجاورة لهان حيث كانت تغطي هذه السهول المرتفعة وحولتها إلى هضاب عليا.لذا تكتسي سهول المسيلة أهمية بالغة ليس فقط لأنها منطقة اتصال طبيعي إستراتيجية بين سكان التل وعالم البدو الرحل، بل أيضا لأنها

1- حليمي عبد الفادر: جغرافية المغرب العربي، الطبعة الاولى، منشورات دار المعارف، وهران، 1968، ص 12.1.

من أهم المناطق الحضارية التي ترك فيها الإنسان المغربي بصماته منذ عصور ما قبل التاريخ.

يتمركز اقليم المسيلة حول منخفض طبيعي يقل عن 400م عن سطح الارض كما يعد شط المسيلة او شط المسيلة واحيانا عرف بشط السعيدة من أهم الشطوط والأحواض أو السباخ التي تتخلل الإقليم الشمالي من الجزائر، وتتركز بالأخص في منطقة الالتقاء بين الإقليم الصحراوي الجنوبي والتلي الشمالي، ويتميز شط المسيلة بالاتساع الكبير مقارنة بغيره وبالملوحة الشديدة لمياهه.و ينتمي إقليم المسيلة مناخيا إلى إقليم السهوب شبه المداري الجاف، فهو أكثر تأثر بالمؤثرات الجوية البحرية في الشمال والصحراوية بالجنوب، وتتناوب المؤثرات الصحراوية المتطرفة في الجفاف من جهة والبحرية المعتدلة من جهة ثانية [1]. وقد أدت هذه العوامل الطبيعية والمناخية إلى سيادة المناخ المتذبذب الشبه الجاف والذي تطبعه قلة التساقط من جهة، وارتفاع تأثير التعرية لسطح الأرض، وقد ساهم الجفاف كثيرا في تحول كثير من أراضيها الزراعية إلى أراضي رملية قاحلة .

و الجدول التالي يبين معدلات سقوط المطر بمنطقة المسيلة بين سنوات 1930 إلى 1954- [2]

[1]-Despois j :l'Afrique blanche t, 1, l'Afrique du nord, PUF, Paris, 1964, p15;Raynal R:DespoisJ:géographie de l'Afrique du nord-ouest, Payot, Paris, 1967, p19.

[2]-ACMM(archive de la commune mixte de M'sila):B (boite)47, note sur la situation économique de la population musulmane de la commune mixte de M'sila(1931-1947.).

	1930	1932	1934	1936	1938	1939	1940
الكمية/مم	125	225	275	225	175	300	200

1941	1942	1943	1944	1945	1946	1947	1950	1954
100	125	200	150	75	150	300	225	275

وارقام الجدول لها دلالتها في تأثير عامل المناخ على المظهر المورفولوجي لاقليم المسيلة ككل.

واسم الحضنة مشتق من الاحتضان، وله دلالة جغرافية أكثر من غيرها، وقد غاب هذا الاسم في الكتابات التاريخية الوسيطة، و يرجعه الباحثون إلى الفترة المتأخرة من الحكم العثماني، وقد أطلقه أهالي المنطقة على السهل الواسع الذي يمتد نحو السبخة المالحة للمسيلة أو ما يطلق عليها أيضا بشط السعيدة نسبة إلى دوار السعيدة و.تمتد هذه السبخة من الشمال إلى الجنوب بين سلسلتين جبليتين تكونتا مع جبال البيريني في أوربا [1] هما الأطلس التلي والصحراوي اللذان يحتضنان السهل، وموقع المسيلة الذي تبدو فيه محاطة بحزام جبلي في شكل قوس من الاوراس وجبال بلزمة من الشرق إلى جبال ونوغة غربا عبر جبال بوطالب والمعاضيد شمالا إلى جبال بوكحيل جنوبا والتي تتصل بجبال بوسعادة وجبال سالات، تشكل حدودا جغرافية بين المناطق المتوسطية التلية، والسهول السهبية والصحراوية للحضنة

[1]- Savournin, (J):L'hydrologie du Hodna, Bulletin du service de la carte Géologique de l'Algérie, imp. Adolphe Jourdan, Alger, 1908, p35.

والزيبان، إن امتداد المياه من منابعها من جبال التل نحو المسيلة جعل الصلة والترابط بين سكان الجبال والسهول مستمرا، لذلك استمرت المسيلة منطقة عبور بين الشمال والجنوب والشرق والغرب جامعة ما عرف بإقليم الجزائر الشرقية [1].

وتبدو منطقة المسيلة كمنخفض طبيعي ذو سمات وخصوصيات مميزة، بحيث. يرتفع علو جبالها إلى 1400م وتعلو أحيانا إلى 1800م تربط بين الأطلس التلي والصحراوي بجبال ببيان الحديد [2]، من جهة الغرب إلى جبال الاوراس من الشرق مرورا بجبال المسيلة وبلزمه والمعاضيد بوطالب المحاذية للسهول القسنطينية التي تعلو بين 800-1100م التي تتصل بالمسيلة بفتحات ضيقة، ومن الجنوب جبال بوسعادة وجبال أولاد نايل التي ترتفع إلى حدود 1600م، كما تنفتح في الجنوب سلسلة الزاب الصغيرة لتترك ممرات واسعة نحو الصحراء لتربط اقليم المسيلة بواحات الزيبان [3].وبين هذه السلاسل الجبلية يقع منخفض شط المسيلة بمناطقه السهبية.

إن المظهر المورفولوجي لإقليم المسيلة يعطي، الانطباع بوجود خصائص جغرافية نادرا ما يشاركه فيها إقليم آخر بشمال إفريقيا لا من حيث مظاهر السطح والمناخ أو النشاط الاجتماعي، فحوضالحضنة بموقعه المنخفض لا يجد متنفسا له سوى من الجهة الغربية حيث السهول العليا التي

[1]- Despois, (J):La Bordure Saharienne de l'Algérie orientale, in RA, 1942, p196.

[2]- Shaw, (D);Voyage de Mr Shaw MD dans plusieurs Provinces de la Barbarie d'Alger et de Tunis, T1, imp, A de la Hate jean Neaul me, p128.

[3]- Despois, (J) :Le Hodna, Presse Universitaire de France, 1953, p7.

تسمح بمرور المؤثرات الغربية الرطبة وبوجود سبل الاتصال البشري التي اتخذت من الوديان مسالك كما هو شأن وادي بريكة، ووادي القصب ووادي اللحم التي تكون معابر رئيسية بين المسيلة والتل [1].

ساهم تقطع مرتفعات الزيبان في ظهور معابر سهلة بين إقليمي المسيلة والزيبان حيث جعلت الإقليمين مرتبطين على مر العصور، و تركت ممرات أولاد نايل مع جبال الزاب طرقا أساسية بين شمال الصحراء وحوض الحضنة وربطت الصلة بينهما [2].وهذا ما جعل المسيلة منذ عهد الرومان منطقة حدودية محاذية لخط الليمس الروماني، فقد كانت منطقة زراعية ورعوية لنوميديا وموريطانيا الشرقية [3].إن منطقة المسيلة بتعدد حدودها واتصالاتها الطبيعية لا تمثل وحدة سطحية كاملة بقدر ما تمثل تنوع بيئي مع خصوصيتها التي تأتي من بنيتها الجيولوجية الخاصة بها ومن مناخها الذي جعل منها منخفضا طبيعيا يخضع لعوامل التعرية من جهة وعوامل الردم من جهة ثانية، وتأثير المناخ الجاف على النباتات، هو الذي جعل من الإنسان الحضني محل تنقل دائم نحو المياه والكلأ في ظروف طبيعية سهلة ودون حواجز طبيعية [4].

[1]- Mac carty, Oscar:Géographie physique économique et politique de l'Algérie, 1913, pp72l..

[2]- Despois, (J) et Raynal, (P):Géographie de l'Afrique du Nord; Paris, 1964, p188.

[3]- Gautier, (E.F): Le Passé de L'Afrique du nord, Paris, 1937, p, 190.

[4]- Despois, (J):Le Hodna, p56.

الجغرافيون ومنهم الفرنسيون كالجغرافي جان ديبواز despois قسموا إقليم الحضنة إلى أربعة أقسام طبيعية مختلفة [1].

تمتد منطقة الحضنة على مساحة تقدر ب 8600كم2 تتخللها المظاهر الطبيعية الكبرى التالية/

1- سلاسل جبال الحضنة 2- االقليم لسهول -3 شط الحضنة 4-منطقة الرمل .

1)-**سلسلة جبال الحضنة** : تعتبر جبال الحضنة حلقة الربط بين السلاسل الأطلسية التلية والصحراوية باتصالها بجبال الاوراس الجنوبية. وجبال الحضنة التي تمثل الحدود الشمالية لمنطقة المسيلة، تمتد على شكل سلسلة من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ممثلة في جبال ونوغة غربا وجبال المعاضيد وبوطالب ويلزمه شمالا إلى جبال الاوراس شرقا والتي تعلو بين 1400م الى 2000م عن م [2].حيث تصل بجبال المعاضيد 1902م بجبل تاشريرت وتعتبر هذه السلاسل الجبلية مصدر أودية المسيلة وشطها كما تعتبر جبال بوسعادة وسالات وجبال أولاد نايل الحدود الجنوبية للحضنة. و تربط بين هذه الجبال وجبال الاوراس سلسلة جبال المحارقة.

[1]- Nacib, (y):Culture Oasienne, Boussaâda, essaie, d'histoire sociale, E.N.A.L, Alger, 1986, p35.

[2]- Marcail hou, (G) Le Département de Sétif et ses environs, imp. Braconnier, Alger, 1960, p23.

2-**اقليم السهول:** اعتبر الجغرافي الفرنسي جان ديبوا Jeans Despois [1] الذي خص المسيلة بدراسة هامة ووافية حوض المسيلة كهضاب مرتفعة نظرا لتنوع تضاريسها واتساعها بحيث ميز بين أراضي الجر التي تقع شمال شط الحضنة وترتفع بين 500 الى 700 م[2] وتتخللها الأودية المنحدرة من مرتفعات الشمال مثل وادي القصب ووادي سلمان ووادي لقمان، وبين أراضي الرمل الجنوبية.الواقعة جنوبه

ويمتد إقليم السهول بين الأطراف المترامية من جنوب السلال الشمالية كجبال المعاضيد وبوطالب وونوغة إلى شمال شط الحضنة والتي تزيد مساحتها عن 8500كم2 تأخذ في الشمال محور سهول سيدي

[1]- قدم الجغرافي الفرنسي ديبواdespois مساهمات عديدة و مؤلفات حول جغرافية و سكان المسيلة ومواضيع متنوعة من خلال عمل ميداني قام به بداية الحرب العالمية الثانية ثم واصله بعد نهايتها وجاب خلال بحثه سهول وجبال المسيلة رفقة قايد المسيلة بوضياف محمد و من بين الدراسات التي قدمها والتي اهتمت بالمسيلة نذكر: *La* bordure saharienne de l'Algérie orientale. Rev. afr. , 1942 pp. 196-219.

-L'Afrique Blanche. 1. L'Afrique du Nord. Paris ، P.U.F., 1949. - 3e éd., 1964. - in 8°, 622 p., 39 fig., VIII pl.
Le Hodna (Algérie). Paris, P. U.F., 1953. - 410 p., 33 fig., 20 pl., 3 cartes h.t. (Publ. de la Faculté des Lettres d'Alger).
-Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest (en collaboration avec R. Raynal). Paris, Payot, 1967. - in 8°, 570 p., 43 fig. Le Djebel Ousselat, les Ousseltya et les Kooub. Cahiers de Tunisie, 1959, pp. 407-427
.- La repartition de la population en Algérie, Ann. E.S.C., 1960, pp. 214-226.
- Développement de l'utilisation des terres de l'Afrique septentrionale. « Histoire de l'utilisation des terres des régions arides », Paris, U.N.E.S.C.O., 1961, pp. 245-262. Le Sahara et l'écologie humaine. Ann. de Géogr., 1961, pp. 577-584..

[2] -A, JOLY:Le plateau Steppien d'Algerie, Annales de geographie, Anneé 1909, volu;e 18 nu;ero 98mpp 127-172.

عيسى، سهول البحيرة، سهول المسيلة إلى نقاوس شرقا التي تعتبر مدخل المسيلة الشرقية وهي منفتحة في الشرق على السهول القسنطينة المرتفعة، ومن الغرب على السهول الوسطى التلية للجزائر(سهول سيدي عيسى والسلامات. وهي محاطة بمدن الحضنة الرئيسية: مدوكال في الجنوب الشرقي، نقاوس في الشمال الشرقي، المسيلة في الشمال سيدي عيسى في الشمال الغربي بوسعادة في الجنوب [1].و يصعب احيانا تحديد انتماء الاقاليم الجنوبية للشط.

-3 - **منطقة الشط** [2] : يمثل شط الحضنة اهم المنخفضات الواقعة بشمال المغرب العربي من حيث اتساع مساحته وانخفاضه ويسمى بشط السعيدة نسبة إلى منطقة السعيدة القريبة منه وشط المسيلة وأطلق عليه الرومان قديما اسم Salinae Tubonense نظرا لقربة من المدينة الرومانية القديمة طبنة Thubunae [3].وهو عبارة عن سطح مائي ممتد في مستوى واحد على الأفق وكأنه قطعة زجاجية من دوار سيدي حملة في الجنوب إلى قرية بانيو [4] في الشمال، وهو ذات طبقة ملحية خفيفة عديمة النباتات تمون بمياه وادي

[1]-Mohamed Meouak:Lehodna occidental entre régions mediterraneennes et plaines désertiques;organisation des terroirs, communautés rurales et production agricoles au moyen age, in revue de la méditerranée, 2010, pp2-3.

[2]-Dictionnaire des communes de l'Algérie, villes, villages, hameaux, douars, postes militaires, bordjs, oasis, caravansérails, mines, carrières, sources thermales et minérales, comprenant en outre les villes, villages, oasis du Touat, du Gourara, du Tidikelt et de la vallée de l'Oued-Saoura -P. Fontana (Alger)-1903, pp57-99.

[3]– Ferraud, (CH):Histoire des villes de la province de Constantine, 'Sétif BBA, M'sila, Boussaâda, in Recueil des Notice de la société archéologique du province de Constantine, 1872-, p334.

[4]– Vayssette, (E):De M'sila a Boussaâda, in R.A, 1861, p98.

المسيلة أو القصب ووادي الشلال، ووادي بوسعادة [1] ووادي سلمان ووادي بريكة ووادي اللحم .و يبلغ عدد الاودية والمجاري الهامة التي تصب في الشط حوالي 22 واديكلها فصلية الجريان.

التكوين الجيولوجي لمنطقة المسيلة جعل الشط يمتد على طول 220كم وعرض 90كم ويقدر حوضه ب26000كم2 [2] ولا يزيد سطح الماء به عن مساحة 80000 هكتار ولا تتعدى كمية الأمطار التي تسقط شمال الشط عن 400مم وجنوبه عن 200مم كما لا يزيد معدل الحرارة القصوى عن 37 ° ولا تقل الدنيا عن 0° شتاء. [3] وموقع الشط البيوجغرافي واتساع مساحته داخل الحضنة يعد المنفذ الأساسي لتدفق مياه الأودية العديدة ويساهم بذلك في توازن الدورة الهيدرولوجية لمنطقة الحضنة وفق خاصية مناخ الموقع الفلكي والجغرافي لها .

4 **اقليم الرمل** : تحيط بشط الحضنة ناحية الجنوب مساحة واسعة من الاراضي التي يطلق عليها اهلها بالرمل وهي عبارة عن منطقة رملية تمتد بين الحدود الجنوبية لشط الحضنة والحدود الشمالية لسهل بوسعادة، ويبدأ من محور الوطاية إلى جبال بوزكزة والمحارقة في الشرق، إلى واحة بوسعادة في الغرب بمحاذات صحراء أولاد سيدي إبراهيم وأولاد سيدي هجرس في الغرب [4].و ياخذ في الاختفاء كلما كان الاتجاه نحو الغرب والشمال وقد ظل

[1]– Despois, (J) le Hodna, p7.

[2]-Fiche de Dénombrement Hivernales des oiseaux d'eau: Chot el Hodna, 1999/2000, conservation des forets de la wilaya de M'sila.

[3] Ibid, p108

[4]– Ibid, :p, 110.

هذا الاقليم موطن تنقل البدو الرحل منه الى اقاليم التل الشمالية، خاصة من قبائل اولاد سيدي حملة والسوامع.

وقد كونت هذه الأقسام الأربعة للحضنة تكاملا فيما بينها وبين الإنسان الحضني وبين الجوار الجغرافي من جهة ثانية مما جعلها تحضى باهتمام الدويلات المتعاقبة على البلاد والتي تركت بصماتها في ما بقي من منشأت عمرانية واقتصادية [1].وتظهر الحضنة من حيث الإطار الجغرافي منطقة جبلية وسهلية زراعية بفضل المياه الجارية في الأودية المختلفة التي تصب في الشط، ومن حيث الإطار البشري فهي منطقة بشرية ذات خصوصيات منفردة تجعل تسمية الحضنية تطلق على عروش المنطقة التي تضم أولاد دراج، أولاد ماضي، أولاد سحنون، لذلك لا تنطبق هذه التسمية على سكان بعض المناطق المحاذية لها التي هي اقرب إلى التل من المسيلة مثل سيدي عيسى وسكان شمال جبال بوقرين، لكن منطقة المسيلة وسكانها أكثر اتصالا بالشاوية في الشرق عبر فتحات سوبلة وجبال بوطالب [2].الى جبال المحارقة التي تربط جبال الاوراس بجبال الأطلس الصحراوي في الجنوب .

ومن حيث المميزات المناخية فالمسيلة تقع ضمن نطاق المناخ المتوسطي، من حيث سقوط الأمطار الشتوية القليلة وشدة البرودة والصيف الحار الجاف، ولا تتعدى أمطار المنطقة عن 400 مم سنويا، ورغم البعد

[1] -وجود عدة بقايا عمرانية واقتصادية مختلفة في مدينة المسيلة وتارمونت وفاقس وزابي القديمة كالسدود وقنوات المياه والأحواض (انظر محمد البشير شنيتي : الجزائر في ظل الاحتلال الروماني .بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور, الجزء الأول, الجزائر, ديوان المطبوعات الجامعية, 1999, ص 118.

[2]- Despois, (J);Op.Cit p11.

النسبي للمنطقة عن البحر المتوسط (150كم) إلا أن التضاريس عملت على تكوين حاجز طبيعي اثر في عملية توزيع الأمطار، لذلك يمكن اعتبار مناخ المسيلة بالصحراوي أكثر منه بالتلي وهذا ما جعل وصف سهول المسيلة بأنها تشكل في قلب الجزائر خليجا من الجفاف والحرارة [1].بحيث تتلقى عدة أنواع من الرياح.

1-السيروكو أو الشهيلي أو القبلي الذي يهب صيفا بالحرارة والجفاف (40 °-42°) واتجاهها جنوبية شمالية الى جنوبية شرقية .

2-الرياح الغربية وهي رياح موسمية صيفية تمتاز بالجفاف ونادرا ما يأتي بالأمطار.

3-الظهراوي:ريح بارد ورطب وممطر أحيانا يهب شتاء ويأتي من الشمال الغربي

4-البحري:وهو ممطر وثلجي على المرتفعات الشمالية يهب شتاء من جهة البحر [2].

غير أن هذه المميزات المناخية لم تحرم سهول المسيلة من مصادر المياه، فهي تتوفر على مخزون متجدد من المياه الجوفية الذي يمون بمياه الأودية المنحدرة من الجبال التلية، وهذا ما زاد من حيوية المنطقة الزراعية وحركيتها الاجتماعية وجعلتها مميزة بهذه الخصوصيات منذ فترة الرومان إلى بناء مدية المسيلة وتطورها فيما بعد [3].

[1]- Despois, (J) et Raynal (p) ;op-cit, p189.

[2]- De Galland, Excursion a Boussaâda et M'sila, Paris1893, p35.

[3]- Despois (J), et Reynal ;op-cit, p190.

لقد ارتبطت تسمية. المسيلة بذلك الحوض الذي تحتضنه الجبال من جميع الجهات. من جهة ثانية ... تضم االمسيلة جزء من التل ومنطقة جبلية في الشمال الغربي ومنطقة سهبية صحراوية ومنطقة رملية ذات كتل صخرية جنوب شط الحضنة [1] وتقع لديبةالغربية شمال غرب حوض الحضنة [2]، ويحدها من الشمال جبال الحضنة التي تمثل آخر حاجز للتل يبلغ ارتفاعها في كاف عقبان علو 1832 م، وكاف سوماء 1483 م في جبل شلشط بدوار القصابية وكدية الشوف 1112م بدوار ملوزة وجبل منصورة 1862 م وذراع القصبة 1264م.وكاف العسل [3] الذي يصل ارتفاعه إلى 1225م في دوار الدريعات، وجبل جدوق 1243م وجبل الطرف 1040م وكدية السلطان 1109م بالخرابشة ويحدها من الجنوب شط ا الحضنة مع السبخة التي ترتفع عن سطح البحر 390-400م [4] إضافة إلى مرتفعات المحارقة (600-900م) والقلالية 605م [5].ويمكن تميز أراضي البلدية من حيث النوعية إلى ثلاث أنواع جغرفيا.

هناك الأراضي ذات المردود الضعيف في الشمال حول الأراضي الجبلية.و منحدرات ا سلاسل الحضنة وهناك -الأراضي الخصبة في الوسط الواقعة شمال شط الحضنة وعمومها هي أراضي ملك خاص تحول اغلبها الى الكولون خلال الاحتلال أما الأراضي القاحلة الجرداء فتقع جنوب شط

[1]-ADC(-Archive Département de Constantine); rapport Administrateur, 1937.

[2]- Bulletin:officiel du gouvernement de l'Algérie, 1910, p1205.

[3]- A.D.C: monographie manuscrite sur M'sila, 1940. En Algérie. Une excursion dans le département d'Alger -C. Bayle (Paris)-1888 .

[4]- Despois, (J):le Hodna p40.

[5]- A.D.C:monographie;Maurice wall:, L'Algérie, . -Germer Baillière (Paris)-1882 , pp22-35.

الحضنة في الجنوب ذات الامتداد والاستواء الكبير [1]. وتقع في نطاق مناخي قاس جاف على مدار السنة .

والمسيلة مقسمة بعدة أودية تنبع من جبال الحضنة الشمالية وتصب في الجنوب في شط الحضنة بعد أن تقطع أراضي عرش أولاد ماضي الواسعة وسهول أولاد منصور واهم هذه الأودية وأكثرها سيلان على مدار السنة وادي القصب أو وادي الصم أو وادي المسيلة الذي يعتبر أهم مجرى مائي بمنطقة المسيلة وكان يطلق عليه اسم واد السحر [2].

وهو الذي يقسم جبال الحضنة ويفصل بين جبال المعاضيد 1863م وجبال قورين 1038 م.وكذا وادي لقمان [3] الذي ينحدر من جبال ونوغة ويصب في شط الحضنة بعد أن يسقى سهول فاقس الخصبة التي كانت تمثل مطمور الحبوب في الفترة الرومانية عندما كانت مدينة فاقس فاغة vaccis. [4]قائمة، ويتحول وادى لقمان إلى وادي الشلال عندما يمر بقرية الشلال وقد شهد هذا الواد عملية تحويل لمجراه بعد ثورة المقراني وإيفاد جماعة الحشم إلى المنطقة.وقد شهدت الأراضي الخصبة لسهول البلدية منتجات عديدة كما صلحت لمختلف التجارب التي أجريت بها قيل وخلال الاحتلال الفرنسي لها بين سنوات 1857-1860 خاصة زراعة القطن الذي أعطى نتائج مشجعة بمنطقة السوامع.

[1]- B.O.G.A:1910, p1203.

[2]- Brunschvig, (R) :La Barbarie Orientale sous les Hafsides, des Origines à la Fin du XV siècle Libraire d'Amerique et d'orient, Paris, 1940, p291.

[3]- Savornin, (J) :op-cit, p35.

[4]- Payen, (M):colonisation du Hodna, RSAC 1893, p148.

وقد شكلت هذه المظاهر الجغرافية المتباينة من حيث الحيوية الاقتصادية والبشرية تكاملا فيما بينها، كما أن الموقع الحدوى لإقليم المسيلة ككل وعبر تعاقب مختلف الممالك والإمارات من الحماديين إلى الحفصيين وبنى عبد الواد إلى حدود التماس بين بايليك الشرق وبايلك التيطري في العهد العثماني، [1]جعلت منطقة المسيلة تلعب ادوارا بارزة في تاريخها وذلك ما ساهم في تفاعل تركيبتها الاجتماعية التى تمتاز بالحركة والتنقل الدائم مما جعلها تلعب دورها كوسيط تجاري في المبادلات بين اقاليم التل وحواف الصحراء .

قد لا يبدو للقارئ تمييز طبيعي بين اسم الحضنة الشرقية عن الغربية، ويتقاطع القسمان في مظاهر طبيعية كالرمل وشط الحضنة وأراضي الجر، لذلك لا يمكن باي حال اعتماد الجانب الطبيعي كأساس لتقسيم الحضنة إلى شرقية وغربية، إنما بدا اسم الحضنة بقسميها الشرقي والغربي إلا في إطار الاحتلال الفرنسي الذي وضع تقسيمات إدارية للقيادات التي تولت إدارة الأهالي منذ أحداث1849 [2].و أصبحت منذ هذا التاريخ يطلق مصطلح الحضنة الشرقية على قيادة المختار بن دايخة والتي تبدأ عند حدود التماس بين عرش أولاد سحنون وعرش أولاد دراج الشراقة .ناحية دوار برهوم ومقرة وأولاد عدي الشراقة.و يمكن اعتبار الخلفية التاريخية لسلطة القيادات السابقة للاحتلال هي مرجع التقسيم الإداري للحضنة ككل..

[1] – –سعيدوني ناصر الدين:دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني, المؤسسة الوطنية للكتاب, 1984 ص229.

[2] CAOM : 8H22, historique du cercle de Barika1849.

مدينة المسيلة: أصل التسمية

قبل الحديث عن اصل التسمية التي يخلط المؤرخون كثيرا بينها وبين المحمدية التي انشاها الفاطميون سنة 315هجرية 927م، وبين مدينة المسيلة التي كانت موجودة واراد ابو القاسم انذاك بناء مدينة مكانها بعد ان طرد بعض قبائلها الى القيروان، وذكرت حينها باسمها الحقيقي أي المسيلة في كل الكتابات التي عاصرت بناء المحمدية .يجب التذكير هنا ان الحديث عن المسيلة القديمة خلال العهد الروماني والتي ارتبطت بموقع زابي zabi justiniana ليس هو المقصود المسيلة التاريخية التي وجدت خلال العهد الروماني ومن بعده الاسلامي وقبل ظهور الدولة الفاطمية في نهاية القرن الثالث الهجري ونقصد بها المدينة البربرية وليس الرومانية وليس الفاطمية.

تنسب المسيلة البربرية عادة إلى كلمة المسيل أو مدينة المياه السائلة [1] وهذه التسمية مرتبطة بوفرة وتعدد المجاري المائية التي تتمتع بها المنطقة منذ فترات قديمة من التاريخ والتي تعبر عن وجودها بقايا الآثار القديمة الرومانية المجسدة في السدود وقنوات المياه والأحواض المخصصة للسقي الموضوعة على الأودية والسواقي كوادي القصب ووادي لقمان ووادي اللحم ووادي سلمان.و إذا كان تاريخ تأسيس المدينة الجديدة للمسيلة أو المحمدية الفاطمية

1-للمزيد حول هذا الموضوع انظر ابن حوقل في كتاب صورة الأرض و البكري في كتاب المسالك و المقريزي فى كتاب اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء و آخرون.

يرجعه كثير من المؤرخين والكتاب إلى سنة 315هـ/ 927 م عندما رسم معالمها الأمير الفاطمي أبو القاسم وخطط عمرانها على ابن حمدون فإنما قامت في منطقة كانت تخفى آثارها وجود حضارات متقدمة شهدتها المنطقة قبل وخلال الاحتلال الروماني.كما أن المنطقة لم تكن في حالة فراغ بشرى استدعى تعميرها، بحيث كانت تقطنها قبائل بربرية مثل بنوكملان [1] ورنداح وصدراته ومزاته وغيرها [2] قبل أن يخرجهم آبا القاسم الفاطمي إلى فحص القيروان، بعد ان ساهمت في مقاومة المد الفاطمي، وقبل أن تأخذ المدن طابعها المدني الواسع على النحو الذي بنيت عليه المحمدية الى جانب المسيلة البربرية. والسؤال الذي غفل عنه الكثير من الكتاب والمؤرخين هو كيف اختفى اسم المحمدية العربي بسرعة (نلاحظ شبه إغفال تام لاسم المحمدية في الكتابات التاريخية حتى خلال الحكم الفاطمي ثم اختفاءها التام وسيادة اسم المسيلة خلال وبعد تأسيس المحمدية)ليعود اسم المسيلة كاسم أصلى ودائم لها وهو عودة إلى الاسم البربري الأول المستمد من كلمة thamsilt "تامسيلت" أو المسلة بالبربرية.لأنه ليس كاف العداء المذهبي من قبل قبائل المسيلة للشيعة الفاطميين أو عداء الحماديين في عهد المعز بن باديس أن تتحول بسرعة إلى اسم المسيلة خصوصا وان هذا الاسم ذكر كثيرا في كتابات المؤرخين العرب من المذهب الشيعي مثل ابن حوقل في كتابه صورة الأرض وهو الذي عاصر عملية بناء المحمدية وفضل كتابة المسيلة في كتابه صورة الأرض باعتباره عاش خلال القرن الرابع الهجري والمقريزي في كتاب اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء أو من المذهب السني مثل البكري في كتابه المسالك والممالك وابن الأثير في كتابه الكامل في

التاريخ وابن عذارى المراكشي في كتابه البيان المغرب وغيرهم ممن ذكروا المدينة باسم المسيلة 'حيث كتبت بفتح الميم وكسر السين والياء الساكنة واللام بفتحة والهاء الساكنة عند كل من ياقوت الحموي والبكري والقلقشندى وابن خلكان وغيرهم. لذلك من الأرجح أن الكلمة بربرية وان ارتبطت بالمسيل المائي العربي الكلمة بدليل زوال الاسم الجديد" المحمدية" واختفائه حتى من الكتابات التاريخية التى جاءت بعد القرن الرابع الهجري واستمرار اسم المسيلة مكانه وعلى هذا الأساس فان مدينة المسيلة كانت موجودة قبل وخلال عملية بناء المحمدية، ووجه الربط هو بناء المحمدية بجانب مدينة المسيلة على جانبي وادي القصب ووادي الذهب المعروف عند سكان المسيلة بحي الأشياخ في الوقت الذي استمرت فيه مدينة المسيلة البربرية في مواضعها الحالية في أحياء خربة تليس والشتاوة والعرقوب والكراغلة .

ومن خلال ذلك لا نستبعد من أن اسم المسيلة تزامن جنبا إلى جنب مع اسم المحمدية، فوجد هذا مع وجود الأخر كما رضي به العبيديون، ولم ينكروا على من سمى به المدينة، بدليل قول شاعرهم أحمد بن محمد المروذي، مادحا نزول القائم بأمر الله بها:

ثم إلى مديـــــنة مرضيـة أسست على التقوى محمديه
أقبل حتى أحلها ضحيــة بالنور من طلعته المضيئــة
فحل في عسكره المسيلة في هيئة كاملة جميـــــلة

وجه الدلالة من هذه الأبيات الشعرية الثلاثة إلى ما ذهبنا، هو كون هذا الشاعر يمدح العبيديين، والمدح لا يكون إلا بالصفات والأسماء التي

يحبها الممدوح، ويفتخر بها هذا الأخير، إذ من جملة ما ذكر من الأسماء في هذا السياق من المدح: اسم مدينة المسيلة.

كما أنه ذكر المحمدية، وإن كان ذكره لها في المقام الأول سابقا عن ذكر المسيلة مما يدل على أن هذه الأخيرة كانت الشائعة في الاستعمال عند غير العبيدين الذين أرادوا رفع مكانة المحمدية باولوية الذكر..

إلا أن الشيء الملفت للنظر ان خصوم العبيدين من أهل السنة يسمون المدينة بالمسيلة لا المحمدية فالبكري مثلا: ذكر المسيلة ست مرات، ولم يذكر المحمدية إلا مرة واحدة فقط، ليبين عليّة تسميتها بذلك' وهذا اقتداء بفعل وعمل المعز بن باديس ملك الدولةالصنهاجية الذي وصل إلى الحكم سنة 407هـ/ 1016م، حيث بدد سككهم (العبيدين)، وغير مكايلهم ونقض موازينهم، وكسر المنابر، وخرب المحاريب، ولم يترك لهم أثرا ينسب إليهم، ولا علما يعرف بهم، ولا خبرا يؤثر عنهم، ولا شيئا كان ابتداؤه منهم.

وبصرف النظر عن عن اسم المسيلة الذي ذكر عند الشعراء والكتاب العرب من المذهبين السني والعبيدي، نستنتج أن معنى لفظ "المسيلة" لا قدح فيه ولا مدح بالنسبة للعبيديين، بالتالي رضي به الشيعة وهذا الرضا دليل على وجود سابق لاسم المسيلة لم يكن لهم يد فيه لذلك اقتصراغلب الكتاب عليه في الكتابات التاريخية وأهملوا اسم المحمدية. وإن كان سبب التسمية بالنسبة لمدينة المسيلة، يبقى دوما غائبا في كتب الرحالة والجغرافيون العرب بغياب الأدلة: من نصوص وقرائن وفرضيات.

كما ان انصار العبيديون من الرحالة كابن حوقل والكتاب العرب ذكروا كثيرا اسم المسيلة اكثر من اسم المحمدية وهذا دليل على ان المحمدية لم تظهر الا كضاحية جديدة على حافة مدينة المسيلة البربرية تعتبر كتب

الرحالة الجغرافيون أهم مصدر في التعريف بمدينة المسيلة لذلك سنعتمد في ذلك بالدرجة الأولى على الجغرافي ابن حوقل، لأنه أقدم من رصد لنا معلومات عن هذه المسألة بصورة مفصلة أكثر من اليعقوبي الأقدم منه، فضلا عن قيمتها التاريخية الفريدة، بحكم أن صاحبها جمعها بعد مطالعة للكتب، وسماع عن الأفراد، ورحلة ومعاينة لهذه الأماكن، نظرا لتعاطيه مهنة التجارة.وابن حوقل الذي يعتبره المؤرخون من جانب العبيديين الشيعة واحد أعينهم قد أردف اسم المسيلة في كتابه وهو دليل لوجودها قبل بناء الفاطميون للمحمدية.

كما تذكر عند البكري بأنها مدينة جليلة، وهو وصف له دلالة على أهميتها وقدمها التاريخي ورغم تأخره عن ابن حوقل بأزيد من قرن، فمعلوماته تعتبر أكثر تفصيلا ودقة، بحكم اعتماده واطلاعه على روايات ومصادر أكثر منه.

والبكري استفاد رغم تأخره بكتابات ووصف اليعقوبي وابن حوقل بالجمع بين كل ما أورداه هذان الجغرافيان من معلومات، بالنسبة لمنطقة المسيلة. كما يؤكد كلام ابن خلدون مسالة وجود المسيلة قبل المحمديةحيث يقول [1]: "ومر بمكان بلد المسيلة وبها بنو كملان من هوارة، وكان يتوقع الفتنة فنقلهم الى فج القيروان ولما نقلهم امر ببناء المسيلة وسماها المحمدية"

قال صاحب " الروض المعطار " "المسيلة من بلاد الزاب بالمغرب بقرب قلعة أبي طويل، وهي مدينة جليلة على نهر يسمى نهر سهر في بساط من

[1]-ابن خلدون:المصدر السابق, الجزء الرابع ص -43.

الأرض. ومنبع نهر سهر من مدينة الغدير، وأسس المسيلة أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله الشيعي سنة ثلاث عشرة وثلثمائة وكان المتولي لبنائها علي بن حمدون بن سماك الجذامي المعروف بابن الأندلسي، فلما أتمها أمره الشيعي عليها، فلم يزل بها أميراً حتى مات في فتنة أبي يزيد، وبقي ابنه جعفر أميراً فيها وولي بلاد الزاب كلها، وجعفر هذا هو ممدوح محمد بن هانئ الأندلسي الشاعر المشهور، له فيه أمداح حسان، وكان من أكثر أهل زمانه إحساناً والمسيلة كثيرة النخل والبساتين تشقها جداول المياه العذبة، وكانت مدينة عظيمة على نظر كبير، وحواليها قبائل كثيرة من البربر من عجيسة وهوارة وبني برزال.وبها أسواق وحمامات، ويجود عندهم القطن وهي كثيرة اللحم رخيصة السعر، وبها عقارب مهلكة لا يخلص من لدغها والعياذ بالله. هذا الوصف ينم عن تاخر صاحب الروض في تفصيل ما سبقه من احداث تخص نشاة مدينة المسيلة، ففي الوقت الذي يذكرها بانها مدينة جليلة، على نهر سهر ويسهب في الوصف بما سبقه الاولون الذين عاصروا بنائها كابن حوقل، الا انه يربط نشاتها بابو القاسم الفاطمي.

وقيل إن المسيلة المستحدثة أحدثها علي بن الأندلسي في ولاية ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، وهي عامرة في بسيط من الأرض ولها مزارع ممتدة، ولأهلها (أي البربر) سوائم وخيل وأغنام وأبقار وجنات وعيون وفواكه وبقول ولحم ومزارع قطن وقمح وشعير، وبها قوم من البربر والتجار، وبها ماء كثير منبسط على وجه الأرض عذب، وفيه سمك وفيه طرق حمر لم ير في الدنيا سمك على صفته، وأهل المسيلة يفتخرون به، قدره من الشبر فما دونه، وربما اصطيد منه الشيء الكثير

واحتمل إلى قلعة بني حماد، وبينهما اثنا عشر ميلاً. نلمس كذلك من هذا الوصف ان اهل المسيلة ذكروا بهذا الاسم تمييزا لهم عن غيرهم من العرب الفاتحين من جهة وتمييزا لهم بحرفهم وزراعتهم التي لم تكن منتشرة عند العرب الفاتحين، وهذه الاوصاف نرصد من خلالها ان المسيلة قديمة بكثير عن المحمدية الي انشاها الفاطميون وربط الكتاب اللاحقون من بعدهم اسمها بالمسيلة، ومن ثم عم هذا الخطا وشاع وكانه الاصح.

أ-المسيلة خلال الفترة الرومانية:

هناك اشكالية لم يفصل فيها الكتاب والمؤرخون ونعني بها العلاقة بين اسم المسيلة واسم زابي zabi بحيث لم نعثر في الكتابات التاريخية القديمة اللاتينية على اسم المسيلة كما تعرف حاليا، ولا حتى في النقوش الاثرية الرومانية .الا ان الكتابات الاجنبية الحديثة التي تلت الاحتلال الفرنسي ربطت المسيلة المدينة البربرية الاصل التي تقع على وادي القصب بالمدينة الرومانية زابي جوستنيانا التي تبعد ب4 كلومترات شرقها.

فقد كان موضع مدينة المسيلة التاريخية على أنقاض خرائب تعرف بخربة تليس نسبة الى احد عرب الحجاز الذي كان يحمل معه دائما التليس او وعاء الماء الجلدي حيث استوطن بالمكان المسمى عليه الا ان هذه المقولة تبقى نسبة وتحتاج الى دليل قوي انطلاقا من طبيعة المسيلة البربرية وسكانها من قبائل البربر قبل تاريخ قدوم هذه الشخصية والتي لاندري عنه شيء، وهناك من يرجع اسمها نسبة الى قائد روماني يدعى ايليس .ellisse وكلا الروايتان لا تتحدث الا على جزء من مدينة اوحي بينما تتكون المدينة من حيين شرق وادي السهر وحيين غربه، وكانت على بعد من خربة بشيلقا

الرومانية التي ربط كثير من الكتاب الفرنسيون اسمها بالمسيلة الرومانية اوzabi justinianaوهي مدينة تقع بالقرب من مواقع رومانية بالحضنة مثل خربة الجساسية وآراس Aras أو تارمونت ومقرة Macri وبين قرطاجة والقيصرية[1]cesarée. وخلال الاحتلال الروماني لم نعثر بعد على اسم المسيلة الروماني، وربما هذا دليل على ان المواقع الرومانية هي التي اختصت بأسماء رومانية في حين حافظت المدن البربرية ومنها المسيلة على اسمها البربري فقط. وكانت منطقة المسيلة خلال الحكم الروماني جزءا من مقاطعة موريطانيا السطايفية ملامسة لموريطانيا القيصرية بعد التقسيم الجديد لدقليانوس أواخر القرن الثالث الميلادي.

ربط المؤرخون اسم مدينة المسيلة في العصور القديمة بموقع يدعوه الكتاب والمؤرخون ببشليقة كما جاء في كتاب البكري، وابن حوقل وبشيلقا عند غيرهم، والذي بني على أنقاض مدينة قديمة كانت تدعي بزابي zabi التي تم التعرف على هويتها من خلال النقوش المكتشفة بآثارها [1] (نقيشة عثر عليها بمنزل القايد سفار التومي بالمسبلة سنة 1858)، وكانت سنة 1858 هي بداية اهتمام الاثريين والمكتشفين والضباط الفرنسيين بتاريخ المسيلة الرومانية انطلاقا من هذه النقيشة، عندما كتب ليون رينيه LEON RENIER مقال اكتشاف اثري في المجلة الإفريقية صفحة 324 حول نقيشة اثرية لمدينة زابي الرومانية، مما دفع بالباحث الأثري بويل POUILLE إلي التنقل الى مدينة المسيلة خلال شهر نوفمبر 1859 واستغرق شهر كامل في دراسة النقيشة التي دله عليها المعمر الفرنسي ياربيت BARBET وهي

[1]– Maguelonne, J:Monographie Géographique et Historique De la tribu du Hodna Orientale in. R.S.A.C, 1909, p, 9.

حجرة بطول 1، 98 سم وعرض 0، 42 سم كتب عليها ما يلي: *Edificata est a fundamentis Muic civitas qua justiniana Zabi subtemtemporibus domini mostri piissimi et invicticimi*

وقد ترجمت بالفرنسية إلى:

Sous le règne de notre seigneur très pieux et très invaincu a ete construite depuis les fondations la ville de Miuc qui fut Zabi la justiniene;

وتعني بالعربية حسب اللفظ اللا تيني "هنا تم بناؤها، منذ تأسيسها المدينة الجديدة لزابي جوستنيانا تحت إمارة إمبراطورنا المنتصر دومنيتوستريب سيميا نتيفيكس"[1] بينما تختلف ترجمة فايسات Vaysette [2] في السطر الثالث حول اسم الإمبراطور الروماني، كما تختلف عنهما ترجمة ليون ريني [3]، leonRené بحيث يسردها: [تحت تاج مولانا المنتصر والجليل بناء منذ الأساس مدينة ميوك التي هي زابي جوستنيان]zabi justiniana [4].

ومن المعروف انه لاتوجد بمدينة المسيلة أثار رومانية إلا ما تم جلبها اليها لاستعمالها في أعمدة مسجد الرومانة العتيق بحي الكراغلة سنة 1816 او في أبنية بعض المنازل .لذلك فالحديث عن زابي هو حديث عن المدينة الرومانية ببشيلقا وليس مدينة المسيلة البربرية .

[1] – Feraud, (ch) :Histoire des ville, M'sila pp324-325.

[2] – Vayssette, (E) visite a vbousaada et m'sila in revue africainne :1873, p, 98.

[3]-Poulle, (A):op-cit, p196.–

[4]– Despois, (J):La Bordure saharienne, p214.

وبعد عدة زيارات ميدانية للنقيشة الأثرية من قبل المترجمين والباحثين الفرنسيين امثال فايسات vayessete وريني rene وفيل villeوفيرو ferraud وبول poule خلال الستينات من القرن 19 فقد سادا اسم زابي جوستينانا على مدينة المسيلة الرومانية التي تعرف الآن بخربة بشيلقيا أو بشليقا بكسر اللام كما يعرفها المؤرخ العربي البكري [1].

لقد امتد نفوذ البزنطينين عقب اندحار الوندال في سهول المسيلة الشمالية الغنية بالمياه الآتية من السلاسل الجبلية التلية، كما عملوا على مراقبتها وحراستها عبر مدن مثل فاقس vaccis التي يذكرها المؤرخ يلين pline بأنها كانت عهد الرومان بمثابة سوق التي تبعد ب10 كم عن مدينة المسيلة للإنتاج الزراعي للمقاطعة الداخلية للإمبراطورية [2] أما عن تاريخ إعادة التأسيس بعد خرابها فترة الغزو الوندالى والتسمية، فيرجعها المؤرخون إلى سنة 539 [3]م، والبعض الأخر الى 541 [4]م، وهي السنة الأقرب باعتبار القائد سولومون تحرك من قرطاجة نحو المنطقة في خريف 541. سنة

ذكر المؤرخ بروكوبprocope في كتابه السادس أن عملية إعادة بناء المدن بإفريقيا قد بدأت من طرف القائد بليسار belissaireسنة 533م كما

[1] -البكري أبو عبد الله) :المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب, تحقيق دوسلان, نشر مكتبة المثنى بغداد, ص:59.

[2]- Payen, (M):op-cit;p145.

[3]- Maguelonne, (J);op-cit, p234..

[4]- Poulle, (A) :op-cit, p, 200.

يذكر في كتابه الثاني ان الإمبراطور جوستنيان استدعى جرمان وعين القايد صولومون سنة 539)م

لقد عرفت هده المدينة لدى الكتاب والجغرافيين اللاتين والإغريق منذ القرن الثالث ميلادي ، في الوثائق الكنسية، ومن خلال النقوش بأسماء مختلفة وإن كانت متقاربة 2، بحيث ذكرت مدينة زابي عند القديس أوبتاتوس الميلي أثناء حديثه عن ممثلي أسقفيتها 3، وفي قائمة ديغنيتاتوم والتي ورد فيها " أن زابي كانت مركزا عسكريا على الحدود وكانت تسمى بريبوزيتوس لميتس زابنسس، والتى كانت تحت سلطة قائد إفريقيا "4، كما وردت الإشارة إليها في دليل رحلة أنطونينوس أغسطس والتي حددت موقع مدينة زابي فيما بين سطيف وسورالغزلان على الطريق الرابط مابين هاتين المدينتين5، وعرفت عند جوليوس هونوريوس بمدينة زابي المحصنة 6، كما ورد اسمها في صيغة تابيا على قائمة فيرون 7، ثم بعد دلك باسم روبيا في كتاب مجهول رافان 8، كما ورد إسم مدينة زابي في قائمة الأساقفة الدين حضروا إلى مجمع قرطاجة في سنة 484 م 9، كما تعرض إلى ذكرها المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس دون أن يحدد بدقة موقعها، فذكر أنها فيما وراء مرتفعات الأوراس ببلاد موريطانيا الأولى 10،

وقد عرفت المدينة بأسماء عديدة منها زابي zabi –زابي جوستنيانا zabi-justiniana ساقي savi تافى tavi وهذا حسب ايتيكوس ETHICUS وكذ اسم مويك Muic حسب ترجمة ليون ريني [1] LEON-RENE وقد ورد اسم مدينة المسيلة الرومانية زابي في وثائق عديدة منها قائمة ديغنيتاتوم

[1]– Poulle, (A);op-cit, p196.

Notitia Digniatatum التي وردت فيها كمركز عسكري حدودي تحت سلطة قائد إفريقيا وقد كانت تدعى باسم prapositus Limitis zabens [1].

وقد ذكرت أسماء أساقفة المدينة في قائمة الأساقفة الذين حضروا مجمع قرطاجة 484م أمثال Felix الدوناتي بوسيسور وPossesor (484) وكريزانتيابوس Crescentiabus (411) في أراس [2] أو تارمونت .

وإذا كانت المعلومات قليلة عن فترة الحكم الروماني بالمسيلة فقد جسدت وجوده الآثار المنتشرة في بشيلقا بالمسيلة وطبنة (بريكة) وأراس (تارمونت) وخربة الرصاص والجساسية. وكذا آثار قنوات المياه والسدود وأحواض المياه في مواقع عين قصب [3]بن منان، مقطع الجديان، عين نكار، عين طبوشة، وآثار الحواجز المائية على وادي لقمان، ووادي اللحم، ووادي القصب، ووادي سلمان، كما تعتبر المنطقة الحدود الجنوبية لخط الليمس الروماني الذي يمر على شط الجريد ثم توزر ونقرين وباديس ومتليلي وواحة الزاب، بعد أن يحيط بالا وراس في الجنوب متبعا وادى جدي، ومقسما المسيلة عرضيا محاذيا التل عبر بوغار وتيارت وفرندة لي تلمسان ومغنية [4] .

أما المؤرخون المسلمون فقد تعرضوا إلى ذكر ووصف المدينة وصفا يكاد يكون واحدا، فهدا الجغرافي العربي البكري وان كان متأخرا عن زمن

[1]– Maguelonne (J), op-cit, p, 233.

[2]– A.D.C, monographie;

[3]– Maguelonne, (J):op-cit, p, 234.

[4]– Sagne, (J) :L'Algérie postarale, Fontana, Alger, 1950, p47.

نشأتها قد حدد موقعها ووصف أطلالها قائلا "تقع زابي على مقربة من مدينة المسيلة وهي إلى الجنوب منها وإن خرائبها تدعى القباب". وبخصوص الاسمين القديمين روبيا وتوبيا والاسم الحديث بشليقة او بشيلقا، لا تفوتنا الإشارة إلى ملاحظتين اشار اليهما بعض الكتاب أولهما أن روبيا وتوبيا ما هما إلا تحريف للاسم القديم زابي وذلك بقلب الزاي مرة إلى راء ومرة أخرى إلى تاء من قبل الكتاب القدامى، وثانيهما الفرضية التي طرحها الباحث كات 13 في أواخر القرن التاسع عشر حين اعتقد أن اسم بشليقة مشتق من اللفظة اللاتينية بازيليكا والتي تعني الكنيسة أما من حيث النشأة فأننا لا نتوفر على المعطيات التاريخية اليقينية التي تساعدنا على تحديد الزمن الذي نشأت فيه زابي zabi التي ربط المورخون اسم المسيلة بها سواء تعلق الأمر بالفترة السابقة للاحتلال الروماني أو أثناءه، دلك أن أقدم المخلفات المادية هي عبارة عن مجموعة من النقود ضربت في عهد الإمبراطور تراجانوس والدي تربع على عرش الإمبراطورية الرومانية في سنة 98 م وامتد حكمه إلى سنة 117 م بالإضافة إلى نقوش مكتشفة بخرائبها لا تتوغل إلا ما قبل النصف الأول من القرن الثالث ميلادي 14، غير أنه يمكن أن نعتقد أن مدينة زابي قديمة عن العهد الرومان دلك أن حيوية إقليم المسيلة الدى تنتمي إليه المدينة يرجع إلى فترة موغلة في الزمن، بحيث أنه لم يكن للرومان الفضل في اكتشاف هده الحيوية وإنما استغلوها لتكريس هيمنتهم على المنطقة، غير أن الأدلة غير متوفرة بالقدر الكافي نظرا للافتقار الموقع إلى بنقيبات منظمة من شأنها إجلاء الغموض وكشف وثائق فك تفيد في تأكيد مثل هدا الرأي أود حضه وهو رأي يستند إلى بعض الوثائق العائدة للعهد النوميدى أهمها كتابات لبيية وبونية حديثة15 .

أهم الأبحاث التاريخية لمنطقة المسيلة :

الحديث عن الكتابات والابحاث التاريخية بمنطقة المسيلة هو حديث عن الابحاث الاجنبية المتعلقة بالتاريخ الروماني البيزنطي اكثر من غيره، وهو اتجاه سار فيه مختلف الاركيولوجيين والباحثين الفرنسيين عند دخولهم ارض الجزائر، ولم يكن اهتمامهم بالحضارة الاسلامية الا ما تعلق بتزامنها مع الاثار الرومانية او ما تعلق بالاثار الاسلامية البارزة خلال العهود الزاهرة للامارات الاسلامية بالمغرب العربي كالحماديين.

يمكن اعتبار الفترة الفرنسية بداية البحث الاثري ليس لمنطقة المسيلة بل لمختلف المناطق الاثرية بالجزائر، فقد اغفل المؤرخون والكتاب جانب التدوين لها خاصة خلال العهد العثماني، ولم تكن تعطى عناية لمثل تلك المواقع الاثرية من حصون وقلاع ومدن رومانية لاسباب مختلفة.

ومنطقة المسيلة التي وصل اليها الاحتلال الفرنسي بداية 1840 شكلت عند بعض الظباط الفرنسيين مجالا خصبا لابحاث تاريخية ومونوغرافية دونت في مختلف الدوريات والمجلات خاصة المجلة الافريقية والمجمع الاركيولوجي لمقاطعة قسنطينة .فقد شغل الضابط بايان (N.Payen)بداية الاحتلال رئيس المكتب العربي لبرج بوعريريج وساعده مركزه هذا في التنقل عبر ارجاء المسيلة والاوراس بحثا عن الاثار الرومانية بها كما اشتهر بالابحاث الاثرية والكتابة التاريخية لمنطقة المسيلة حيث قام بدراسة فريدة من نوعها بإقليمها، ونشرها عام 1864 في حوليات قسنطينة، (Recueil de Constantine) تحت عنوان "أعمال الري القديمة" التي

لا يزال عدد من أثارها بجزء من [1] المسيلة؛إذ وقف على عدد هام من أعمال الري واجتهد في إعطاء وصف دقيق لها مع دراسة لمكوناتها وتقنية بنائها، كما حاول أن يؤرخ بعضا منها.للعلم ان الضابط بايان payen قد شغل في الفترة الممتدة بين 1858-1869 رئيس المكتب العربي لبرج بوعريريج وله عدة مقالات حول منطقة المسيلة منها مقال استعمار المسيلة colonisation du hodna الذي نشر في حوليات قسنطينة سنة 1893.و دراسات حول آثار الرومان بالاوراس وطبنة

كما قدم الضابط الفرنسي دو بواسون De Boysson دراسة هامة حول الاثار الرومانية بالمنطقة والتي نشرت عام 1869 والتي تطرق فيها إلى قبور الدولمن المتواجدة بمنطقة الجر بجبال المعاضيد. وقد أورد في هذه الدراسة وصفا للقبور وتفاصيل حفرية أجراها في عدد منها1. – ومن جهته كان ستيفان جزال(St.Gsell)، بحث في إطار عملية جرد لأعمال الرومان الخاصة بالري بالجزائر ونشر بحثه سنة 1902 تحت عنوان "تحقيق إداري حول أعمال الري القديمة بالجزائر"و خصص في بحثه هذا جانبا لمنشآت الري بالمسيلة، دون أن ننسى الأطلس الأثري الخاص بالجزائر.

[1] R. Poyto, Les rupestres de Ben-S'Rour. Daïra de Bou-Saâda, Libyca A/P/E, XXIV, 1976, p. 195.
1-Boysson (Capitaine de), Les tombeaux mégalithiques des Maadid, RSAC, 13, 1869, pp. 621-636.

خـلال الأربعينـات والخمسـينات، قـام الباحـث ريمـون فـوفري R. Vaufrey بعملية مسح أثري جزئي اكتشف خلالها بعض المواقع العائـدة إلى أواخر العصر الحجري القديم والعصري الحجري الحديث2.

كما قام براديز(J.BARADEZ)، بدراسته اعتـبرت مـن الأبحـاث الجديدة والهامة، " فوساتوم أفريكائي" (Fossatum Africae) أشار إلى جزء هام من منشآت الري في جنوبي منطقة المسـيلة وتحـدث عـن الأهميـة الـتي تميزت بها منطقة المسيلة حتى جعلتها مطمعا اقتصاديا للاسـتعمار الرومـاني ونشرله مقالا ملخصا لأعمال الري الرومانية التي بينتها الصـور الجويـة في منطقة تعتبر حاليا سهبية، وكان هـذا في المـؤتمر الـوطني التاسـع والسـبعين للمؤسسات العلمية بالجزائر سـنة 1957، وأثـار في مداخلتـه مسـألة تغـير المناخ كما طرح مسألة أصل هذه الإنجازات.

خلال نفس الفترة كان جاك تيكسي J. Tixier معلمـا بمدرسـة الهامـل وكان من هواة علم ما قبل التاريخ حيث خطى أولى خطواته في هذا المضمار بمنطقة بوسعادة قبل أن يصبح مـن أهـم المختصـين في الدراسـات التقنيـة للصناعة الحجرية على المستوى العالمي، وقد قام بمسـح المنطقـة واكتشـاف عدد من المواقع وأجرى حفريات في موقعين هما الهامل3 ودخلة السـعدان4 جنـوب بوسـعادة بـين 1951 و1955. وقـد كـان اكتشـافات تيكسـي

[1] R. Vaufrey, Préhistoire de l'Afrique du Nord. T.1 : Le Maghreb, Libraire Masson et Cie, Paris, 1955.

[1] J. Tixier, Le gisement préhistorique d'El-Hamel, Libyca, A/P/E, II, 1, 1954, p. 79

[2] J.Tixier, Les abris sous roche de Dakhlat es-Saâdane (Commune mixte de Bou-Saâda), I - Les industries en place de l'abri B, Libyca A/P/E, III, 1, 1955, p. 81.

انعكاسات مهمة على دراسات ما قبل التاريخ المغاربية آنذاك حيث كان موقع الهامل أول موقع ابرومغربي يكتشف في الأطلس الصحراوي تلته اكتشافات أخرى مشابهة فيما بعد.

كما قدمت الأستاذة سليماني سعاد بحث لنيل شهادة الماجستير نعتبره قيم من عدة جوانب كونها تحرت المنطقة ميدانيا وعاينت الآثار الرومانية ودققت في كثير من الأمور التي غفل عنها غيرها من الباحثين الفرنسيين خاصة بقايا المنشات الرومانية الخاصة بنظام الري بمنطقة المسيلة .

الوجود الروماني بالمسيلة القديمة:

دلت كثير من الشواهد المادية وبقايا الاثار وكثير من التسميات اللاتينية في النقوش والكتابات على استقرار الرومان حول المسيلة خلف خط الليمس الروماني الجنوبي، وكانت هذه العناصر مميزة للتعريف بالوجود الرواني اكثر من الوجود البربري الذي اختفت شواهده واغفلت عن ذكره الكتابات اللاتينية ومن ثم لم نعد نعرف الا عن المدن الرومانية وحصونها وقلاعها، وكان البربر عاشوا في ظلال السهوب والتلال متنقلين في حياة لم تشهد استقرار.

تواجد الرومان في مواقع مدنية وحصون عديدة حملت اسماء رومانية مثل macriو thubinae وaras و zabi وغيرها فقد شهدت مثلا مدينة طبنة Thubunae خلال الاحتلال الروماني تركز عسكري ضمن الحصن عسكري هام الذي اقيم بها والذي يعتبر ضمن مناطق التماس لخط الليمس الجنوبي وقد حضيت بمكانة هامة واصبحت محل إقامة حاكم افريقا بونيفاس عام 427م، قائد الإمبراطورية الرومانية الغربية المتوفى سنة 441م

الذي استنجد بالوندال سنة 428 وهذا بعد إن أعلن القائد البربري قيلدون Gildon الذي كان يحكم قرطاجة باسم الإمبراطورية الرومانية، استقلاله عنها، وقد اجتاز الجيش الوندالي جبل طارق FretumGaditanum بقيادة ملكهم جانسريك Geneseric [1] [2] وعندما أرسى روميلوس اوغيستول O.Romelos الدولة اللاتينية منذ 476م وأخذت السلطة البيزنطية السيطرة على موريطانيا السطايفية وفصلتها عن المسيلة، احتل البيرنطيون شمال شط المسيلة بما فيها منطقة المسيلة [3]منتصف القرن الخامس الميلادي.

وان كان البعض من الكتاب يؤكد أن البيزنطيين لم يحتلوا المسيلة بل استمروا في ترك المنطقة في إطار العلاقات الودية مع سكان الزاب وموريطانيا القيصرية [4] الا ان منطقة المسيلة تعرضت كحال بلاد المغرب إلى الاحتلال الوندالي الذي أحدث الخراب والدماربها والذي كانت مدن المسيلة عرضة له ومنها مدينة زابي Zabi أو المسيلة الرومانية، إلى جانب المدن المجاورة كطبنة وفاقس vaccis وخربة الرصاص Salinae، وهي مدن محيطة بالمسيلة كان لها شان كبير في الإنتاج الزراعي والتبادل التجاري بين مدن الداخل والجهة الغربية للحضنة، بحيث كانت تمثل محطات تجارية لإنتقال السلع والمواد الزراعية من الجبال التلية كحبوب مجانة عبر وادي القصب Flumenspiscencis الذي يمر بالمسيلة [5].وبعد أن استطاع الإمبراطور

[1] - St, Gsell, Atlas archéologique de l'Algerie (A. A. A), 1911, F 2.
[2]– Xavier de Planhd :les Fondement géographique de l'histoire de l'islam, Paris, 1960, p131.
[3]– Nacib, (y) cultures oasienne bousaada, opu alger;op-u , p94.
[4]– Kaddache, (M):L'Algerie medievale, SNED, Alger, 1980, p05.
[5]– Payen, (M):Colonisation, du Hodna, In RSADC, 1893, p.148.

البيزنطي جوستنيان [1] Justinian طرد الوندال من بلاد المغرب، أرسل قائده بليسار Belissaire الذي قام بإعادة بناء المدينة القديمة zabi منذ 533م واستكمل بناءها فيما بعد القائد جرمان Germain ابن أخ الإمبراطور جوستنيان ثم خليفته سالومون Salomon الذي تولى قيادة الجيش الإفريقي سنة 539، وبدأ حملته العسكرية من قرطاجة، حيث اخضع قبائل المور الثائرة في الاوراس التي وصلها سنة 541 بمدينة تامو قاس Thamugas (تيمقاد) التي حطمها قائد المور ايابداس Iabadas[2]، ثم عبر جبال أولاد سلطان ليصل إلى المسيلة حيث أعاد إعمار وبناء المسيلة القديمة التي تعرف بزابي حيث خلد إمبراطوره جوستنيان في إعطاء اسم المدينة زابي جوستنيانا Zabi Justiniana .وضم سالومون مدينة زابي إلى إقليم موريطانيا السطايفية باعتبارها من المدن المحاذية لخط الليمس الروماني [3] وقد كانت عملية إحياء مدينة زابي لتعويض اختفاء مدن فاقس Vaccis ومدينة خربة الرصاص القريبتين منها [4].

[1] –جوستنيان:الإمبراطور البيزنطي الذي تنسب إليه مدينة زابي جو ستينيا وحكم بين سنة (527م-565م).

[2]– Poulle, (A):Ruine de Bechilga (zabi), in RAF N°5, 1861, P200.

[3]– Feraud, (ch):Histoire des villes, M'sila, p48.

[4]– Payen, (m), op.cit p, 145.

الوضعية السياسية والإدارية لمنطقة المسيلة خلال الاحتلال الروماني:

سنحاول من خلال النقوش المتوفرة بين أيدينا [1] وتقارير العسكريين الباحثين الدين زاروا الموقع تسليط بعض الأضواء على الماضي الغابر لهده المدينة العتيقة. وأول ما نشير إليه في هدا المجال أن من الأسباب التي دفعت الرومان إلى احتلال المسيلة وباقي مناطق المسيلة هو الحيوية الاقتصادية والعسكرية بلاد المسيلة، هده الأهمية التي تتجلى بوضوح خلال القرن الثالث ميلادي، ففي هدا القرن أصبح الرومان أكثر إصرارا على توسيع المساحات الزراعية التي استولوا عليها عنوة لتوزيعها على قدماء المحاربين خاصة وأن خصوبة الأراضي ووفرة مرددوها هدف أية دولة استعمارية تسعى بشتى الطرق للإستحواد على الأراضي التي توفر لها الغلال الضرورية لسد متطلبات سوقها، خاصة بعد أن تزايدت أهمية القمح إثر ارتفاع عدد عائلات عوام روما المستفيدة من توزيع الحبوب مجانا، بحيث أصبح عدد المستفيدين من هده العملية في العهد الإمبراطوري 200000 مستفيد، بعدما كان عددهم لا يتجاوز 150000 في عهد يوليوس قيصر، وبعد أن زاد الإمبراطور سبتيموس سفيروس من رواتب الجند واضطر إلى دفع جزء منها من الغلال بعد عجز خزينة الدولة عن تحمل تلك النفقات، لقد كانت هده المتطلبات ضمن المبررات التي دفعت الأباطرة السيفيريين إلى مد الشريط الحدود نحو الجنوب ليشمل السهول الواقعة في القسم الجنوبي منطقة المسيلة، أو ما يعرف بالشريط الحدودي، ومعناه الطريق الفاصل بين

1 - C. I .L, 8805, 8811 -1- G .Willmans, Th. Mommsen, Corpus Inscriptionum latinarum (C. I.L), VII, Berlin, 1881,

تلك الأراضي الخاضعة للاحتلال الروماني في الشمال وتلك التي ظلت خارجة عن السيطرة الرومانية بالجنوب مدعمة بسلسلة من القلاع والمعسكرات يتراوح متوسط المسافة بينها بين 35 و50 كيلومتر، بحيث أقامت بالمنطقة محطات عسكرية تتخلل الخط الدفاعي الثاني بتارمونت وبشليقة أو زابي [1]، هدا الأخير الذي لا يمكن تحيد تاريخ بنائه بدقة ودلك لسكوت المصادر الأدبية عن دلك، بحيث اكتفت قائمة ديغنيتاتوم بإشارة فقط إلى أن زابي كانت مركزا عسكريا على الحدود تحت سلطة قائد إفريقيا [2] هدا من جهة، ولاندثار شواهده المادية من أسوار وقلاع وحصون وأبراج من جهة أخرى وهو ما يصعب من مهمة الباحث المهتم بتاريخ المنطقة، وكل ما نعرفه عن هده المحطة أنها بنيت في عهد الأباطرة السيفريين الدين تربعوا على عرش الإمبراطورية الرومانية مندسنة193 م إلى غاية 235 م وهكذا يتضح أن أهمية الموقع الإستراتيجي الذي تحتله المسيلة قد دفع هؤلاء الأباطرة في القرن الثالث إلى تأسيس هده المحطة وقد أنجزت لتراقب جبال ونوغة والجهة الغربية للحضنة ولحماية الطريق الرابط بين زابي وسور الغزلان، كما قامت هده المحطة بحراسة تنقلات سكان الجبال والرحل، غير أن وجودها في وسط الأراضي الخصبة زيادة على الأمن الذي توفره للنشاط التجاري سرعان ما جلب السكان للاستقرار بجوارها، وشجع على ظهور قرية يعيش فيها قدماء المحاربين والسكان الأصليين الدين فضلوا البقاء بجوار هده المحطة العسكرية نظر للروابط

[1] - St , Gsell , Atlas archéologique de l'Algerie (A. A. A) , 1911 , F 2

2– N. Benseddik , Les troupes auxiliaire de l'armée romaine de Maurétanie Césarienne sous le haut empire. Alger , S. N .E. D , 1981 , p 173 .

العائلية التي تربطهم بالجند المقيمين بها أو بسبب المصلحة المادية لاسيما بعدما أصبحت القرية سوقا مربحة نتيجة النشاط التجاري، وبمرور الزمن تحولت إلى مدينة محصنة بحسب ما يفيدنا به جوليوس هونوريوس، قدرت مساحتها بحوالي30 هكتار.

وبعد التقسيم الإداري الدى أحدثه الإمبراطور دقلدينوس أواخر القرن الثالث ميلادي [284 ـ 305] جزئت بموجبه مقاطعة موريطانيا الى مقاطعتين، السطايفية والقيصرية، وقعت زابي في حوزة موريطانيا السطايفية. وفي هدا الصدد يعتقد gsell قزيل أن هده المدينة كانت من أهم مدن موريطانيا السطايفية، ونحن بدورنا نعتقد أن الشهرة التي تمتعت بها مدينة زابي كانت وراء ذكر الكتاب والجغرافيين والنصوص الكنسية لها ليس فقط في فترة الاحتلال الروماني وإنما حتى خلال العهود اللاحقة .

المخطط العمراني لمدينة زابيzabi الرومانية:

أما عن المخطط العمراني الذي كانت عليه مدينة المسيلة او زابي الرومانية ZABI فإنه يتعذر علينا الوقوف على تفاصيله ومراحل تطوره تبعا للمراحل التاريخية التي مرت بها المدينة وعرفت خلالها التهديم عدة مرات. دلك أنه لم تجر حفرية منتظمة بموقع زابي، ثم إن مادة بنائها قد اجتثت من أساسها مما أزال معالم مخططها العمرانيحتى أن الصور الجوية لا تساعد على إعادة تصوير تفاصيل المباني الشوارع بالوضوح الكافي. ويظهر أن مخطط المدينة قد تغير عدة مرات تبعا للظروف التاريخية التي مرت بها المدينة [1]، حيث

1-ماضوي خالدية:تاريخ مدينة المسيلة ابان الاحتلال الروماني, الملتقى الوطني الاول حول تاريخ و اعلام المسيلة 2009.

كانت في بداية عهدها واحدة من مراكز العمران النوميدية، ثم اتخذ منها الرومان مركزا عسكريا متقدما على التخوم حصنوا به خطهم الدفاعي الثاني. ولا بد أن الوظيفة العسكرية التي أنيطت بها هده المدينة قد أحدثت في مخططها العمراني تغييرا جوهريا [1] يستجيب للظروف العسكرية من جهة ولمفاهيم المدينة الرومانية من جهة. لكننا نجهل الشكل الذي كان عليه مخططها بسبب تعرضها للهدم على أيدي المقاومين المور في العهد الوندالي وإعادة بنائها من قبل البيزنطيين الدين لقبوها لقبوها بزابى جوستنيانا zabi justiniana [2] وجعلوها في شكل قلعة محصنة، اتخذت من الحجارة المكونة لأطلالها مادة بناء مجددة، نظرا لغياب المقالع الحجرية في المنطقة ونزعة البيزنطيين إلى أعمال البناء السهلة والسريعة كعادتهم في جميع منشآتهم العسكرية التي أقاموها على أنقاض المدن الرومانية السابقة، وهو ما ساعد على طمس معالم تلك المدن وتشويه مخططاتها العمرانية وإتلاف شواهدها التاريخية والحضارية. ولا نحتكم اليوم إلا على بعض المخلفات المادية التي تعكس مظاهر الري ومدى تحكم الرومان في المياه بالنسبة لمدينة زابي خصوصا وإقليم المسيلة عموما، وتتجسد مظاهر التحكم في مصادر المياه في عدة منشآت، أهمها السدود التي أقيمت على وادي القصاب والقنوات الناقلة وهي منشآت لا تزال بقاياها ماثلة للعيان في بعض المواقع على المسافة الفاصلة بين مربط السد المذكور ومدخل المدينة من الجهة الشمالية الغربية . وقد رصد تلك الآثار أحد ضباط الجيش الاحتلال الفرنسي وهو بول poulle[3] ودلك في إطار اهتمام مخططي الاستيطان الفرنسي ببلاد المسيلة

[1] Poulle, a:op-cit, pp, 195-207.
[2] -st, Gsell, F25, n91.
[3] -poulle, op-cit, p195-207.

قصد التعرف على مصادر المياه واستغلالها في إحياء الأرض وتوزيعها على المستوطنين الفرنسيين. وكان أغلب الدين قاموا بتلك الأبحاث الميدانية عسكريون متخصصون في الهندسة الريفية والري والجيولوجيا وغير دلك من التخصصات المعتمدة في مثل تلك الأعمال. وقد أمكن التعرف من خلال دلك على منشآت ري كانت تمون مدينة زابي والحقول والبساتين التابعة لها، من دلك ما عثر عليه حول وادي الذهب المار بخرائب زابي من بقايا قنوات وخزانات وأحواض، وكان دلك الوادي موازيا لوادي القصاب المسمى هنا بوادي المسيلة، غير أن وادي الذهب جاف في الوقت الحاضر، مما يشير إلى أنه كان ضعيف التدفق قديما بحيث تحتم على زابي أن تستكمل حاجتها إلى الماء من وادي القصاب الواقع حولها بحوالي أربع كيلومترات وقد عثر على بقايا سد كان يحجز كميات الماء المطلوبة من مياه وادي القصاب ويوجهها إلى زابي عبر قناتين كبيرتين أحداهما مخصصة لمياه الشرب كما يعتقد دلك المؤرخ محمد البشير شنيتي، والثانية كانت موجهة إلى سقاية البساتين والحقول، لكونها تأخذ اتجاها مجانبا للموتنتهي إلى سواقي عديدة تتفرع عنها وتتشعب في تلك الأراضي المخصصة للحدائق والمزروعات المختلفة، ثم إن القناة الأولى مجهزة بعدة صهاريج بنيت على مسافات من بعضها بشكل يعترض القناة الناقلة، لعلها كانت تقوم بتصفية المياه من العوالق المختلفة قبل أن تصل إلى المدينة وتوزع للاستهلاك.

أما المياه المخصصة لسقاية الحقول والبساتين فإن آثار السواقي [1] والنظام المعتمد عليهما تشهد به بقايا أثرية كبيرة في جنوبي زابي والمسيلة،

1-للمزيد حول المنشات الرومانية بالمسيلة انظر:سليماني سعاد:منشات الري الرومانية بالمسيلة رسالة ماجستير جامعة قسنطينة.

فضلا عن منشآت عمرانية ذات طابع فلاحي كالمعاصر والمطاحن وغيرها، دلك أن المنطقة الواقعة شرقي وادي القصاب ابتداء من مدينة المسيلة إلى السبخة، تتفرع فيها سواقي كانت تنبض بمياه رقراقة تبث الحياة في التربة الخصبة التي تتوفر بهده الجهة، وكانت تلك السواقي متصلة بسدود عديدة تعترض مجرى الوادي وفروعه مشكلة شرايين حقيقية للزراعة في تلك المنطقة. كما استغلت مياه الوديان الصغيرة التي تشق سهول زابي جامعة مياهها من المنحدرات الجنوبية لجبال المعاضيد فكونت هده السهول إلى جانب وادي القصاب دو التفرعات الكبيرة عند مصبه بالسبخة شبه دلتا وافرة المياه خصبة التربة، مما ساعد على نهوض شبكة عمران ذات طابع زراعي.

ولعل من تلك الشواهد خربة الرصاص قرب بيرهنات على حافة السبخة، وهي بقايا مدينة قديمة غطى عمرانها حوالي أربع كيلومترات، واحتوت على منشآت ذات طابع زراعي كالمطاحن والمعاصر بالإضافة إلى مرافق حضرية منها كنيسة وغيرها [1]، وإذا انتقلنا غربا لتفحص مجرى وادي آخر من وديان المسيلة وهو الوادي المعروف بوادي لقمان المنحدر من جبال ونوغة، فإننا نعثر بجانبه على بقايا أثرية عديدة لمنشآت التحكم في المياه واستغلالها، من دلك أنه على مسافة حوالي عشر كيلومترات محاذية لهدا الوادي تم إحصاء بق أربع سدود، هي سد فقس الذي تفرعت عنه سواقي كانت تسقي بلاد فاقس إلى الجنوب الغربي من الضفة اليمنى للوادي المذكور [2]، وكانت مياه السد تغطي مساحة واسعة في اتجاه الجنوب . ولا يزال مجرى الساقية التي كانت تنقل مياه السد تدعى ساقية فاقس بشمال

[1] -st, Gsell:f25n85.

[2] -payen:op-cit, p145.

كدية الأصنام. ثم سد جساسيا الدي لا تزال آثار قنواته تحمل اسم سواقي جساسيا، ودلك بغربي مجرى وادي لقمان. ويظهر أن خربة جساسيا تنم عن قرية كانت مزدهرة في القديم عندما كان التحكم في مصادر المياه قائما بشكل محكم، ثم سد رومان الذي يدل اسمه على هويته حسب الظاهر، وهو من أكثر السدود بروزا لكونه حافظ على بعض أجزائه، بالإضافة إلى صهريج على صفته اليمنى والدى كانت تنطلق منه قناة ناقلة في اتجاه الجنوب نحو كدية القليب، وهو موقع أثري واسع، يشرف على مساحات واسعة من الأراضي التي يبدو أنها كانت مستغلة زراعيا بفضل مياه السد المذكور. وأخيرا سد مزوريا الذي يرى فيه قزيل GSELL[1] أنه من السدود التي كانت مخصصة لحفظ المياه أو خزانتها . وكان متصلا فيما يبدو بمنشآت حفظ وتخزين واقعة على مسافات مختلفة منها قناة أمكن متابعة مسارها إلى مسافة 1250 متر على سد مزوريا كي تصب في خزان واسع مخصص للتوزيع . وكان الغرض منها توفير المياه في مواسم الجفاف حتى لا يتضرر النشاط الزراعي وحياة العمران بالمنطقة التي كانت عامرة وهدا لكون الطريق الرئيسي بين زابي وأراس [تارمونت] يمر من هناك وعلى وادي اللحم بحيث عثر على بقايا سد هام يدعى سد الجير حاليا، كانت تنطلق منها قنوات أمكن تتبع آثارها على مسافة عدة كيلومترات بمحاذاة الضفة اليسرى للوادي، ولا تزال آثار سواقي الري الفلاحي بادية للنظر بالجهة التي وصلتها مياه السد. كما عثر على بقايا مركز عمراني غطت مخلفاته مساحة ثلاثة عشرا هكتارا، وهو على الضفة اليسرى لوادي يدعى وادي مسيس [المجرى الأدنى لوادي مسيس الذي يسمى هنا وادي الشلال]. ولعلها الخربة التي بني على أنقاضها برج الشلال ثم انطمست معالمها [2]

[1] -payen.op-cit:pp7.8.
[2] -st, Gsell:op-cit, f 25, n 91.

العهد الروماني ومنجزاته العمرانية

الاحتلال الروماني لمنطقة المسيلة وكغيرها من مناطق الجزائر ترك منشات عمرانية لم تكن بالمستويى الذي كانت عليه المدن الرومانية الرئيسية كتيمقاد وكويكول او جميلة او الساحلية كصلداي بجاية او رويسيكادا سكيكدة وغيرهم والذي تميزت درجة القوة من جهة وطابع الوجود الروماني وعلاقاته بأهالي المغرب من البربر من جهة اخرى، وقد دفعت عوامل قلة الانتشار البشري الروماني بالجهة من جانب وكثرة المقاومات المستمرة التي تطبع على المنطقة حالة الحرب الدائمة ان تطلب استحكامات عسكرية قوية قامت بها وحدات الجيش الروماني على مر تلك القرون لحماية المؤسسات المدنية داخل المقاطعة من انتفاضات البدويين البربر باقليم المسيلة، وتحصين الحدود الجنوبية من هجمات القبائل الرعوية .[1]

ويمكن اعتبار الانتشار السكاني لقبائل البربر من نتائج سلسلة العمليات الحربيةالتي قام بها الاحتلال الروماني خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين، حيث اندفعوا نحو الجنوب الغربي مثيرين القبائل التي تجمعت وانتشرت في المنطقة الممتدة غرب وشمال الأوراس في الهضاب والأطلس

[1] –محمد البشير شنيتي : الجزائر في ظل الاحتلال الروماني .بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، الجزء الأول، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص 118.

الصحراوي.و دفعت طبعة العلاقة العدوانية للرومان مع الأهالي أن أنشأ الرومان في المسيلة Zabi بين مناطق احتلالهم والمناطق الصحراوية الواقعة إلى الجنوب والتي دفعت إليها القبائل منطقة حدود دفاعية حصينة أي الثغور التي عرفت بخط Limes الدفاعي، وهي جزء من شبكة يتراوح عمقها بين 50 و100كلم من الخنادق والطرق التي يدافع عنها مجموعة كبيرة من القلاع والحصون والمراكز العسكرية .[1]

كانت منطقة المسيلة خلال العهد الإمبراطوري الأول ضمن مقاطعة موريطانيا القيصرية حيث كان خط الحدود بينها وبين نوميديا يمر عبرها.[2] وبعد إصلاحات ديوقلديانوس في القرن الثالث صارت جزءا مهما من مقاطعة موريطانيا السطيفية وعاصمتها سطيف Sitifis المستحدثة من قبل هذا الأخير.[3]

يذكر بروكوب في اطار سرده لحروب الوندال موقع المسيلة بانها تقع غرب الاوراس وانها كانت غنية بالمنتجات الزراعية، ومن المعتقد ان المدن القديمة قد اندثرت حسب قوله قبل مجئ الوندال وهدمت من قبل فبائل الجيتول ومن اهم المدن التي وجدت في نطاق مملكة المسيلة نذكر فاقس واد سالياناساونيبونانسيس، ad salinas nebunonenses، vagis

1- محجوبي عبد القادر: العهد الروماني وما بعده بشمال إفريقيا, ص485 .ضمن تاريخ إفريقيا العام, الجزء الأول إشراف كي زيربو, اليونسكو, 1981.

2- محجوبي عبد القادر, المرجع السابق, ص480, 486-

3-Duval(Y.), La Maurétanie sitifienne à l'époque byzantine, 3 Latomus., revue d'études latines, XXIX, 1970, FascI, pp157-16

لان الحروب الدينية التي وقعت خلال القرن الرابع كانت اشد وطاة من الاحتلال الوندالي، كما ان مدن زابي وماكري واراس zabi، macri، aras، وقد ذكروا دائما في الكتابات اللاتينية .ومن بين اهم الشواهد العمرانية التي بقيت ماثلة طبيعيا بمنطقة المسيلة بقايا المنشات الخاصة بالري وأحواض المياه والسدود خاصة بمنطقة بشيلقا بالمسيلة .

التواجد الروماني باقليم المسيلة

انحصر التواجد الروماني حسب الشواهد المادية في حصون محدودة، تحكمت فيها الظروق المناخية بدرجة اكبر، فقد اشار الجغرافي جان ديبوا في كثير من مؤلفاته خاصة مقاله في المجلبة الافريقية حول حواف الصحراء الشرقية الجزائرية [1] الى ظاهرة تحكم المعطيات الجغرافية الحيوية في تحديد التواجد الروماني بمنطقة المسيلة التي اختصها بكتاب قيم اصدره سنة 1953 بعنوان المسيلة.

ولعل تواجد الاثار الرومانية بشرق مدينة المسيلة وسط سهولها المروية من وادي القصب من خلال موقع زابي وكذا السهول الغنية بفاقس حيث انشا حصن اين شكل خزان الحبوب لروما، لذلك يمكن ان نعتبر ان خط الليمس الروماني الذي احاط ب المسيلة كان من شانه القضاء على تنقل البدو الرحل وجعلهم في استقرار، الا ان هذا الخط لم يحقق هذا بالنسبة لغرب الجزائر حيث السفوح الواسعة.والسؤال الذي يمكن طرحه في هذا

[1] Despois, jean:la bordure saharienne de l'Algerie orientale, in RA1942pp 196.200.

الاطار لماذا لم يؤسس الرومان منشات عسكرية او مدن على حواف جبال المسيلة المرتفعة او سفوحها كما هو الشان بالنسبة لمدن مثل تيمقاد اوجميلة او ستيفيس وغيرهم.

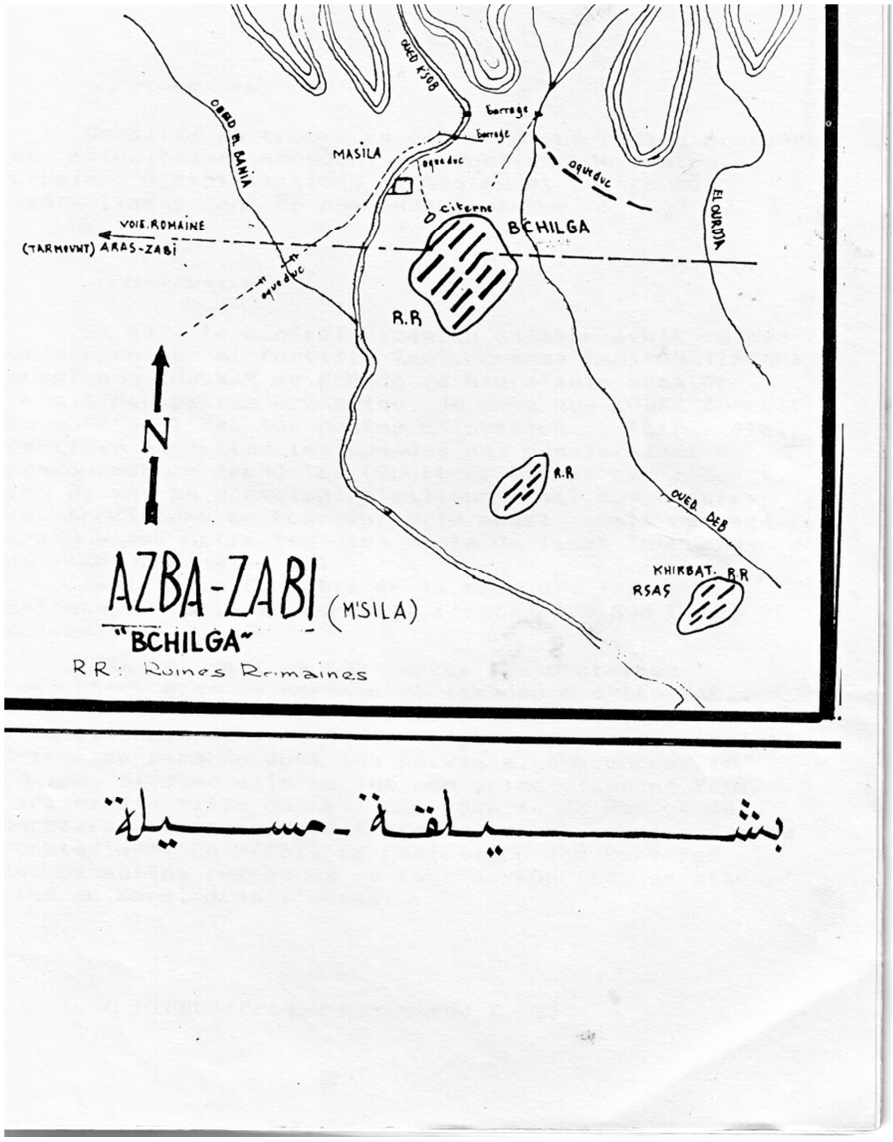

بشيلقـــة Zabi Justiniana:

كانت زابي احدى المواقع الرومانيـة العسـكرية المتواجـدة علـى الخـط الدفاعي الليمس الثاني، وتقع بين موقعي السبخة جنوبا ومرتفعات المسيلة شمالا .

وخرائب زابي zabi التي يدعوها السكان المحليون باسم بشيلقا الـذي ربما كان تحريفا من قبل أهالي الـبلاد لكلمـة بازيليكـا Basilica الـتي تعـني كنيسة قديمة [1]. وهو رأي وجيه بالنظر لوجود آثار عدة كنائس في الجوار.

إلا أن البكري يشدد على كتابتها ببشـليقا (بضـم الشـين وكسـراللام) وهي موقع اثري بيزنطي قد يكون على أنقاض موقع روماني قديم تقـع في الركن الشمالي الشرقي من شط المسيلة بموقع لا يقل أهمية عن طبنة.ولذا كانت المدينتان تتقاسمان السيطرة علـى القسـم الحيـوي مـن بـلاد المسـيلة، وهو الواجهة الشمالية الفاصلة بين مرتفعات بلزمة والمعاضيد والشط. كمـا يعتقد أنها كانت إحدى المواقع العسكرية على الخط الدفاعي الثاني الليمس ببلاد المسيلة، ونريد أن نركز على مكانتهـا العمرانيـة والاقتصـادية ضـمن إقليم المسيلة الحيوي بالنسبة لليمس الموريطاني. [2]

1-Cat (E), Essai sur la province Romaine de la Maurétanie Césarienne, Paris, Leroux, 1891, p224.

2-محمد البشير شنيتي, نفس المرجع، ص175.-

من جهته قدر االباحث الاثري ستيفان غزيل st، Gsellآثار موقع بشيلقة بأنها تنم عن مدينة كبيرة كانت تدعى زابي حسب أحد النقوش المكتشفة بعين المكان.وكذا خريطة بوتينجر التي حددت موقع زابي بين سطيف وسورالغزلان على الطريق الرابط بين هاتين المدينتين مرورا بجنوبي مرتفعات المسيلة.بالإضافة إلى ورود اسم المدينة في وثائق عديدة منها بيان الرتب والوظائف التي ذكر بها أن زابي كانت مركزا عسكريا على الحدود تحت سلطة قائد ذي صلاحيات واسعة.و ورد اسم زابي في صيغة لابيا وهو تحريف فيما يظهر، كما ورد تحريف اسم زابي على لسان جغرافي رافينا بصيغة روبيا. [1]

ونعتقد أن مدينة زابي لم تكن حصنا عسكريا فحسب بل مدينة رومانية مسيحية كانت عامرة بالأساقفة و بالسكان والعباد وهذا ما تؤكده بيانات أسماء بعض أساقفة زابي التي وردت على لسان الأسقف أوبتاتوس قبل هؤلاء .كما ورد ذكر ممثلي المدينة المسيحيين في قائمة الأساقفة الذين حضروا مجمع قرطاجة عام 484. مما يدل على أن زابي كانت لاتزال خلال هذه الفترة متمتعة بالحيوية رغم الحكم الوندالي الموصوف بأنه ساهم في تخريب العمران بشمال إفريقيا. [2]

ويبدوا ان سيطرة الوندال لم تكن طويلة على بلاد المسيلة ويظهر أن مدينة زابي استرجعها الأمراء الموريون المستقلون عن الوندال وظلت تحت سيطرتهم إلى أن سقط الحكم الوندالي وعاد البيزنطيون فسيطروا على

[1] .Gsell (St.), A.A.A, F25, n°85

2-محمد البشير شنيتي، نفس المرجع، ص 174.

الأجزاء الشرقية من شمال إفريقيا وحاولوا الاستيلاء على المدينة الخاضعة لحكم الأمراء الموريين المناوئين لهم. وهو ما تسبب في حروب بين الطرفين أدت إلى سقوط المدن الهامة ببلاد المسيلة بأيدي البيزنطيين، ومنها طبنة وزابي التي افتخر القائد البيزنطي صولومون باسترجاعها وإعادة بنائها مخلدا ذلك في نقش لاتيني عثر عليه بمدينة المسيلة، كان قد نقل إليها من زابي ضمن حجارة البناء وهو يعود إلى عام 529.كما تعرض لذلك الحدث الكاتب البيزنطي بروكوبيوس دون أن يحدد بدقة موقع مدينة زابي، فذكر أنها وراء مرتفعات الأوراس ببلاد موريطانيا الأولى أي السطيفية. [1] ويعتبر بعض الكتاب ان مدينة زابي تم استرجاعها من طرف قبائل المور من الوندال قبل قدوم البيزنطيين اليها .

وخلال الاحتلال الفرنسي ومنذ 1858 بدأت البعثات الأثرية تدرس وتكتب عن مدينة زابي منهم poulle وpayen وvayssette و ferraudواخرين بحيث ورد في تقرير لأحد الضباط الفرنسيين يصف فيه أنقاض زابي أنها تحتل مساحة طولها حوالي 1500 متر وعرضها 600 متر، وأن هذه المدينة القديمة كانت تضم مباني فخمة حسب الظاهر، ولم يبق بخرائبها سوى قليل من الأحجار المنحوتة يبدو أن جميع البيوت بنيت بها.وأن الرومان قد جلبوا المياه إلى المدينة من وادي القصاب بواسطة قناة ناقلة للمياه لا تزال آثارها بادية جدا شمالي مدينة المسيلة الحالية.

وذكر نفس المقرر أن معظم أطر أبواب المنازل بمدينة المسيلة وكذا المسجدالعتيق المعروف بمسجد الرومانة الذي نقلت اليه اعمدة من الحجارة

[1] -البشير شنيتي :المرجع السابق، ص ص176-177.

الرومانية من بشيلقا سنة 1816 وهي مزينة بحجارة منحوتة رومانية الأصل، مضيفا أن أهل المسيلة ذكروا بأن موقع هذه المدينة أي المسيلة لم يكن يتوفر على حجارة منحوتة، وأن كل حجارتها جلبت من خرائب مدينة رومانية تقع شرق المسيلة على بعد حوالي 5كم تدعى بشيلقة.

وقد اختلف الباحثون في تقدير مساحة المدينة و يظهر من تقديرات الضابط المذكور أن مساحة زابي بلغت حوالي تسعون هكتارا وهو رقم مبالغ فيه، لكننا لا نستطيع تصحيح ذلك لكون الموقع كاد ينطمس في الوقت الحاضر.وهنالك تقرير آخر رفعه موظف الأملاك العقارية إلى السلطات المسؤولة سنة 1861 قدر فيه المساحة التي تنتشر عليها بقايا زابي بأنها تتراوح بين 1000متر طولا و300 مترا عرضا، وهو ما يجعل المساحة الإجمالية لخرائب زابي 30 هكتارا، وهو ثلث ما أتى عند الضابط السابق .ومع ذلك فهي مساحة معتبرة بالنظر إلى الطبيعة المتميزة لإقليم المسيلة .ولاحظ المقررون أن مخطط المدينة تميز بشوارع متقاطعة بادية للعيان وهي تقوم على محورين كبيرين يشقان المدينة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب.وهما الديكومانوس الكبير والكاردو الكبير. [1]

إن الموقع الممتاز الذي احتلته المدينة وإشرافها الكامل على المنطقة التي بنيت فيها وأهميتها العسكرية وموقعها على الثغور أهلها لأن يجعل منها الرومان مقرا لقيادة قطاع الليمس الحضني .ذلك ما تؤكده وثيقة إدارية

[1] -محمد البشير شنيتي : نفس المرجع، ص 178.

رومانية تعود للقرن الرابع ورد فيها ذكر لقائد قطاع الليمس الزابي Praepositus limitis Zabenses الذي اتخذ من زابي مقر لقيادته العسكرية [1].

كما لا نستبعد أن المدينة خضعت في نفس الوقت للسلطة العسكرية لهذا الأخير، لأن إسناد السلطة المدنية للقادة العسكريين في المدن الحدودية كان تقليدا راسخا لدى الرومان لتوحيد السلطات وتسهيل اتخاذ القرارات المناسبة التي تفرضها الظروف الحرجة التي يبدو أنها كانت سمة الأوضاع في هذه الأرجاء بسبب المقاومة الدائمة لأهالي البلاد.

ومن خلال البقايا الاثرية اشار بعض الكتاب الى ان زابي كانت بها مظاهر عمرانية واقتصادية مثل ورشات صناعة الفخار التي بلغت مستوى رفيع بكثرتها ونوعيتها، كما عثر الباحثون ومن بعدهم السكان المحليون على مجموعات من النقود تعود الى عهد تراجانوس وبقايا معاصر الزيتون ومطاحن الحبوب، كما اشار الاستاذ شنيتي الى وجود بقايا الكتابات الليبية النوميدية.

ومن مظاهر العمران الاقتصادي بزابي منشات الري الرومانية التي دلت على مدى التحكم في المياه وانظمة الري وهو ما اخذت به فرنسا عقب احتلالها المنطقة، بحيث وجدت قنوات الري aqueduc التي قدم بشانها الظابط الفرنسي بولpoulle بحثا بالخرائط في المجمع الاركيولوجي لقسنطينة.

[1] Notitia Dignitatum Occidentem ., XXV, 26.

والجدير بالذكر ان الباحثة سعاد سليماني قد قامت ببحث برسالة ماجستير حول المنشات الرومانية في الري ب المسيلة غطى اغلب جوانب الموضوع تحريا.

2. هنشير ميارية [1]:

لا نعرف بالتحديد موقعها نظرا لاندثارها وقد يقصد بها مدينة فاقس باعتبارها تقع بين زابي واوزيا (سور الغزلان) التي اشار اليها الباحث قزال gzellو قد أنشأ الرومان قلعة لها سور مستطيل ضخم يبلغ طوله 300متر من الشمال إلى الجنوب و200 متر من الشرق إلى الغرب بالحجارة المنحوتة. وكانت زواياها الأربعة مزودة بأربعة أبراج .وقد وجد العديد من القطع الأسطوانية وبقايا الأدوات الفخارية، إلى جانب نقود رومانية. كانت القلعة تحرس السهل الفسيح الممتد من الشرق إلى الغرب، ولابد نظرا لموقعها أنها حمت الطريق الرابط بين زابي وأوزياAuzia (سور الغزلان) عبر تارمونت Aras وتعراس tatilti. [2]

3.تارمونتAras[3]:

وهي مدينة رومانية اقل شانا من زابي تقع غربها على طريق اوزيا على بعد 30 كم، الاسم الحقيقي لتارمونت ذو أصل بربري ويعني الرمان بالعربية وسماها بaras الروماني Antonin وهي مدينة انشات خلال القرن

2-فاضل لخضر:المنشات الرومانية و البيزنطية بمنطقة المسيلة, الملتقى الوطني الاول حول تاريخ و اعلام المسيلة .2009-

[2] Gsell (St.), A.A.A, F25, n°7.
[3] C.I.L, VIII., 10432, 10435.

الثالث الميلادي في اطار الحصن الجنوبي الروماني (limes de sévères) ويعتبر الفرنسي ماصيرا p، masseira أول من كتب عنه في المجلة الجغرافية لسطيف في 1940 بعد أن قام بأبحاث اركيولوجية بها بين23 ديسمبر1934 الى 5جانفي1935 بمعية 16 عامل ثم قام بعملية تنقيب ثانية بين 22ديسمبر 1935الى 11 جانفي 1936 بمعية 25 عامل من المنطقة [1] بها آثار رومانية كثيفة وتمتد على مساحة واسعة جدا، وقد أحاطها الرومان بسور طويل لحمايتها 2.و رصد السيد جيغو Gigo[3]t مبنى مربع عند قسمها الجنوبي ربما كان كنيسة.كما لاحظ الزوار الأوائل لها أن جوارها تكثر به بقايا المزارع الرومانية القديمة وحقول الزيتون مما يوحي باستيطان زراعي واسع. ومنطقة تارمونت التي تبدو كحصن روماني في شكل مستطيل بين 200في 170 متر أي بالقياس الروماني 135 قدم على 115 وقدرت مساحته بثلاثة هكتارات ونصف، كان الحصن يمثل حامية ملحقة مختلطة كان يمد الجيوش التي تمر به بالغذاء والمدد وكانت تنفتح في وسط الاسوار الاربعة ابواب وفي كل ركن منهم توجد قلعة عالية للحراسة واسوار الحصن مدعمة ببنايات بعرض2 مترا حيانا ويؤيد ذلك العثور على آثار منشآت الري بمحيطها التي أقامها الرومان للاستفادة من مياه الوديان المجاورة التي تنبع من جبل الطرف. [4]

[1] _Christofle(m):Aras, rapport sur les travaux de fouilles et consolidatio effectués en 1933_1936pp273_293

[2]-Cagnat (R.), L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris, 1913, p609.

[4]-Gsell (St.), A.A.A, F25, n°10.

لقد مثلت كل من اراس وفاقس مطمور إنتاج الحبوب خلال الفترة الرومانية نظرا لخصوبة سهولها ووفرة مياهها عبر الأودية والمجاري وربط الرومان بينها وبين المدن المجاورة بشبكة قوية من الطرق، فقد أشارت رحلة أنطونينوس لوجود مسافة 18 ميلا(30كلم) بينها وبين زابي ولا تزال معالم هذه الطريق واضحة على مسافة عدة كيلومترات.وطريق آخر نحو تعراس Tatilti عثر على ميله السادس. [1]

4. خربة سد بلعباس :

رغم ان المعلومات حولها شحيحة ولا ندري بالظبط موقعها رغم ان قزال اشار الى انها تقع على الضفة اليمنى لواد القصب أنقاض مدينة رومانية كان يحيط بها سور فيما مضى، وحولها آثار خزانات وأعمدة اسطوانية، إلى جانب بقايا جسر أنشأه الرومان على وادي القصب.هذا الأخير الذي يحتمل جدا أن يكون هو Flumen Piscense الذي ورد في الوثائق الجغرافية القديمة [2]. كما وجدت على حواف وادي القصب اسوار رومانية ومغارات كانت تمثل طرق لنقل المياه عند الحاجة الى الجهة اليسرى للوادي في اتجاه زابي.وتبقى منطقة وادي القصب عذراء من حيث الابحاث الاثرية للوصول الى حقائق تاريخية مؤكدة.

[1] -A.A.A, F25, n°6 et 11;C.I.L, VIII., 10432;Payen, R.S.A.C, 1893, p152.

[2]-Toullotte (Mgr), Géographie de l'Afrique chrétienne, -IV, (Les mauretanies), Paris, imprimerie Notre Dame des pères, 1894, pp202-203.

المنشآت الاقتصادية:

ارتبط النشاط الاقتصادي بالمسيلةعامة واقليم المسيلة خاصة بالطبيعة الجغرافية والبشرية وقد تبين من خلال التحري أن زابي توفرت على ورشات للصناعات التقليدية كالنسيج وصناعة الجلود والفخار والتي دلت عليها بقايا الشقف وفرن الشوي .و يظهر أن صناعة الفخار قد بلغت مستوى راقيا حسب عينات الكسر المنتشرة بعين المكان.وكانت معامل لفخار متقاربة على أبعاد حوالي خمسة وعشرين مترا من بعضها البعض وعلى استقامة واحدة.مما يوحي بالقول بأنها كانت تشكل منطقة صناعية متميزة بجنوب المدينة حيث يتوفر الطين الملائم لصنع الفخار. [1]

ومن خلال بقايا النماذج العمرانية المنتشرة ببلاد المسيلة أن هذا الإقليم كان يشكل حيوية خاصة بالنسبة لهذا الركن الجنوبي الشرقي من الليمس الموريطاني، وأن تلك الحيوية ارتكزت على مصدرين أساسيين هما التربة الخصبة والماء.بالإضافة إلى العامل البشري الفعال الذي تراكمت لديه تقاليد المجتمع الحضري –الريفي النشط.

كما وفرت طبيعة انبساط سهول المسيلة واحتضانها للمياه المنحدرة من الشمال نحو الشط منتوجا ضروريا للحياة ومصدر تجارة دائمة بحيث لم يغفل الرومان هذه الخاصية التي تتمتع بها المسيلة ونقصد به ملح منطقة

[1]- محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث ودراسات), دار الحكمة, الجزائر, 2003, ص111.

الشطوط لاسيما منها شط المسيلة الأكبر والأغنى بهذه المادة، والذي سماه الرومان ملاحات طبنة Salinae Thubunenses .[1]

وبالنظر إلى أن الملح كان مادة أساسية وسلعة تجارية لها في القديم شأن غير شأنها اليوم، فقد حرصوا على احتكار استخراجه وتسويقه .فأنشئوا حول شط المسيلة عدة مصانع لاستخراجه ومعالجته .[2]

وكان للإدارة الرومانية العسكرية الصبغة دور الأساس في حماية المؤسسات المدنية وتوفير وسائل الاتصال والحماية لحث النشاط الاقتصادي على الانتاج أكثر بالقدر الذي يضمن تموين الحاميات العسكرية والساكنة المدنية.وما تتطلبه الادارة المركزية المدنية من غلال، فأصبح لإقليم المسيلة مكانة متميزة بالنسبة للدولة، لا لكونه يسد ثغور التل في وجه البدو المزعجين وهو الغرض من التمركز هنالك في بداية الأمر من طرف الرومان والبيزنطيين بعدهم، ولكن لكون إقليم المسيلة أصبح قاعدة عمرانية مرتكزة على نشاط اقتصادي مثمر أفاد منه سكان المنطقة وأصحاب السلطة على السواء.ولعل ذلك ما أهل هذا الإقليم لأن يحظى بإشادة الكتاب والجغرافيين العرب في العصور الإسلامية.[3]

مما خلفه الرومان أيضا بالمسيلة أربعة سدود كبيرة على وادي لقمان على مسافة ثلاثة كيلومترات .الأول سد فاقس انطلقت منه سواقي لتروي الأراضي المجاورة باتجاه كدية الصنام أين تتواجد مقبرة قديمة على تلة

[1] -Itinerarium Augusti Antonini, p12.

[2] -Cat (E), Op.cit., p50.

[3] - محمد البشير شنيتي : نفس السابق، ص 185.

مرتفعة. والثاني سد الجساسية الأكثر وضوحا، والثالث سد رومان الذي كانت لاتزال بقاياه في حالة جيدة .وعلى الضفة اليمنى للوادي بنى الرومان صهريجا تنطلق منه قناة نحو كدية أوغليف التي يظهر أنها كانت محلة سكنية ذات أهمية تشرف على الضفة اليمنى لواد لقمان، وجدت بها آثار مبنى كبير تحيط به الخرائب من كل النواحي على امتداد واسع تعرف بخربة جساسية كانت على الطريق بين تارمونت وبشيلقة، لمح باين Payen إلى احتمال أن تكون هي فاكيس Vaccis الواردة في خريطة بوتينجر.

Sitifis col-XL-Ad Marinum-XXV-Vaccis-XVI- ،Tabula Peutingiriana.)[1]

Salinas Nubonenses.)

السد الرابع، سد مزوزية الذي ربما كان سد رفد ثانوي لتجميع مياه الوادي في مجراه الأدنى .ويقع في أعلى كدية أوغليف، يسبقه على بعد 400متر سد آخر كانت مياه الوادي تخترقه لتتجمع في الخزان الكبير الذي أنشأ في هذا الموضع. وانطلقت قناة ناقلة للمياه Aquaeductus من سد مزورية بمحاذاة ضفته اليمنى، وبعد مسافة 1250متر تصل إلى خزان افترض باين أنه كان ملحقا بمنشأة للتوزيع. [2] وعلى مبعدة 1500متر شمال المسيلة على واد القصب رصدت مجموعة مهمة من تجهيزات الري الرومانية، متمثلة في عدد معتبر من السدود الخراسانية المتباعدة عن بعضها البعض بمسافات صغيرة، قناة ناقلة للمياه على الضفة اليمنى بارزة للعيان على مسافة 300متر ومتجهة نحو الجنوب الغربي عابرة واد البنية لاشك من

[1] -Op.cit., p148 A.A.A, F25, n°21, 22, 23. ; Payen,

[2] -A.A.A, F25, n°24

أجل سقي الأراضي المجاورة.أما على الضفة اليسرى فتقبع بقايا خزان كانت تخرج منه قناة ناقلة باتجاه زابي.وقد رصد باينPayen حينها على مسارها خمسة خزانات ربما كانت حسب رأيه تستخدم لتصفية مياهها وتنقيتها. [1]، هذه القناة جعل الرومان لها اتجاهان لكل منها وظيفتها، إحداهما الواقعة إلى اليمين مياهها وتنقيتها. [2]، هذه القناة جعل الرومان لها اتجاهان لكل منها وظيفتها، إحداهما الواقعة إلى اليمين استغلت في الري الفلاحي، إذ تتفرع عنها شبكة من السواقي .و اليسرى للاحتياجات المدنية لمدينة زابي، أين تصب مياهها في خزانات تقع داخل هذه الأخيرة، ومنها كان يتزود السكان بحاجتهم اليومية من الماء. [3]

نشير كذلك إلى بقايا سد آخر يدعى سد الجير أقيم على (واد اللحم)، حيث تنفصل عن ضفته اليمنى قناة تتجه نحو الجنوب الشرقي كان لايزال من الممكن آنذاك تتبعها على امتداد عدة كيلومترات . [4]

من منشآت الري البارزة بالمنطقة أيضا ما أقيم على وادي الذهب، إذ مما نصادفه أنقاض سد على الضفة اليمنى، وخزانات وقسم من قناة ناقلة يبدو أنه كانت متجهة أيضا إلى زابي.وعلى الجهة اليسرى قناة أخرى ناقلة تتصل بخزان، تخرج من جهته الأخرى قناة ثالثة نحو وجهة لا يمكن

[1] -A.A.A, F25, n°823
[2] -A.A.A, F25, n°82
[3] -Feraud (M.L) , « Histoire des Villes de la province de Constantine » , R.S.A.C , 15 , 1871-72 , p323.
[4] -A.A.A, F25, n°28 انظر للمزيد سعاد سليماني :منشات الري الرومانية بالمسيلة المرجع السابق وفيه تفاصيل هامة لذلك.

تحديدها. [1] ومن خلال هـذا العـرض المـوجز للمظـاهر العمرانيـة للتواجـد الروماني ب المسيلة يتضح لنا ان اقليم المسـيلة شـكل حيويـة خاصـة لـدى الرومان ارتكزت على مصدرين اساسيين هما التربة الخصباء والمياه.

[1] – A.A.A, F25, n°84.

منطقة المسيلة خلال الاحتلال البيزنطي

رغم قصر عمر تواجد البيزنطيين بالمسيلة الا انه يعتبر فترة انبعاث المدن القديمة بعد الخراب الذي حل فترة الوندال، ورغم ما قام به السكان المور من اعادة اعمار المدن التي تغفل عنها المصادر اللتينية فقدحاول البيزنطيون ضم كل المناطق التي احتلها الرومان من قبل .ولقد بدأ القائد البيزنطي سولومون solomoneهذا المشروع التوسعي في عهد الإمبراطور جوستنيان justiniane، وكانت منطقة المسيلة من أهم المناطق التي توجب عليهم ضمها لأهميتها الدفاعية. لذا واصل صولومون « Solomon » بعد إخضاع نوميديا توسعاته غرب جبال الأوراس بالزاب والمسيلة وبلزمة حيث مملكة أورتياس1Orthaïas ، وذلك بعد أن تخلى هذا الأخير عن تحالفه مع البيزنطيين ودخل في مواجهة ضدّهم بعد أن استقبل الموّريين الذين طردهم صولومون Solomon من الأوراس، في حين أنه كان عليه طردهم بحكم التحالف الذي يجمعه بالبيزنطيين [2]. وبعد ضمّه لموريطانيا السطيفية سعى صولومون Solomon لحماية مناطق الاحتلال البيزنطي وذلك بإقامة تحصينات قوية.

[1] -Manguellone (J), « Monographie, historique, géographie de la tribu des Ziban », R.S.A.C, 44, 1901, p 233.
[2] -Diehl (Ch), op.cit., p 90.

عادة ما تتصل المدن البيزنطية المحصنة فيما بينها بعدد كبير من المعسكرات والمحارس والأبراج الشديدة التحصين وحسنة التموين، مهمتها حراسة الحدود ومراقبة تحركات القبائل ومنع تسللها إلى ما وراء اللـيّمس، كما كانت تمثل قواعد للحملات العسكرية الموجهة لإخضاع البلاد الخارجة عن سلطة الاحتلال البيزنطي [1].

فقد قام البيزنطيون بتعزيز هذا الخط الدفاعي الأول limesبخط دفاعي ثاني مشكل من عدد كبير من القلاع تنتشر داخل الأراضي البيزنطية وتحتل المواقع الاستراتيجية بها، بحيث تعمل على الحدّ من تحركات القبائل الموّرية، إضافة لاتخاذها ملاجئ يحتمي بها السكان أثناء الحروب [2]. ومن أهم هذه القلاع قلعة طبنة Thubunae التي بناها البيزنطيون غرب الطريق الروماني الرابط بين تازولت Lambaesis وبسكرة Vescera لسدّ الطريق أمام الغزاة القادمين من الجنوب والمتجهين إلى سطيف Sitifis عبر واد بيطام وواد بريكة، والسيطرة على سهول المسيلة الشرقية على الحدود بين نوميديا وموريطانيا السطيفية 3.كما نشير إلى قلعة بشيلقة (Zabi Justiniana) التي أعاد صولومون « Solomon » بنائها حوالي سنة 540، وقد بلغ محيط سورها مائة وخمسون متر طولا ومائة وعشرون مترا عرضا، في حين كان

1- Diehl (Ch), op.cit., p 142.

2 -Gsell (St), Les monuments antiques de l'Algérie, 2, pp 349-350.

3 -Diehl (Ch), op.cit., p 250.

يبلغ خلال الفترة الرومانية أربعة آلاف متر وهو ما يدل على تراجع كبير لمساحة المدينة التي تعرضت للتخريب على يدّ الوندال [1].

كما وجدت قلاع أخرى تحمي السهول والمسالك الطبيعية بين الجبال، كقلعة عين زانة Diana Veteranorum التي تحرس السهل المنفتح غربا نحو زرايا Zaraï وسطيف Sitifis وتسد المنفذ الضيق القادم من بلزمة Lamsorta 2، وقلعة راس الواد Thamallula التي تحمي حدود موريطانيا السطيفية الغربية وتتحكم في المجرى الأعلى لواد القصب ورافده واد الغدير [3].

و استرجعت طبنة Thubunae في غرب الأوراس أهميتها العسكرية التي أولاها لها الرومان أهمية باعتبارها حارسة الممر الطبيعي بين السفوح الغربية للأوراس وسهول المسيلة الشرقية، فصارت تتحكم في هذا المعبر الاستراتيجي [4]، وفي موريطانيا السطيفية وكانت قلعة بشيلقة (Zabi Justiniana) تراقب وتقيّد تحركات قبائل جبل بوطالب وتمنع غاراتها على سهول المسيلة الجنوبية، كما تقيّد تحركات قبائل البدو الصحراوية القادمة

[1] -C.I.L.VIII, 8805 ; IRA, 3457 ; Poulle (A), op.cit., pp 196-197 ; Feraud (ch), «Histoire des villes de la province de Constantine », R.S.A.C, 15, 1871-72, p 49.

[2] -Ragot (W), op.cit., p 226.

[3] -Pelletier, « Entre Setif et Bou Taleb », R.Af, 5, 1861, p 453 ; Gsell (St), Les monuments antiques de l'Algérie, 2, p 375.

[4] -Grange (R), « Monographie de Tubna (Thubunae) », R.S.A.C, 35, 1901, p 35-36.

من الجنوب عبر الشطوط [1]، أما قلعة راس الواد Thamallula فكانت تحمي سكان المقاطعة من قبائل المسيلة [2].

كان تأسيس طبنة وزابي بغرض تأمين المنطقة الممتدة شمالي شط المسيلة من هجمات رحل الجنوب الذين اعتادوا الانتجاع الموسمي في هذه النواحي [3].فقد أقاموا على الحدود قلاعا معزولة كبيرة نسبيا تراقب البلاد المجاورة وتصلح كملاجئ آمنة لإيواء سكان السكان المجاورة . [4] وانتشرت في سهل المسيلة مراكز عسكرية من الطراز الأول كانت فيما مضى قلاعا رومانية حولها البيزنطيون إلى حصون قوية على غرار طبنةThubunae، قصر بلزمةLamsorta، راس الواد Thamalla، تصل بينها أبراج Turres ومحارس Burgi مغلقة السهول والفجاج بإحكام، وهي تنتمي لنفس النمط الهندسي. [5]

استعمل البيزنطيون في تشييد منشآتهم الدفاعية كل ما وقع تحت أيديهم من مواد البناء في عجالة واضحة بدافع الظروف، حيث استعانوا بالتيجان، قواعد الأعمدة، السقف، شواهد القبور، النصب وغيرها.بل

[1] -Grange (R), op.cit., p 66, Feraud (M.L), op.cit., p 50 ; Gsell (St), Graillot (H), « Ruines romaines au nord de Batna», p 507.

[2] –Pelletier, op.cit., p 454 ; Gsell (St), « Satafis et Thamalla », M.E.F.R, 15, 1895, pp 63-65 ; Gsell (St), Recherches archéologiques en Algérie, pp 270-271.

[3] -Diehl (Ch), L'Afrique Byzantine Histoire de la domination 4

Byzantine en Afrique (533-709) , Paris , Leroux ,1896 , p91.

[4]du VII[e] au XI[eme] siècle, Alger, O.P.U, 1986, pp19-20

-Cambuzat (P.L), L'évolution des cites du tell en 5

[5]– Diehl (Ch), Op.cit., p172

لجأوا كثيرا إلى تدمير العديد من المباني والمنشآت وحولوها إلى محاجر أخذوا منها حاجتهم من المواد.وكانت القوانين تسمح لهم بهذا النوع من الأعمال التخريبية للضرورة العسكرية. [1]

إن ما نعرفه عن هندسة المنشآت العسكرية عند البيزنطيين بهذه البلاد القائمة على دمج المنشآت الرومانية التي كانت لاتزال منتصبة وفي حالة سليمة في عمائر هم توفيرا للوقت والجهد، .وتحويل مدن بأكملها إلى قلاع مثل حصن هنشير سيدي عمارة الذي كان منشأة دينية رومانية، وقسم من قوس ماكرينوس بعين زانة البيزنطي الذي ليس إلا القلعة التي أعيد ترميمها وتوظيفها، يجعلنا متأكدين بأن زابي جوستنيانا وطبنة شيدتا بنفس الطريقة.وأن هذا الأسلوب في العمارة العسكرية الذي ينفرد به البيزنطيون هو سر قدرتهم الهائلة على زرع ذلك العدد الكبير من القلاع في المسيلة في وقت قياسي. [2]

لقد أدمج البيزنطيون في سور قلعة زابي التوابيت وقطع المنحوتات خبط شعواء كلبنات أو حشوة لملئ الفراغ بين أسوارها، فوجدنا القطع الحجرية الضخمة المنحوتة تجاور الحجارة العادية في غير انتظام .وحتى أسس الأسوار لوحظ أنها غير مستوية الارتفاع.وعولج هذا المشكل بزيادة سمك طبقة الملاط التي تعلوها قبل الشروع في بناء الجدار.وكلما ارتفع السور نحو الأعلى اعوج بنيانه وبرز مائلا نحو إحدى الجهات، كما أن الحجارة المنحوتة تختفي لتخلفها كتل حجرية غير متناسقة تشوه مظهر الأبراج .وللاقتصاد في استعمال الحجارة المنحوتة لجأ المهندسون البيزنطيون عند

[1] -Novellae, 120, 1.

[2] -Diehl (Ch), Op.cit., p181.

بناء السور على الأقل في قسمه العلوي إلى ترك فراغات بين الكتل الحجرية المشكلة لواجهتي السور الداخلية والخارجية، ثم ملئوها بخليط من المواد الحجرية المفتتة والحصى. [1]

بعد انحسار الوندال من بلاد المغرب لم يحرص البيزنطيون على الإكثار من الأبراج في القلعة خاصة في المسيلة التي تمتاز بالانبساط إلا في الجهات الخطرة المهددة بالهجوم، وهنا كانوا يبنونها بكثرة بالغة لتأمين جيد للدفاع .لكن في المواضع التي سمحت فيها طبيعة الأرض بتغطية دفاعية قوية للمدينة، كانت الأبراج قليلة جدا ومتباعدة عن بعضها البعض .ولجأ البيزنطيون امتثالا لأوامر إمبراطورهم جوستنيانوس Justinianus 2، وحرصا على استعمال أقل عدد من الجنود في حماية الحصن بسبب ضعفهم العددي وشساعة البلاد إلى تقليص مساحة المدينة الرومانية كثيرا بحيث يكفي لحراستها والدفاع عنها فرقة صغيرة من الجند.

قلعة قصر بلزمةbelezma:

تقع بلزمة في مرتفعات بلزمة الحدود الشمالية الشرقية لاقليم المسيلة وموقع بلزمة الروماني يقع الى الشرق من زابي zabiو من طبنةthubunae، لم تذكر كثيرا في الكتب الاثرية كمدينة وقد تكون عبارة عن حصن عسكري في اطار خطوط الدفاع العسكرية وهي عبارة عن قلعة قصر بلزمة لم يبقى من آثارها شئ كبير، يبلغ طولها 125 متر وعرضها 112 متر .ولها أبراج في زواياها الأربعة يبلغ محيطها 10، 70م

[1] -Diehl (Ch), Op.cit., pp176-178.

[2] -Cod.Just., I, 27, 2, 14.

و 9، 30م، ويبلغ سمك الجدران 2، 50م، والأبراج 2، 50م و2، 70م.وكان سكان السهول المجاورة يجدون فيها ملجئا على عهد البيزنطيين، ثم صارت مدينة مهمة في العهد الإسلامي. [1]

قلعة طبنة:thubunae

اشتهرت طبنة كمدينة إسلامية بداية الفتوحات بالمغرب واستعملها الاغالبة مركز لإمارتهم على منطقة المسيلة وقد كانت طبنة عبارة عن قلعة بيزنطية استعملت في أواخر أيامها كمحجرة من قبل القائمين على مشاريع البناء.وقد أجرى بها الباحث الأثري غرانج Grange سنتي 1900-1901 تنقيبات سمحت بالتعرف على بوابتها ومواقع الأبراج.بلغت ناحيتها الجنوبية عن سور قديم طوله 760م وعرضه 640 م أحاط بالمدينة الرومانية الكبيرة التي لم يتبقى منها سوى الأطلال.[2] وتعد طبنة من المدن الرومانية الهامة وكثيرا ما نسبت اليها بقية المواقع الجغرافية مثل شط المسيلة الذي عرف بشط طبنة thubunae salinae

وفيما يخص طبنة، يقول ابن عذاري: "لما وصل [عقبة بن نافع سنة 63هـ/ 682م] إلي مدينة طبنة [في قلة من أصحابه] ... نظر الروم إليهم... فأغلقو باب حصنهم [المقام بطبنة]، وجعلوا يشتمونه ويرمونه بالحجارة والنبل، وهو يدعوهم إلى الله عز وجل.وهي حسب رواية ابن

1- Gsell (St) , Les monuments antiques de l'Algérie , 2 ,Paris , Fontemoing , 1901 ,p373.

[2] Gsell (St), – Op.cit.,., p374-375.

عذارى حصن عسكري دفاعي كامتداد لخط الليمس الجنوبي اكثر منها مدينة رومانية .

مثلت طبنة احدى المدن الرومانية الهامة اثناء العهد الامبراطوري المتاخر، وتعدى دورها الجانب الاقتصادي الى الجانب العسكري، حيث كانت احدى القلاع العسكرية المتقدمة بعد تراجع الليمس منذ 238 م

وجدت بمدينة طبنة الكثير من النقوش الرومانية التي ترجع الى العهد الامبراطوري المتاخر والتي حملت عبارات التقدير للاباطرة، ولذلك دلالات على مدى تحضر المدينة وتواجد اهل العلم والفكر بها وخاصة الاساقفةالذين كانوا ضمن اساقفة قرطاجة لعام 256م، الا انه ومنذ فترة الاظطهاد الديني بفعل حركة التنصير منذ قسطنطين الاكبر لم تعد طبنة تحافظ على وظائفها السابقة، وتحولت طبنة ضمن المقاطعة الادارية لسطيفيس او السطايفية مما جعلها تنتعش قليلا، فاقيمت بها شبكات الري والاسوار التي دلت اكثر على مدى اتساعها وكثرة سكانها [1]

وخلال العهد البيزنطي تحولت الى مركز عسكري هام وشيد بها البيزنطيون اسوار ومباني على انقاض المدينة الرومانية القديمة وقد خلد العرب الجغرافيون اوصافا لها في كتب كثيرة، وذكرت الطرق التي ربطتها بالاقاليم المجاورة للحضنة كما ورد في كتابات الاثري ستيفان قزال ومن قبله ماسكوري masqueray منذ 1876.ومن بعدهما قرانج وبراديز.

[1] البشير الشنيتي :المرجع السابق, ص 167.

ترك البيزطيون منشات هامة بطبنة استطاع الباحث سولي soule ان يقدمها لنا في تقريره الاداري حول الاشغال الهيدرولوجية القديمة بالجزائر.

قلعة رأس الوادي Thamalla:

لا تعتبر قلعة راس الوادي من جغرافية المسيلة بل من مدن التل ولا ترتبط بها الا لكونها رأس انحدار المياه نحو وادي القصب، أطلالها كان قد أصابها الضرر الكبير في نهاية القرن 19، وهي مربعة الشكل طول ضلعها 110متر ومجهزة بثمانية أبراج؛ أربعة في الزوايا وأربعة أخرى في وسط واجهاتها. وبوابتها ربما كانت في برج الواجهة الجنوبية.

منذ وقت مبكر احتل الرومان المنطقة مابين شط المسيلة والجبال التي تؤلف الحزام الشرقي لهذه المنطقة، وهي إحدى نقطتي العبور الضرورية للبدو القادمين من الجنوب والمرغمين على الالتفاف على الشطوط من الشرق أو الغرب للذهاب شمالا إلى سهول سطيف.فأقاموا بين واد بيطام وواد بريكة قلعة طبنة Thubunae التي تحكمت في كل المنطقة المكشوفة المفتوحة جنوبا باتجاه مدوكال.فراقبت كل المسيلة الشرقية وأمنت استقرارها كما سبق ذكره.

وإلى الغرب منها نصادف حصن قصر بلزمة المشرف على سهل واسع والمسيطر على كل الطرق التي تؤدي إليه، حارسا بذلك المعا بر

المفتوحة الموصلة إلى الشمال[1].كما نصادف برومـاد الطـود رصـد حصـن بـدا بيزنطيا حسب باين، كان مربع الشكل طول ضلعه خمسون مترا .[2]

إلى ذلك احتل البيزنطيون المجـرى الأعلـى لـواد القصـب ورافـده واد الغدير أين أنشأوا حصنا مربعا كبير نسبيا.وبرأس الواد أقـاموا قلعـة مهمـة جدا سمك جدرانها 50، 2 م ومزودة بأربعة ابراج مربعة.

لقد ظلت هذه التحصينات البيزنطية بالمسيلة قائمة حتى القرن الحادي عشر الميلادي، حيث تحدث الرحالة العربـي البكـري عـن زابـي ووصـف أطلالها قائلا : وبقبلى مدينة المسيلة موضع يعرف بالقباب فيه قباب من بنيان الأول، وعلى مقربة منها مدينة للأول خربة يقال لها بشيلقة فيهـا جـدولان من ماء عذب جلبه الأول إليها .

مملكة الحضنة :

رغم ان تسمية الحضنة تسمية عربية، بحيث لم تكتب كذلك الا خلال الفـترة الاسـتعمارية الفرنسـية، ولم ةنعثـر في كتـب التـاريخ القديمـة عليهـا صراحة، لانه ومـما لا جـدال فيـه أن البـاحثون الفرنسـيون حرصـوا علـى التنقيب على المدن الرومانية والبيزنطية وإبراز مظاهر ازدهارهـا وتاريخهـا في حين اغفلوا جانبا هاما من تاريخ منطقة المسيلة خلال المرحلة الانتقاليـة بـين حكم الوندال والرومان البيزنطيين أين تكونت ممالك بربرية عرفت بممالـك المور في الكتابات الفرنسية، ويعود ظهورا حداها أي مملكة المسيلة(سـنطلق

[1] Gsell (St), – Op.cit., ., p374-375.
[2] Gsell (St.), A.A.A, F25, n°99

هذه التسمية على الاقليم الجغرافي للحضنة الحديثة) إلى النصف الأول من القرن الخامس الميلادي حسب النقيشة التي اكتشفت بضواحي أريس بجبال الأوراس سنة1942 هذا نصها :" إجلالي لآلهة الأرواح أنا ماستياس كنت دوقا مدة 67 سنة وإمبراطور مدة40سنة، ما نكثت يمينا أبدا ولانقضت عهد التزمت به نحو الرومان أو المور.فكنت شديد البأس في الحرب كما في السلم، فباركني الإله وكان بجانبي نظرا لأعمالي الجليلة .أنا فرتايا شيدت هذا البناء بمساعدة إخوتي فكلفنا مائة دونيي. "[1]

إن مسالة البحث في آثار العهد الاسلامي بقيت تاخذ مكانة متواضعة نظرا قلة المصادر التاريخية حول مملكة المسيلة التي لم تذكر في المصادر اللاتينية باسم المسيلة بقدر ما ارتبطت بمملكة زابي التي تعد اكبر مظهر عمراني للوجود البيزنطي بالمسيلة الحالية وتعد النقيشة التي وجدت الدليل المادي الوحيد على وجود مملكة قوية بمنطقة المسيلة مستقلة تماما عن الرومان. ويرى الباحثون كورتوا Ch.Courtois، موريزو P.Morizot، وفيفريي P-A.Fevrier أن ماستياس Mastias، المذكور في النقيشة كان ملكا على إحدى القبائل المورية القوية المقيمة على حدود ليمس المسيلة Limes Zabenses، ثم حصل على لقب دوق Dux سنة 429 من طرف بونيفاكيوس Bonifacius الحاكم الروماني لشمال إفريقيا عشية الغزو الوندالي، لأنه كان بحاجة إلى شخصية قوية محلية يثق بها وبقدرتها على مراقبة الليمس والمحافظة على مصالح الرومان في هذا القطاع منه الذي كان ذا أهمية عسكرية وإستراتيجية لتحكمه في الطرق المؤدية إلى السهول العليا

[1] -A.E, 1945, n°97.

الشرقية بموريطانيا السطيفية ونوميديا .ثم أعلن ماستياس نفسه إمبراطورا سنة 455 أو 456 تاريخ وفاة الإمبراطور فالانتنيانوس الثالث ValentinianusIII وتوفي فس سنة 495 أو 496.[1] في حين يرى جيروم كاركوبينو J.Carcopino خلافا لذلك أن ماستياس نصب دوقا سنة 449، وتلقب بالامبراطور سنة476 تاريخ سقو ط مدينة روما بيد القوط وتوفي سنة 516 [2]. وعليه يعود ظهور هذه المملكة إلى سنة 429 أو سنة449.

وتشير العبارة الواردة في النقيشة ومفادها أن ماستياس لم ينقض العهد الذي كان يجمعه بالمو والرومان، إلى أنه مد سلطته على منطقة كان يقيم بها خليط من المور وأحفاد الجنود الرومان وأنه بقي في خدمة الرومان، إذ كان بمثابة وسيط بين من ظل منهم المسيلة وغرب الأوراس بعد زوال الاحتلال الروماني وبين الموريين المقيمين وراء الليمس.[3]

وقد اتفق الباحثون المذكورون سابقا وأيدهما غابرييل كامبص Camps G. المعروف بكتاباته العنصرية الاستعمارية في أن فرتايا Vartaia المذكور في النقيشة والذي خلد ذكرى ماستياس هو نفسه أورتياس Orthaias [4]، الذي قال عنه المؤرخ البيزنطي بروكبيوس Procopius أنه كان ملكا على

[1] -Courtois (Ch), Les Vandales et l'Afrique, Paris, Arts et métiers graphiques, 1955, p388; Morizot (P) , « Chronique archéologique Africaine », B.C.T.H.S, 22, 1986, p 262.; Février (P.A), « Masuna et Masties », Ant.Afr, 22, 1988, pp143-146.

[2] -Carcopino (J), : « Encore Masties l'empereur maure inconnu », R.Af, 100, 1956, pp 344-345.

-Février (P.A) :, Approches du Maghreb romain 2

2, Aix-en -Provence, Edisud, 1989,

-1-Camps : sur « Rex gentium Maurorum et Romanorum. Recherches , Ant. Afr , les royaumes de Mauretanie des VI^{eme} et VII^{e} siècle » pp 198-199. , 1984 ,20

غرب الأوراس والزاب [1]أكثر من ذلك شدد كورتوا Ch.Courtoisعلى أن أورتياس خلف ماستياس في حكم المملكة بعد وفاته، وأنه أقام هذا التذكار سنة 535م عندما صحب القائد صولومون في حملته لأولى على جبال الأوراس .غير أن كاركوبينو يعتقد أنه خلفه سنة 516م، وأن تاريخ النقيشة يعود إلى مابين سنتي 516و533م. [2]

وليس من المؤكد ان هذه النفيشة التي اعتمدت في اعتبار مملكة المسيلة هي المقصودة لانها حدودها امتدت حسب المؤرخون من واد الشلف Chylimath Flumen شرقا حتى جبال الأوراس غربا خلال حكم ماستياس، بينما اعتقد كورتوا أن مملكة ماستيناس الواقعة بموريطانيا القيصرية كانت تحدها غربا خلال حكم أورتياس وشرقا جبال الأوراس وشمالا سهول سطيف ممتدة بذلك في الإقليم السهبي الواقع بين جبال الأوراس ووادي الشلف حيث كانت المسيلة تشكل منطقته الرئيسية .وحصرها دولابلانشير R.DeLa Blanchère بالمسيلة نفسها أين تحدها جبال القصور جنوبا وجبال عمورغربا [3].وهو رأي يتفق جدا ما ذكره بروكبيوس حين أشار إلى أنها كانت متاخمة للصحراء.واختفت هذه المملكة من المشهد السياسي لبلاد المغرب القديم باحتلالها من طرف البيزنطيين وضمهم لمنطقة الزاب والمسيلة إلى مناطق احتلالهم.

---

[1] Procopius, Bell.Vand., II, 13, 28

[2] Courtois (Ch):, Op.cit., pp341-347;Carcopino (J), Op.cit., p339.

[3] -DelaBlanchere (R) , Voyage d'étude dans une partie de la Maurétanie Césarienne , Paris , imprimerie nationale , 1883 , p92:Carcopino (J) ,Op .cit. ,p347.

الوضع الاقتصادي لمنطقة المسيلة
فترة الاحتلال الروماني

لا نملك الكثير من المعطيات الاقتصادية حول منطقة المسيلة فترة الوجود الروماني القديم، ورغم أن المعطيات الجغرافية لا نعتقد أنها تغيرت كثيرا بين الفترة الرومانية والإسلامية باعتبار وجود قبائل الجيتول البدوية الرعوية، لذلك ورثت قبائل المسيلة منذ فترات سابقة نمط الترحال وراء الكلأ باعتبارهم رعاة للمواشي التي مثلت عصب الحياة عندهم سواء قبل الهجرة الهلالية او بعدها، وان لم نجد إشارات قوية عن مستوى هذه الحرفة فقد شكلت الى جانبها الزراعة العمود الفقري لاقتصاد المدن الرومانية بمنطقة المسيلة مثل مدينة المسيلة وطبنة وتارمونت وفاقس، ومن بين المزروعات التي ذكرت كثيرا وشكلت إحدى استراتيجيات تأسيس خط الليمس بالمسيلة زر اعة الحبوب القمح والشعير ووصفت مدن تارمونت وفاقس مطورات الحبوب التي كانت تصدر لروما كما كانت الى جانب ذلك زراعة والكروم والزيتون التي تدلنا عليها بقايا مطاحن الحبوب ومعاصر الزيتون التي وجدت في المواقع السالفة الذكر، وكان من الطبيعي أن يترتب عن هدا الازدهار الذي عرفته الزراعة ووفرة قطعان الماشية وظهور صناعة تحويلية كصناعة الزيت والكروم والغزل والحياكة نظرا لوفرة المادة الأولية، ضف إلى دلك الصناعة الخزفية، بحيث كشفت التنقيبات العائدة للنصف

الثاني من القرن التاسع على أن مدينة زابي كانت تتوفر على ورشات صناعة الفخار، دلت عليها بقايا الفخار وأفران الشي، ويظهر أن الصناعة قد بلغت مستوى راقيا حسب عينات الكسر المنتشرة في المنطقة ما أهلها أن تكون قطبا صناعيا متميزا، حيث يتوفر الطين الملائم لصنع الفخار بجنوبي المدينة.

واضافة لنشاط الرعي والزراعة و بحكم الموقع الوسيط لمدينة المسيلة بين أقاليم التل وأقاليم الصحراء فقد وجد النشاط التجاري هو الآخر رواجا نتيجة العلاقات التجارية التي ربطت المنطقة بالمدن الشمالية التي كانت تمونها بالمنتجات المحلية والأجنبية، وتزودها بالمقابل بسلع التل سواء للاستهلاك المحلي أو لتبحر بها السفن نحو روما هذا من جهة، ومن جهة أخرى للعلاقات التجارية التي ربطتها بالرحل، هؤلاء الذين تشترى منتجاتهم وتبيع لهم منتجاتها، كما تقوم الوساطة بينهم وبين المناطق الشمالية، بحيث تزودهم بالسلع التى تجلبها من الشمال مثلما تزود مدن الشمال بمنتجات الرحل إلا أن حال المدن الرومانية لم يكن مشابه فى نسق الحياة والانشطة الاقتصادية حال مدن المور الأهالي.

اما طرق المواصلات يمكن اعتبار شبكة الطرق الإسلامية التي وجدت بمنطقة المسيلة امتداد للطرق الرومانية القديمة وهي طرق عسكرية اكثر منها تجارية وكان للحركات العسكرية الحثيثة خلال القرنين الثاني والثالث أثره الواضح على رواج النشاط في منطقة المسيلة، حيث مدت بها شبكة طرق طوقت منطقة الإنتاج الزراعي ووصلت الاطار الأنسب والأسهل لتنقل الأفراد والجماعات بها كما كانت تمثل رابطة بين المراكز العمرانية

كطبنة وتارمونت وارأس واوزيا وغيرها، ويسرت حركة النشاط التجاري والأسفار ووتنقل الجيش، فكان لهده الترتيبات الرومانية أثرها على مدينة زابي zabi، بحيث ومند النصف الأول للقرن الثالث تم تشيد طريق ربطها بمعسكر تارمونت، قدر دليل رحلة أنطونينوس أغسطس المسافة الفاصلة بينهما 18 ميل، غير أن قزيل Gzell يعتقد بأن هدا الأخير قد أخطأ في تحديدها، بحيث أنها تفوق دلك لتصل إلى حوالي 23 ميل، كما ربطت المدينة بطريق آخر يؤدي إلى هنشير الرمادة على بعد 30 ميل ، كما لا يستبعد قزيل بأن تكون المدينة قد ربطت بمنطقة برج بوعريريج عبر طريق يخترق إقليم مجانة مرورا بوادي القصاب ليصل على إكيزيتوم عل على بعد 13 كيلومتر إلى شمال من تراب هده المنطقة، ومهما يكن فان الأنشطة الاقتصادية التي عرفتها منطقة المسيلة خلال العهد الروماني لم تزد عن منتجات زراعية هامة كالقمح والشعير والفول وحيوانية كالجمال والاغنام والماعز، استعملت مشتقاتها في صناعات تقليدية لاهداف حربية ومعيشية متنوعة.

الوضعية الدينية

اذا كانت إشارات الكتاب الفرنسيون حول مسالة وجود الكنائس والأساقفة بمنطقة المسيلة واضحة عند العسكريين والمدنيين الرومان فان المعتقدات الدينية لسكان المنطقة وكغيرها من بلاد االمغرب قد طغت عليها ممارسة البربر لطقوس الديانة الوثنية البدائية كتقديس الحجارة والأشجار وبعض الحيوانات والأنهار والمغارات وإقبالهم على عبادة الآلهة الوثنية المحلية منها والأجنبية حتى وإن لم تخلف الشواهد المادية الدالة عليها. وخلافا لدلك تتوفر بعض النصوص الأدبية حول انتشار المسيحية بالمنطقة مند وقت مبكر بحيث كانت أسماء بعض الأساقفة المدينة قد وردت على لسان الأسقف أوبتاتوس الميلي، وهو ما يبرهن على وجود مجتمع حضري ذي قابلية لهضم الأفكار الدينية الجديدة وتجديد معتقداته تملركز في اهم المدن الرومانية كطبنة وزابي واراس وغيرهم، غير أننا نجهل ما حدث بزابي من جراء الاضطهاد الديني الذي تعرضت له حركة التنصير على يد السلطة قبل أن تصبح المسيحية دين الدولة ابتداء من عهد قسطنطين، كما نجهل كل شيء عما يكون قد حدث بين أتباع النحلة الدوناتية المنشقة عن الكنيسة الرسمية الموالية للإمبراطور، وأتباع هده الأخيرة وهو شقاق كان عنيفا ترك بصماته في العقيدة والسياسة والمجتمع على السواء، ومما تجدر الإشارة إليه أنه قد ورد ذكر ممثلي المدينة المسيحيين في قائمة الأساقفة الدين حضروا إلى مجمع قرطاجة سنة 484 م مما يدل على أنها كانت لا تزال تتمتع بالحيوية رغم الحكم الوندالي الموصوف بأنه ساهم في تخريب العمران بشمال إفريقيا.

تطور مدينة المسيلة بعد الفتح الإسلامي

يمكن القول ان الفترة الاسلامية هي الفترة التي حققت خلالها مدينة المسيلة تميزها عن المواقع الرومانية التي ارتبطت بها كزابي او بشيلقا وحققت ازهى ازدهارها ورقي حضارتها وذكرت كثيرا في مؤلفات الرحالة والجغرافيون والمؤرخون العرب. يذكر الكتاب العرب ان ظهور العرب الفاتحين بمنطقة المسيلة والمسيلة يعود الى النصف الثاني من القرن السابع الميلادي [1]عندما حل عقبة بن نافع فاتحا أمام مقاومة كسيلة والبربر بمنطقة طبنة في شرق المسيلة حيث جعلها كسيلة مركزا لقيادته كما شهدت مدينة المسيلة البربرية بداية الفتح وقائع عسكرية عديدة كانت أهمها التي جمعت جيوش الفاتحين المسلمين مع قبائل البربر والرومان على وادي القصب الذي سمي عند العرب بوادي سهر بسبب القتال الطويل الذي جعلهم يسهرون طويلا في مقاتلة الرومان والبربر وكان ذلك في حدوح النصف الثاني من القرن السابع الميلادي، و لا نملك السنة التي وقع فيها القتال بالضبط.

وخلال عملية الفتح الاسلامي لبلد المغرب استطاع العرب الفاتحون من الوصول الى بلاد المغرب بعد انتهائهم من فتح مصر، وقد استغرقت عملية الفتح أكثر من سبعين سنة، لعوامل كثيرة تعود بالدرجة الأولى إلى

[1]– Kaddache, (M) :op-cit ;p9

مناعة البلاد[1]، وشدة مراسهم ومشاكل المسلمين على أيام الفتنة الكبرى التي نشبت بين المسلمين في مسالة الحكم الذي وقع بين صاحب علي وصاحب معاوية، بعد مقتل عثمان بن عفان (23-35هـ/ 643-655م) كذلك بعد المسافة بين إفريقية والمغرب .عكس الفتوحات الإسلامية التي تمت في وقت يسير عند فتحهم للشام والعراق ومصر حيث استغرقت سوى عشر سنوات.

بدأ ظهور العرب الفاتحين بمنطقة المسيلة في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي، عندما بدأ عقبة بن نافع بن عبد القيس بن عامر بن أمية بن طوف بن الحارث بن فهر بن مالك أبي قريش بن كنانة[2] ولايته الأولى للمغرب (امتدت من 50-55هـ/ 658-663م) ولكن للوشايات عزل. وولي مرة ثانية عندما قدم من عند يزيد في الجيش لغزو المغرب، مر على عبد الله بن عمر وهو بمصر، فقال عبد الله بن عمر: "يا عقبة لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برجالهم."[3]

وكان أكثر حماسة في الجهاد ورفع راية الإسلام، فبدأ حملاته العسكرية من قاعدة القيروان، ثم عزم عقبة في سبيل الله، وترك بها جندا من

([1])- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب، بيروت، 1964، ص14.

([2]) - يحي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 1400هـ/ 1980م، ج1، ص 165.

([3]) - عبد الرحمن 0بن محمد بن عبد الله الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المطبعة العربية، تونس، 1320ه، ص129.

المسلمين واستخلف عليهم زهير بن قيس وأحضر أولاده وأوصاهم فقال لهم "إني بعت نفسي من الله عز وجل" ثم سار في عسكر عظيم[1].

يقيم عليهم، فمضى إلى بليش من أعظم فخرجوا إليه في جمع كبير فقاتلهم قتلا ذريعا، وأخذ لهم كثيرة حيث كانت نتاج خيل الأوراس خيلا المطل عليها، ودخل على الروم حصنهم فكره أن مدن الروم، فلجأ إليها من كان حولها منهم وخرجوا إليه فقاتلوه قتالا حتى ظن أنه الفناء، فهزمهم وتبعهم إلى باب حصنهم وأصاب غنائم كثيرة[5].

وكره المقام فرحل إلى بلاد الزاب[2] فسأل عن أعظم مدائنهم قدرا فقالوا مدينة "أذنه". ومن العجب أن عقبة لم يوفق في الاستيلاء على مدينة صغيرة كهذه تدل الدلائل كلها لم تكن إلا محرسا صغيرا هجره الروم منذ زمن طويل.

يشير ابن الأثير :(ت630هـ/ .1232م) "إن عقبة سار إلى بلاد الزاب وهي بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصد مدينتها العظمى واسمها

([1])- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب, تحقيق :المنجي الكعبي, الناشر, رفيق السقطي, تونس, 1387هـ/ 1968م, ص 41 .
-نفسه, ص42.)5(

([2])1- الزاب: هي بلاد واسعة تتضمن مدن و أقاليم شتى هي باغاية, تبجس, ميلة, سطيف, لبرهة, نقاوس, طنجة, مقرة, اربه, المسيلة. انظر: أحمد بن اسحاق اليعقوبي: البلدان, تحقيق: محمد أمين ضناوي, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 1422-2002, ص190.

"أربة"[1]. فامتنع بها من هناك من الروم والنصارى وهرب أغلبهم إلى الجبال والوعر. ونزل واديا بينه وبينها ثلاثة أميال"[2].

فلقوه عند الوادي عرف بالوادي المسيلة على حسب قول ابن عذارى (ت 712هـ/ -1312م)[3].وكان ذلك وقت المساء فكره قتالهم في الليل فوقف القوم ليلهم كلهم ساهرين فسمي بواد (سهر) أو (سحر). وفي الصباح أمر بالقتال وكانت بينهم حرب ما رأوا قط ممن حاربوه مثلها، حتى يئس المسلمون من أنفسهم ولكنها انتهت بانتصارهم حيث قتل فيها أكبر فرسان البربر، فذهب عزهم من الزاب، وذلوا آخر الدهر ولم يشأ عقبة أن يحاصرهم بعد أن اعتصموا بحصونهم، فرحل عنهم إلى مدينة تيهرت التي استغاث أصحابها الروم بالبربر[4].

يشير ابن الأثير :(ت630هـ/ .1232م) "إن عقبة سار إلى بلاد الزاب وهي بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصد مدينتها العظمى واسمها

---

(2)- عز الدين أبو الحسن علي ابن محمد ابن الأثير: الكامل في التاريخ, تحقيق: أبو صيب الكرمي, بيت الأفكار الدولية, عمان, ج4, ص 527.

(3)- أبو العباس احمد بن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب, تحقيق : ج.س. كولان و ليفي بروفنسال, ط3, دار الثقافة, بيروت, 1983, ج1, ص 24.

(4)- نفسه, ج1, ص24.

(5)- الرقيق القيرواني: المصدر السابق, ص43.

"أربة"[1]. فامتنع بها من هناك من الروم والنصارى وهرب أغلبهم إلى الجبال والوعر. ونزل واديا بينه وبينها ثلاثة أميال"[2].

كما لا نستبعد وجود نسبة من البربر عاشوا الى جانب هؤلاء الرومان بمدينة زابي او بشيلقا و المناطق القريبة منها، أطلق عليهم ابن خلدون في سياق تصنيفه للمجتمع البربري حسب المعيار الاقتصادي وصف المستضعفين، المتخذين لمعاشهم "بالفلاحة ودواجن السائمة"[28]، اتخذهم الرومان عبيدا وخدما لهم، شأنهم في ذلك شأن كل استعمار عبر التاريخ البشري.إلا أن ابن خلدون متأخر كثيرا عن هذه الفترة للاعتماد على تصنيفه لقبائل المنطقة .

وعن موقف الرومان، و سكان هذا الشريط الجغرافي الواصل من الشرق إلى الغرب بين: "باغاية- دار دلول- طبنة- المسيلة- الرمانة- تاهرت القديمة" من الفاتحين العرب، فهو موقف مواجهة وتصادم عسكري مستمر بلا انقطاع، بل وصل بهم الأمر أن تحالفوا مع أعدائهم بالأمس: وهم البربر السكان الأصليون، ووقفوا بجانبهم ماديا ومعنويا. حيث قاتلوا هم والبربر صفا واحدا ضد العرب الفاتحين، كما حصل ا في معركة إقليم تاهرت.و توانى الرومان في تقديم النصائح للبربر، وتزويدهم بالخطط

1- عز الدين أبو الحسن علي ابن محمد ابن الأثير: الكامل في التاريخ, تحقيق: أبو صيب الكرمي, بيت الأفكار الدولية, عمان, ج4, ص 527.
2- أبو العباس احمد بن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب, تحقيق :ج.س. كولان و ليفي بروفنسال, ط3, دار الثقافة, بيروت, 1983, ج1, ص 24.
3)- نفسه, ج1, ص24.
4)- الرقيق القيرواني: المصدر السابق, ص43.

والأساليب العسكرية، إذ يكفي دليلا جليا على ذلك: الفاجعة الأليمة التي لم يصب العرب من قبلها في المنطقة، والمتمثلة في التصفية الجسدية لعقبة بن نافع، أحد كبار القادة الفاتحين العرب وللجيش الذي كان يرافقه بأكمله من قبل قبيلة أوربة البربرية، حيث كان الرومان هم الرأس المدبر لها.

وإن كانت غزوة عقبة بن نافع تلك للروم، بمثابة قاسمة الظهر، التي "أذهبت عزهم وملكهم من الزاب إلى آخر الدهر".

المسيلة خلال الفترة الاغلبية:

خضعت منطقة المسيلة بعد عمليات الفتح إلى سلطة الإمارة الأغلبية في الوقت نفسه كانت تعتبر منطقة حدودية مع الإمارة الخارجية الرستمية بتيهرت التي امتد نفوذها إلى السفوح الجنوبية الغربية للحضنة أحيانا.وخلال القرن الثامن الميلادي انقسمت بلاد المغرب إلى دويلات إسلامية ثلاث :الادارسة في المغرب الأقصى بفأس والرستمين في المغرب الأوسط بتهيرت والأغالبة في المهدية في المغرب الأدنى.

تعاقب امراء السلطة الأغلبية على منطقة المسيلة منذ سنة(148هـ/ 765م)، ففي ولاية الأغلب بن تميم بن سالم على إفريقية، يذكر ابن الأثير (ت 630هـ-1232م) أنه لما بلغ المنصور خروج محمد بن الأشعث من إفريقية، بعث إلى الأغلب بن سالم بن عقال بن حفاجة التميمي عهدا بولاية إفريقية [1] الذي حارب هذا الأخير الخوارج الصفرية بزعامة أبو قرة اليفرني لكنه هرب من غير قتال.

وخلال حكم الاغلبي عمر بن حفص حاول الاغالبة مد نفوذهم الى الجنوب ببناء حواضر لهم منها محاولة اعادة بناء مدينة طبنة القديمة، والمسيلة

1- ابن الأثير: المصدر السابق، ج 5، ص 827 .

بأمر المنصور، واستخلف على القيروان حبيب بن يزيد بن المهلب، [1] فخلت إفريقية من الجند ففر البربر إلى حبيب فقتل، واجتمع البربر بطرابلس وولوا عليهم أبا حاتم الإباضي فهزمهم، فساروا إلى قابس وحاصرهم أبو حاتم وعمر مقيم بالزاب على إمارة طبنة.

وأحاطوا بطبنة في اثني عشرا لف عسكرا منهم أبو قره الصفري في أربعين ألفا، وعبد الرحمان بن رستم في خمسة عشر ألفا، وعاصم السدارتي في ستة آلاف، والمسعود الزناتي الإباضي في عشرة آلاف فارس، وعلى رأسهم من خوارج صنهاجة وزناته وهوارة، وأعداد لا تحصى من البربر، غير أن ابن رستم آثر أن يعسكر في تهوذا، ليكون مددا لقوات لأبي قرة عند الحاجة [2].

و أمام هذا الوضع لم يجد ابن حفص وسيلة سوى إغراء أبي قرة بالمال وبريق الذهب، إلا أنه لم ينجح في ذلك، وعاود المحاولة مع أخ أبي قرة، الذي شرع في إثناء الصفرية على محاصرة العرب .

فلم يجد أبو قرة بدًا سوى الانصراف معهم، وعندئذ وجه ابن حفص جنوده إلى عبد الرحمن بن رستم المرابط في تهوذا فهزمه. وفي ولاية إبراهيم بن الأغلب الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الأغلبية الذي عينه الخليفة العباسي هارون الرشيد واليا على إفريقية[3].

2- أحمد بن عبد الوهاب النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب, تحقيق: مصطفى أبو ضيف احمد, دار النشر المغربية, الدار البيضاء, 1985, ص 233.

3 - ابن الأثير: المصدر السابق, ج 5, ص 82

1- عبد العزيز سالم: المرجع السابق, ج1, ص 353.

وبعد الأحداث التي شهدها المغرب من معارك خاضها العرب ضد البربر الصفرية، ومن حركات التمرد التي قام بها الجند، والفتن الطاحنة المتواصلة، أصبح هارون الرشيد يرى بأن انفصال المغرب عن الإمبراطورية العباسية ضرورة حتمية، وهذا ما دفعه إلى قبول ما عرضه عليه إبراهيم بن الأغلب عامل الزاب، وهو التسليم باستقلال ولاية إفريقية استقلالا جزئيا والاكتفاء بالتبعية الاسمية نظير مبلغ من المال[1].

وان كان السلاوي في كتاب الاستقصاء يذهب إلى أن عمر بن حفص ذهب لبناء سور حولها [2]أي بطبنة، وتعرضت حينها إلى محاصرة الخوارج الصفرية والاباضية والتي استمرت إلى سنة 154 هـ 770م. وخلال القرن الثالث الهجري تولى شؤون المنطقة من الاغالبة من موسى بن عياش والي إبراهيم الذي حارب بداية الدعوة الشيعية بجبل ايكان انطلاقا من طبنة [3].

لقد أدى موقع المسيلة الحدودي بين الإمارتين الرستمية والأغلبية إلى تحولها إلى محطة صراع ومد وجذب، خصوصا خلال النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي. فبعد أن استطاع الخوارج الصفرية بقيادة أبو الخطاب عبد الله السيطرة على المنطقة وفتح القيراون بعد تجميع قبائل زنانة وهوارة [4] استرجعها الأغالبة بفضل عمر بن حفص، ويزيد بن حليم بعد ذلك 768م/ 151 هـ ليعيد أبا قرة الخارجي حملته على المنطقة سنة 776م.

2- حسين مؤنس: المرجع السابق, ج1, ص 264.

3 - السلاوي :نفس المرجع ص:58.[2]

4 -ابن خلدون : المرجع السابق, ج4, ص39.[3]

[4]- Kaddache, (M):op-cit, p, 30.

ودفع الصراع المذهبي بالمغرب الإسلامي خلال القرن الثامن الميلادي إلى ظهور دويلات مستقلة متنافرة متصارعة في اطار السلطة والمذهب، حيث قامت دولة الأدارسة متخذين من مدينة فاس في المغرب الأقصى مركزا لنشر دعوتهم وسلطانهم، والرستميين الخوارج الإباضيين في المغرب الأوسط، وعاصمتهم تيهرت، والأغالبة في المغرب الأدنى بالمهدية، التي أخضعت إفريقية وصقلية .

وخلال الفترة الإسلامية الأولى التي أعقبت عملية الفتح، تعاقب على السلطة الأغلبية على منطقة المسيلة منذ سنة(148هـ/ 765م)، عدة شخصيات اسلامية نذكر اهمهم بعد ولاية الأغلب بن تميم بن سالم على إفريقية، حيث يذكر ابن الأثير (ت 630هـ-1232م) أنه لما بلغ المنصور خروج محمد بن الأشعث من إفريقية، بعث إلى الأغلب بن سالم بن عقال بن حفاجة التميمي عهدا بولاية إفريقية [1] الذي حارب هذا الأخير الخوارج الصفرية بزعامة أبو قرة اليفرني لكنه هرب من غير قتال.

كما ولي عليها عمر بن حفص الذي سار إلى الزاب، بما فيها المسيلة لبناء مدينة طبنة بأمر المنصور، واستخلف على القيروان حبيب بن يزيد بن المهلب، [2] فخلت إفريقية من الجند ففر البربر إلى حبيب فقتل، واجتمع البربر بطرابلس وولوا عليهم أبا حاتم الإباضي فهزمهم، فساروا إلى قابس وحاصرهم أبو حاتم وعمر مقيم بالزاب على إمارة طبنة.

2- ابن الأثير: المصدر السابق, ج 5, ص 827 .

1- أحمد بن عبد الوهاب النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب, تحقيق: مصطفى أبو ضيف احمد, دار النشر المغربية, الدار البيضاء, 1985, ص 233.

وأحاطوا بطبنة في اثني عشر عسكرا منهم أبو قره الصفري في أربعين ألفا، وعبد الرحمان بن رستم في خمسة عشر ألفا، وعاصم السدارتي في ستة آلاف، والمسعود الزناتي الإباضي في عشرة آلاف فارس، وعلى رأسهم من خوارج صنهاجة وزناته وهوارة، وأعداد لا تحصى من البربر، غير أن ابن رستم آثر أن يعسكر في تهوذا، ليكون مددا لقوات لأبي قرة عند الحاجة (1).

فلم يجد أبو قرة بدًا سوى الانصراف معهم، وعندئذ وجه ابن حفص جنوده إلى عبد الرحمن بن رستم المرابط في تهوذا فهزمه. وفي ولاية إبراهيم بن الأغلب الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الأغلبية الذي عينه الخليفة العباسي هارون الرشيد واليا على إفريقية(2).

2 – ابن الأثير: المصدر السابق, ج 5, ص 829 .

3– عبد العزيز سالم: المرجع السابق, ج1, ص 353.

المسيلة خلال الفترة الفاطمية

كانت الفترة الفاطمية بالنسبة لتاريخ المسيلة فترة انبعاث حضاري وسياسي، لانها مكنت للمنطقة ظهور حواضر اسلامية جديدة ومدن لعواصم سياسية هامة جعلت منها احيانا عواصم للدولة الاسلامية المركزية في المغرب الاوسط خلال الفترة الوسيطة

بدات الدعوة الشيعية بفضل عبد الله الداعي بمنطقة ايكجان الجبلية نهاية القرن الثالث الهجري، وامتد النفوذ الفاطمي الى الجنوب طامعا في حكم الاغالبة، وبدات مرحلة جديدة من القتال بين الامارات الاسلامية الجديدة في اطار الاختلاف المذهبي .

كان حاكم الاغالبة بمنطقة المسيلة انذاك بمقره بطبنة شيب بن ابي الشداد المعروف بشداد الصغير [1]، وكان على منطقة المسيلة ابن حبيش ودعا الاغالبة الى الاستعداد بجمع المال والعتاد من السكان لقهر الفاطميين لذلك شيب بن ابي الشداد استطاع تجهيز جيش قارب عدده 100 الف بين فارس وراجل اتجه به نحو منطقة ايكجان بعد ان عمل امير الاغالبة بالمسيلة الاغلبي ابن حبيش على بذل العطاء للناس بمنطقة الزاب لتاليبهم على الدعوة الشيعية التي بدات في الانتشار، الا ان جيش الاغالبة مني بهزيمة كبيرة

[1] – ابن ابي دينار محمد بن ابي القاسم الرعيني:كتاب المؤنس في اخبار افريقيا و تونس, ط1 مطبعة الدولة التونسية, 1286ه ص 54.

زادت من شوكة الشيعة في الوقت الذي كان فيه المهدي عبيد الله في سجن سجلماسة. [1]

امتد نفوذ الفاطميين بعد خروج الدعوة الى منطقة سطيف التي زحف اليها عبد الله الشيعي سنة 291/ 904 م بعد أن سيطر على مدينة ميلة 282/ 902م ثم حاصرت جيوش الفاطميين مدينة طبنة وبلزمة 292/ 905م أين كانت إمارة الاغالبة تحت رئاسة حسن بن احمد بن نافذ المعروف بابي المقارع، هذا الأخير الذي تحصن داخل مدينة طبنة مع أعوانه شيب بن ابي الشداد قائد الجيش مع فتح بن يحي بن القسيري صاحب العطاء الذي اهتدى الى طلب الامان من الفاطميين وكان له ذلك، وبذلك فتحت مدينة طبنة امام الفاطميين الشيعة الذين عينوا اميرا على منطقة طبنة والمسيلة انذاك هو يحي بن سليمان .

[1] -القاضي النعمان: افتتاح الدعوة, تحقبق فرحات الدشراوي, ص 173.

اعادة بعث مدينة المسيلة كحاضرة إسلامية كبرى

بناء مدينة المحمدية الفاطمية وعلاقتها بالمسيلة

تأسيس المحمدية او المسيلة الجديدة:

مسالة ظهور المدن الإسلامية بالمغرب عامة والمسيلة خاصة قد خضعت لعوامل عديدة، سياسية منها وعسكرية وحضارية وأحيانا جغرافية واقتصادية يذهب ابن أبى زرع الى القول أن أحسن مواضع المدن ينبغي لها أن تجمع خمسة أشياء، وهى النهر الجاري، والمحراث الطيب، والمحطب القريب، والسور الحصين والسلطان، إذ به صلاح حالها وأمن سبلها وكف جبابرتها.

ولا يتم هذا الأمر مسايرة لابن خلدون إلا على هضبة متوعرة من الجبل، وإما بإستدارة بحر او نهر بها، حتى لا يوصل اليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها. كما يراعى في ذلك للوقاية من الآفات طيب الهواء غير أن مدينة المحمدية في المسيلة شابهت إلى حد ما تأسيس القواعد العسكرية التى تحولت فيما بعد الى مدينة جامعة بين أهمية موقعها الجغرافي والطبيعي وإمكاناتها الاقتصادية، وكان لتأسيس هذه القواعد أثره فى تطور عمارة المدن

الإسلامية واللافت للانتباه إن مدينة المسيلة الجديدة وتبعا لهذه الشروط المعلن عنها لم تكن في موقع حصين يستحق جعله قاعدة عسكرية ىنظرا لانبساطها وسهولة اختراقها، فمن الصعب تنظيم الدفاع عنها لأنها بكل بساطة تقع فى سهل فسيح منبسط.

و يشير ابن حوقل فى مؤلفه (وصف الأرض) وهو الذي كان شاهد عيان خلال عملية بناء المحمدية في المسيلة من قبل الفاطميين الذين جعلوه احد أعينهم فيقول :و من مقرة الى مسيلة مرحلة وهى مدينة محدثة استحدثها على ابن حمدون الملقب بابن الاندلسية، وهو أحد خدام آل عبيد الله وخاصتهم، وعليها سور حصين من طوب، ولها واد يقال له وادى سهر فيه ماء عظيم منبسط على وجه الأرض وليس بالعميق ، ولهم عليه كروم واجنة كثيرة تزيد على كفايتهم وحاجاتهم. مهنا لابد ان نتوقف عند ابن عذارى والبكرى اللذين يتفقان بأن الامير أبا القاسم ابن عبيد الله الفاطمى هو من امر ببناء مدينة المسيلة فى سنة (313هـ/ 925م) غير انه يوجد اختلاف بين المؤرخين فى شأن تحديد هذا التاريخ الذى اقره البعض سنة 315هـ/ 927م [1]. لم يتفق المؤرخون على سنة اختطاط هذه المدينة فقد ذكر ابن عذارى (ت712 هـ/ 1312م) ومؤلف مجهول في كتابه الاستبصار (الذي عاش في القرن 6 هـ) أنها أسست سنة 313 هـ/ 925 م بينما يذهب آخرون كابن الأثير (ت630هـ/ 1232 م) وابن خلدون يذكر (أنها أسست

1- ابن ابى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس, الرباط المملكة المغريبية 1973 ص59، خالد محمد مصطفى عزب : تخطيط وعمارة المدن الاسلامية وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية, الدوحة 1997. ص 59

سنة (315 هـ/ 927م) [1] حين أمر علي بن حمدون الجذامي [2] ببنائها وتحسينها وتحصينها لتكون قاعدة عسكرية وتحول بينه وبين قبائل زناتة الثائرة وأطلق عليها اسم المحمدية نسبة إلى اسمه محمد على خلاف من يقول أن اسمه عبد الرحمن.

و في هذا يقول المروزي :

ثم إلى مدينة مرضية أسست على التقوى محمدية

أقبل حتى حلها ضحية بالنور من طلعته المضية

فحل في عسكره المسيلة في هيئة كاملة جميلة [3]

و هذا يدل على أن اسم المسيلة كان موجودا من قبل.

فياقوت الحموي يذكر في كتابه معجم البلدان"اختطها ابو القاسم محمد بن المهدي في سنة 315هج/ 927م، و نفس الشئ بالنسبة لما قاله المقريزي حيث كتب"فلما كانت سنة خمسة عشر وثلاث مائة سير المهدي ابنه ابا القاسم من المهدية الى المغرب، في جيش كثير فيصفر ..فوصل الى ما وراء تيهرت،

1- مؤلف مجهول : المصدر السابق, ص 117. ابن الأثير: المصدر السابق, ج 6, ص 190 .أبو زيد عبد الرحمان ابن خلدون : كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر, تحقيق: سهيل زكار, دار الفكر, بيروت, 1421 هـ/ 2000, ج 4, ص50 .

2- علي بن حمدون الجذامي الأندلسي, من عرب جذام, جاء مع الجيوش العربية من الشام و استقر ببكورة ألبيرة بالأندلس ثم انتقل إلى المغرب و اتصل بالمهدي أول الخلفاء الفاطميين .انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين), ط1, دار العلم للملايين, بيروت, 1999, ص87.

3-البكري:المصدر السابق, ج2, ص724.

فخطبرمحه في الارض صفة مدينة سماها المحمدية"بينما البكري كتب"اسسها ابو القاسم اسماعيل بن عبد الله سنة ثلاثة عشر وثلاثة مائة" وانتهت الاشغال من بنائها سنة317هجرية/ 931م.

دوافع بناء المسيلة الجديدة:

تنشا المدن عادة لاغراض حضارية متعددة منها الاجتماعية والعسكرية والاقتصادية والاستراتيجية، ومدينة المسيلة الجديدة التي سميت بالمحمدية بنيت لغاية في نفس ابو القاسم، حيث استلهم من المدينة القديمة التي سكنها البرب مخطط المحمدية، وحاجته لخيراتها ومياهها وموقعها الجغرافي.

يقول ابن حماد "وقد هدن ابو القاسم المغرب وقضى منه المارب وانصرف وفي انصرافه هذا مر بوادي سهر فاختط مدينة المسيلة ورسمها برمحه وهو راكب على فرسه وامر علي بن حمدون ابن سماك بن مسعود الجذامي المعلروف بابن الاندلسية ان يبنيها ويحصنها ويحسنها ويسميها المحمدية باسمه وجعل لها بابين سمى احدهما باب القاسمية والثاني باب الامور.

ونعتقد ان ابا القاسم كان يدرك جيدا ان القبائل الزناتية لن تهدا على مقاتلته وستعود لمقاتلته من جهة، ومن جهة اخرى فهو يدرك ان الحدود الشمالية امنه بتحالف قبائل كتامة التي ساندت الدعوة الفاطمية من بدايتها، وكان يدرك ان طريق المسيلة والمسيلة خاصة هو مسلك الزناتيين لذلك كان اختياره لموقع المسيلة في بناء المحمدية بها .كما نعتقد ان الانتقام من القبائل التي حاربت الفاطميين باقليم المسيلة مثل بنو برزال وبنو كملان وعجيسة البرنسية الزم ابا القاسم بوضع شبه قاعدة عسكرية لمراقبتها، وهذا ما نلمسه من تصرفه في معاقبتها بتهجيرها نحو فحص القيروان.

يذكر المؤرخون انها تعرضت بعد ذلك إلى التهديم خلال ثورة أبا يزيد 324/ 936م وقيل ان من دمرها كان من بناها وهو على ابن حمدون [1]، وهنا نتساءل عن الأسباب التي دفعته لذلك، و ربما لم يكن تهديم كبير لأنها بقيت بعد ذلك مقرا للأمير جعفر بن حمدون الذي يكون له فيما بعد شان كبير بها بعد وفاة والده علي في ثورة صاحب الحمار .334/ 945م وأوكلت له رئاسة كامل بلد الزاب الذي كان يمتد من جنوب الاوراس الى منطقة المسيلة الى حواف الزيبان جنوبا .

ويتفق اولائك الذين تطرقوا الى دراستها انه حينما توجه أبو القاسم محمد القائم ولى عهد عبيد الله المهدى على رأس حملة عسكرية الى المغرب الأقصى وفى طريق العودة أوعز الى على بن حمدون سالف الذكر بإنشائها وتحصينها وذلك بأن خط برمحه فى الأرض شكل بنائها وهو على صهوة جواده وأطلق عليها آنذاك إسم المحمدية تيمنا بإسمه وفقا لما فعله عبيد الله المهدى عند تأسيس مدينة المهدية بتونس ويقال انه جعل للمدينة بابين سمى احدهما باب القاسمية نسبة اليه لأنه يكنى أبا القاسم وأطلق على الباب الأخر اسم باب الأموركما أن الموقع لايكتسى أهمية تؤهله لاحتضان مدينة على شاكلة أقل شأنا من بعض الحواضر فى ذلك الوقت .

غير أننا نذهب مذهب ابن خلدون بأنها كانت ميزة للعساكر عند محاصرة إسماعيل بن أبى القاسم الملقب بالمنصور للثائر أبى يزيد مخلد بن كيداد النكارى المعروف بصاحب الحمار فى القرن السابع الهجرى، بحيث

1-سعد زغلول عبد الحميد:تاريخ المغرب العربي ج 3 منشاة المعارف الاسكندرية, 1990, ص168.

-

أشار ابن سعيد المغربى الى أن قبيلة رياح الهلالية التى كانت تقطن حولها كانت تغار عليها .وربما كان يقصد أن الخطر كان محدقا بها جراء هجمات هذه القبائل. ويفيدنا ابن هانى الاندلسى بشيئ قليل عن وصفها إذ يشبهها ببغداد المغرب فى قوله :

تبغدد منه الزاب حتى رأيته يهب نسيم الروض فيه فيستجفي

أرضا وطئت الدر رضراضبها والمسك ترابا والرياض جنانا.

فخلال عملية توطيد الخلافة الفاطمية بالمغرب الأوسط ثار محمد بن خزر على الفاطميين واحتل تيهرت فقام الخليفة الفاطمي أبا القاسم أثناء عودته من تيهرت ببناء مدينة المسيلة على حافة وادي القصب في 9 صفر 315هت / 927م [1]، وسماها المحمدية نسبة إلى اسمه محمد وجعل لها بابين باب القاسمية نسبة إلى كنيته بأبا القاسم، وباب الأمور .وكانت عملية [2].بناء مدينة المسيلة من أهم ما تمضخت عنه حملة أبا القاسم الفاطمي لبلاد المغرب الأوسط، لقد كان بناؤها بعد خرابها لأغراض عديدة، عسكرية وإستراتيجية [3].

فمن جهة أراداها أبي القاسم أن تكون قاعدة عسكرية في المنطقة لحماية ظهر الدولة الفاطمية التي كانت محاطة بقوة قبيلة زناته، وعددها كما أرادها من جهة ثانية قاعدة انطلاق للقضاء على الثوارت الداخلية، وهذا ما

1- القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدعوة ن تحقيق فرحات الدشراوي, الشركة التونسية للتوزيع تونس, ديوان المطبوعات الجامعية ن الجزائر تونس, 1986, ص : 170.

2-ابن الأثير, المرجع السابق ج3 ص 190.[2]

[3]-ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد, مطبعة جون كربونل, الجزائر, 1346هـ, ص,

جعله يقرر بناءها وسط بطون زناتة مثل بربر بنو برزال وبنو كملان ورنـداح وهوارة وصدراته ومزاته [1].

إن تأسيس مدينة المسيلة وإطلاق اسم المحمدية عليها واسـم القاسمية على أحد أبوابها هو تخليد لاسم أبي القاسم في إطار المنافسة علـى الإمـارة باعتباره قام بها دون علم عبيد الله المهدي، كما أن اختيار أبو القاسم لموقـع المسـيلة نـابع مـن بعـد نظـره السياسـي ومـن أهميـة المنطقـة الجغرافيـة والاقتصادية [2]، وخصوبة ترتبها ووفرة مياهها. فقد أراد لها أن تكـون بمثابـة عاصمة إقليمية وقلعة تنطلق منها الجيوش لإخماد الثورات في القسم الأوسط والغربي من المغرب الإسلامي.

كما أراد لها أن تكون خزانا اقتصاديا وقت الحاجة بحيث أمر علـى بـن حمدون أن يختطها ويقوم بعمارتها وتخزين الأرزاق والمؤن بها.وفي هذا المجـال كتب عدد كبير من المؤرخين عن غنى المدينة والمنطقة بالبساتين والميـاه مثـل ابن حماد والبكري والإدريسي وابن حوقل، قبل أن تتعرض للـدمار خـلال الحروب الزيرية ومن بعدها الزحف الهلالي.

لكـن هـل تأسـيس مدينـة المسـيلة أو المحمديـة الفاطميـة سـنة 315هـ/ 927م هو بداية نشأة المدينة أم هي عملية إعادة بعث لها ؟ إذا عرفنا

1-سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي, الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين, دار المعارف الإسكندرية, 1990, ج3, ص 106 كذلك:
MACEIRRA (P) :Histoire de M'sila du 10 au 15 siecle, in Bulletin de la société historique et géographique de setif, 1941, p 203..

2-يصفها البكري بأنها مدينة جليلة في بساط الأرض عليها سوران بينهما جدول ماء يسير بالمدينة وله منافذ تسقى منها عند الحاجة ولها بساتين كثيرة ويوجد عندهم القطن وهي كثيرة اللحم رفيعة السعر. (البكري :المرجع السابق, ص 59).

أن حملة أبي القاسم في مواجهة قبائل زناتة قد وجد عند عودته بالمسيلة قبائل بنو كملان التي تم طردها وإخراجها منها الى فحص القيروان ردا على موقفها من الفاطميين، لذلك نعتبر ان المحمدية الفاطمية التي تنسب لها المسيلة البربرية لم تكن سوى ضاحية جديدة بنيت على حافة المسيلة البربرية في موقع الاشياخ كما يسميه اهل المدينة حاليا بحكم الشواهد المادية من الاثار الاسلبامية والنقود الفاطمية بها ثم توسعت الى جانب المسيلة القديمة التي لم يعثر بها لحد الان لمثل تلك الاثار الاسلامية التي وجدت بالاشياخ واخذت اسمها أي المحمدية لفترة قصيرة قبل ان تعود بالاسم القديم وهو المسيلة التي مجدها الشاعر ابن هانئ الاندلسي في ابيات شعرية نرصد منها:

خليلي اين الزاب مني وجعفر وجنات عدن بنت عنها وكوثر
اتى الناس افواجا اليك كانها من الزاب بيت او من الزاب محشر
رايت حولي وفد كل قبيلـــة حتى توهمت العراق الزاب. [1]

1- محمد مبارك الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر1989 ج[1] 2 ص 56.

التطور العمراني لمدينة المسيلة خلال الفترة الفاطمية:

المنشات الفاطمية بالمسيلة:

رغم ان الفاطميين قد تفننوا بالعمارة واعتنوا بتشييد القصور والمدن مثل المهدية والمنصورة والمحمدية والقاهرة فيما بعد كما اعتنوا ببناء المساجد والحدائق التي ذكرت أوصافها في ثنايا أشعار ابن هانئ الا أننا لا نلمس ذلك كثيرا في كتب المؤرخين العرب ولا نجد وصفا دقيقا لذلك، ومما زاد في اخفاء تراث الفاطميين بمدينة المسيلة انها كانت ضحية لعدة أمور سياسية ودينية جعلها تفقد معالمها العمرانية بسرعة وانمحت آثارها وشواهدها المادية، ولم يعثر ممن اهتم بالمنطقة وتاريخها الا بالقدر الضئيل جدا لبعض النقود الفاطمية والأواني الفخارية بحي الأشياخ كما بقيت شواهد الخزانات الفاطمية التي استعملت لتخزين الحبوب شاهدة على ثراء المدينة من المنتجات الزراعية التي كانت تمول الجيوش الفاطمية بالمغرب والمشرق .

اغلب الأبيات الشعرية التي نستقي منها وصفا لعمارة مدينة المسيلة لم تشر إلى طابع عمرانها أو أحيائها وقصورها وغير ذلك.وحتى المؤرخين والجغرافيين اغفلوا ذكر نسيج عمرانها بحيث لم يتطرقوا الى أبنيتها ولا عدد سكانها بشيء يمكن من الاستفادة منه لإماطة اللثام عن جوانب مهمة فى حياتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية و لكن نستطيع استيفاء بعض

جوانب الرفاهية التي أحاطت بإمارة الفاطميين بالمحمدية وليس المسيلة كما جاء في أبيات ابن هانئ :

ديوان ملك لو رأته فارس ذعرت وخر لسمكه أيوانها

يتحدث ابن هانئ في ديوانه عن اهتمام ابناء علي بن حمدون، بتشييد القصور وتزيينها وفرشها، و لا نراه يتحدث عن ميل كهذا عند غيرهم، وكانه لم يشاهد المعز يبني قصرا او يشيد بناءا او غير المعز ممن اتصل بهم، فعندما بنى ابراهيم بن جعفر قصرا، مدحه الشاعر ووصف القصر، و قابل بينه وبين إيوان كسرى فإذا بهذا القصر أعظم من ذلك الإيوان، ويتعجب الشاعرلهذه القباب البيضاء التي تعلو القصر والاروقة الممتدة والبرود الموشاة التي تغطي الارض، حتى يكاد الرائي يعتقد ان هذا القصر بناه الجن، او السحرة لما فيه من نقوش ذهبية وفضية.

وهذا دليل على ثراء الفاطميين الأتي من الضرائب المفروضة على الأهالي من البربر وغنائم الحروب، ومن جهة ثانية دليل على درجة الذوق الجمالي الذي يوصف من خلاله ابن هانئ قصر إبراهيم بن جعفر بن عليبن حمدون بالمسيلة فيقول:

ايوان ملك لو راته فارس ذعرت وخرلسمه إيوانها
او ما ترى الدنيا وجامع جزنها صغرى لديه وهي يعظم شانها
تغدو القصور البيض في جنباته صورا اليه بكل عنه كيانها
الكنى الى القصر المشيد تحية فقد حدث الركبان عنه فأكثروا

ربما لولا أبيات ابن هاني لما وصلنا وصف لقصور الفاطميين بالمسيلة لان اغلب الكتب والمصادر التاريخية لم تذكرها في شيء .

من المؤكد أن العمارة الإسلامية قد تميزت بكثير من الأمور عن العمارة البربرية التي وجدت قبل الفتح الإسلامي لأنها نتاج فكر وثقافة مختلفة، واذا كان العمران عادة يخضع الى معطيات تحقق أهداف مخططيه ويكون مرآة لنمط الفكر والموروث التاريخي، ومسالة العمران بالمسيلة في العهد الفاطمي لم تختلف عن ذلك، ومن خلال تصفحنا لمختلف المصادر الجغرافية والتاريخية من عصور مختلفة ومناطق إسلامية متباعدة، توصلنا إلى أنّ المدن لابد أن يُراعى في بنائها عدة شروط وقواعد، لكي تدوم وتبقى لمدة طويلة دون خراب أو هجران، ومضمونها نصائح وتوجيهات عملية لأولي الأمر بأهمية أخذهم لاحتياطات وإجراءات ضرورية عند تأسيسهم لمدينة، وخاصة ما تعلق منها بالجانب الأمني، ومن هؤلاء المفكرين المسلمين نذكر "ابن الربيع"، الذي يضع شروطا ستة لإنشاء المدن، وهي: "إعتدال المكان وجودة الهواء، سعة المياه المستعذبة، وإمكان الميزة المستمدة، والقرب من المراعي والاحتطاب، وتحصين منازلها من الأعداء بأن يحيط بها سور يعين أهلها"

ولاشك أن هذه الشروط تدخل في إطار المعايير الحضارية للمسلمين وتعكس تطورهم السياسي والفكري، كما تعكس تطورهم الاقتصادي والاجتماعي، وقد تحولت هذه الشروط تدريجيا إلى إرث حضاري وتقاليد تردد صداها في معظم المدن الإسلامية، سواء كانت مدناً أسست لأسباب عسكرية وحضارية معا كالمسيلة، التي يتضح في اختيار موقعها أثر المسار الحضاري، حيث أن "عبد الرحمن ابن خلدون" يصر في مؤلفاته على الأخذ

بهذه الشروط بعين الاعتبار، ويلخصها في قسمين مهمين وهما: "دفع المضار" و"جلب المنافع".

ويفسر "دفع المضار" بـ"الحماية من طرقها" أي المدينة، وذلك يكون بإدارة سياج من الأسوار على منازلها جميعا، وان يختار لها موضعا يكون في ممتنع من الأمكنة، إما على هضبة متوعرة من الجبل، أو باستدارة بحر أو نهر حتى لا يوصل إليها، إلاّ بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها ويتضاعف امتناعها وحصنها.

وعلى ضوء ما سبق يتبين أنّ الحماية والتحصين الطبيعي والاصطناعي المتمثل في الأسوار والخنادق والحواجز عناصر أساسية في بناء المدن، وهذا الشرط قد توفر في بناء مدينة المسيلة، وهذا اعتمادا على ما قاله كل من البكري وابن عذارى المراكشي وحسن الوزان، حيث أنها في بساط من الأرض مشرفة على وادي "سَهَرْ" ولها سورانوهذا دليل واضح وجلي على أنها كانت محصنة طبيعيا، واصطناعيا بالأسوار الدفاعية المفتوحة، وهي ظاهرة عامة في المدن الإسلامية سواء كانت مدن عواصم كمدينة فاس في العصر الإدريسي، أو كانت مدن عواصم إقليمية كالمسيلة في العصر الفاطمي.

أما فيما يخص القسم الثاني المتمثل في "جلب المنافع"، فهو لا يقل أهمية عن دفع المضار عنها، والذي لا يمكن الاستغناء عنه وهو ضرورة حتمية، يجب أخذها بعين الاعتبار، وقد شرحه ابن خلدون وذلك في قوله: "...ومنها جلب الماء، بأن يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون عذبة وذلك ليسهل على السكان الحصول عليه، لكونه مرتبط بالحياة"، وهذا ما نجده متوفر في

مدينة المسيلة، إذ يوجد فيها جدول ماء جارٍ يستدير بالمدينة، وله منافذ تسقى منها عند الحاجة، وهي على نهر فيه ماء كثير مستنبط على وجه الأرض، وليس بالعميق وهو عذب، ومن ذلك نستنتج أن المدينة تتميز بسعة المياه المستعذبة، ويتابع ابن خلدون في عرض الضرورات التي تتطلبها الحياة في المدينة والتي لابدإن الموقع الإستراتيجي للمنطقة هو الذي دفع عبيد الله الشيعي وولي عهده القائم بأمر الله بناء مدينة المحمدية، وذلك لعدة اعتبارات ذكرناها سابقا، وهذا ما أدى بدوره إلى تطور كبير عرفته في جميع الميادين المجالات، وأصبحت منذ الوهلة الأولى عامرة بالناس والتجار(وذلك لوقوعها في ملتقى طرق هامة تصل بين عدة مدن منها قلعة بني حماد وتاهرت وغيرها، ولكن ما هو مؤسف أنّ عمران المدينة تعرض للتخريب في سنة 324هـ من طرف بانيها "علي بن حمدون" لدواعي سياسية، ثم أعيد بنائها من جديد على يد ابنه "جعفر"، حيث عرفت في عهده تطورا واتساعا عمرانيا ومعماريا، جعلها تصنف في مصف المدن الكبرى، التي يُشد إليها الرحال، وهذا لحسن تسييره.

والأمر الذي يقف حائلا دون معرفة تفاصيل هذا التطور، هو عدم توفر معلومات عن ذلك، حيث لا نجد إشارات وافية تتحدث في هذا الجانب، إلا من الجانب التاريخي، أو ذكرا خاصا عن محاسنها ومساوئها، وهذا ما صعب على الباحثين تصور خِطة المدينة وعمائرها.

ولكن ما هو متعارف عليه وباتفاق معظم الباحثين والمهتمين بالعمران حول كيفية تخطيط المدن، أنها كانت تتكون من عدة أقسام كبرى، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

القسم الأول: [1] وهو قلبها النابض، ويمثله مركز المدينة ووسطها، وهو المركز الديني والاقتصادي والاجتماعي، ويضم المسجد الجامع ودار الإمارة أو قصر الحاكم، الذي تُسيَّر من خلاله أمور الدولة، والسوق الرئيسي وهو مركز المبادلات التجارية الداخلية والخارجية.أما القسم الثاني فيتمثل في الخِطط أو الأحياء السكنية بملاحقها من ساحات وحمامات ومساجد ودكاكين وأزقة ودروب.

وفيما يخص القسم الثالث فهو سور المدينة بمنافذه وأبراجه، وهو على صلة مباشرة بوسطها عبر شوارعها الرئيسية، وهي ضرورة تتطلبها كل مدينة لحماية أقسامها من الاعتداءات الخارجي [2])

وكل هذه الأقسام الثلاثة الكبرى في المدن الإسلامية، يرتبط كل منها بالآخر ويكمل بعضها البعض من حيث الوظيفة والتخطيط [3]

ومما لاشك فيه أن أبا القاسم مؤسس مدينة المسيلة المحمدية قد اتبع في عملية بنائها نفس الخطوات، وهذا اعتمادا على أشكال ومخططات المدن الشيعية التي أسست في المغرب، كالمهدية في تونس والقاهرة في مصر، والتي تُشكلها المحاور المذكورة سابقا، وكذلك بالرجوع إلى المعلومات التي ذكرها

[1]-قرمان عبد القادر :مدينة المسيلة النشاة و التطور, الملتقى الوطني الاول حول تاريخ و اعلام تالمسيلة .

[2]- لعرج عبد العزيز, مدينة المنصورة المرينية, دراسة تاريخية أثرية في عمرانها وعمارتها وفنونها, ط1, مكتبة زهراء الشرق, القاهرة 2006, ص63.

3-المراكشي (ابن عذارى), البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب, ج1, تاريخ إفريقية والمغرب من الفتح إلى القرن الرابع الهجري, تحقيق ومراجعة ج.س كولان وإ. ليفي بروفنسال, دار الثقافة, بيروت, لبنان, ص190.

البكري في قوله: "وللمدينة أسواق وحمامات" وكذلك قوله"أنها مدينة جليلة في بساط الأرض عليها سوران بينهما جدول ماء يسير بالمدينة وله منافذ تسقي منها عند الحاجة ولها بساتين كثيرة ويوجد عندهم القطن وهي كثيرة اللحم رخيصة السعر. وكذلك الإدريسي في قوله: "...عامرة بالناس والتجار"

نستطيع القول ان مدينة المحمدية الفاطمية قد شهدت وضعا اجتماعيا واقتصاديا مقبولا جمعت فيه بين الحركة التجارية بتعدد الأسواق والدكاكين والتجار وبين الحركة الاجتماعية من خلال تعدد الحمامات ومواضع تجمع السكان، ويمكن اعتبار ان مدينة المسيلة المحمدية قد جمعت كذلك بين الحصن العسكري والمطمور الزراعي للفاطميين، وفي هذا الإطار ما تزال بقايا الأحواض والصهاريج الكبيرة التي استعملت لذلك الغرض بمقبرة الأشياخ بالمسيلة، ويمثل نطاق حدود المدينة من خلال بقايا الآثار على كبر حجمها واتساعها وقوة مكانتها.

ثورة ابي يزيد صاحب الحمار بالمسيلة

حققت مدينة المسيلة خلال إمارة على بن حمدون [1] أزهى أيامها، حيث وصلت الغاية القصوى في ميدان الفن والعمارة والحضارة [2]، إلا إن الفتن والثورات والاختلاف المذهبي والعائلي جعلها محل التخريب عدة مرات.لذلك تعرضت الى التتهديم على بن حمدون للمدينة وهو الذي بناها بسبب الصراع والاختلاف على السلطة التي كانت دائما ضحية له المسيلة وسكانها، كما كانت ضحية ثورة الخارجي أبو يزيد مخلد بن كيداد، عندما تحولت إلى محطة تجميع الجيوش الفاطمية في ربيع الأول 334 هـ، 945م [3]لمواجهة الثائر الذي هزم جيش على بن حمدون صاحب المدينة من قبل الفاطميين. وتعرضت المدينة إلى المحاصرة والتخريب والى العوز خصوصا في فترة عبور الثائر أبو يزيد المسيلة واعتصامه بجبل بني برزال أوسالات قرب بوسعادة، ومتابعة الخليفة المنصور له رغم مرضه الذي اشتد به وجعله يستقر فترة من الوقت بمدينة المسيلة، مما شجع الثائر العودة إلى محاصرة المدينة في 10 شعبان 335هـ [4].

1-هو على بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجدامي المعروف بابن الاندلسية[ابن خلدون العبر, ج4, ص 98.]

[2] -ابن حماد: المرجع السابق ص 13.

[3] -إبن الأثير :الكامل, ج3, ص 307, ابن خلدون, العبر, ج7, ص 15.

[4] -المقريزي, اتعاظ الحنفاء, ج1, تحقيق جمال الدين السيال, ص 85 .

ظل ابن حمدون أميرا على الزاب كله إلى ظهور فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني[1] التي تعتبر أبلغ تعبير عن السخط الذي ملأ قلوب أهل إفريقية والمغرب الأوسط على محاولات رجال الدولة الفاطمية فرض مذهبهم الإسماعيلي على الشعب وعلى سياستهم المالية في جمع الأموال وتسخيرها لخدمة أغراض الدولة. ولم يستطع الخلفاء الفاطميون القضاء عليها في الوهلة الأولى بل استمرت حوالي خمسة وعشرون سنة من عمر الخلافة الفاطمية[2].

واصل أبي يزيد مخلد بن كيداد من البربركان يمارس التقشف والزهد في حياته وأبوه من قسطيلية من مناطق توزركان يمارس التجارة بأرض السودان التي هي منشا ابي يزيد الذي مال الى مذهب الخوارج الصفرية واخذ نفسه بالحجسبة يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وكثر اتباعه بمنطقة الاوراس بعد وفاة المهدي وتلقب شيخ المؤمنين ودعا للخليفة الناصر صاحب الاندلس الاموي .و ما كاد أبو يزيد ينادي لثورته ضد الخلافة الفاطمية حتى استجابت له القبائل من كل صوب. فقد ابتدأت ثورته في 332/ 914م من جبال الأوراس فيمن تبعه فسار يطوي البلاد ويزيد إليه أهل الفساد والعدوان[3] فاستولى على إفريقية كلها، إلا المهدية لحصانتها

1- مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتي النكاري: أبو يزيد, ثائر من زعماء الإباضية, بربري الأصل, كان يغلب عليه التقشف, و يلبس جبة صوف قصيرة ضيقة -الكمين, ولد ونشأ في قسطيلة و سافر إلى تيهرت فكان معلما للصبيان فيها وانتقل إلى تقيوس لما مات المهدي الفاطمي. أنظر : المقريزي: المصدر السابق, ج 1, ص 156 .

2- حسين مؤنس: المرجع السابق, ج1, ص 500.

3-أبو حنيفة بن محمد بن حيون التميمي: افتتاح الدعوة, تحقيق: فرحات الدشراوي, ط2, الشركة التونسية للتوزيع, تونس, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, 1986, ص 324 .

أولا ثم لقلة تدبيره ثانيا ثم إن تصرفاته قد أغضبت سكان بلاد المغرب وتبين لهم أنه ليس رجل الموقف ثم زاد ظهور عجزه وكثر عبث رجاله بالقيروان فعاد الناس إلى مكاتبة القائم للدخول في طاعته[1].

وقد عاصرت ثورة صاحب الحمار الخليفة الفاطمي المنصوراسماعيل بعد وفاة القائم سنة (334هـ/ 945م) وتولى المنصور إسماعيل الخلافة بين (334-341هـ/ 945 - 952 م) وكان أبو يزيد وقتها قد جعل معسكره في سوسه، فأرسل المنصور أسطولا إليها وأزاح عنها أبا يزيد وأصبح الصراع سجالا. فلم يجد إسماعيل بن المنصور بدا سوى أن يستعمل سلاحه الأخير فاخرج أمواله الغزيرة.

وأخذ المنصور بتوثيق صلته بصنهاجة المغرب الأوسط وزعيمها بلكين بن زيري بن مناد ويرسل إليه الأموال والسلاح كما أرسل الأموال إلى علي بن حمدون عامل الزاب فانضموا إليه [2]، في نفس الوقت أعاد علاقاته الودية مع كتامة فانضموا إليه وفي محرم 335هـ/ 949 م كان اللقاء الحاسم بين المنصور وأبو يزيدقرب منطقة مقرة في12 جمادي الاول 335/ 9 ديسمبر 947 فتفرق رجال أبو يزيد عنه[3]وفر ابو يزيد إلى جبل سالات بالقرب من بوسعادة قبل ان يعتصم بجبل كيانة[4]لذي تأسست عليه قلعة بني حماد[5] .

1- حسين مؤنس: المرجع السابق, ج 1, ص 501.
2 – نفسه, ج1, ص 498 .
3 – نفسه, ج1, ص 498 .
4 - ابن حماد الصنهاجي: المصدر السابق, ص38 .
5 – نفسه, ص 38 .

سار الخليفة المنصور الفاطمي إسماعيل حتى نزل المسيلة التي جعلها قاعدة لعملياته العسكرية .فأقام أياما وأخذ في تنظيم الجنود وتعبئة العساكر، وبلغه أمر وجود أبا يزيد بجبل سالات، فمشى إليه واستغرق إحدى عشر يوما، وعند نزوله بسفح الجبل سأل أهلها عنه فأجابوه، أنهم ليسوا بدراية لأمره. فطلب منهم إذا رأوه أن يلقوا القبض عليه ووعدهم بالمال. فنزل بحائط حمزة وفرق الأرزاق وأجزل العطاء ولحق به زيري بن مناد في عساكر صنهاجة.

ثم رحل إلى وادي لعلع فمرض به نحو شهرين وغابت عنه أخبار أبي يزيد، وعند شفائه عزم إلى المسير إلى تيهرت، فبلغه أن أبا يزيد بالمسيلة الذي حاصرها، ففكر راجعا إليها، وفر أبو يزيد إلى جبل كيانة، فدخل المنصور المسيلة فأفرج عن المسيلة وقصد المفازة، يريد بلاد السودان فأبى عليه بنوكملان أصحابه، فرجعوا إلى جبل كتامة وعجيسة فتحصنوا بها، وجاء المنصور فنزل ساحتهم عاشر شعبان، ونزل أبو يزيد فقاتلهم، فانهزم وأسلم عسكره وأولاده. وطعنه بعض الفرسان فأكبه، وحامى عنه أصحابه فقتل في الحومة، ثم سار المنصور في إثره أول رمضان، ولم يتمكن أحد من الفريقين من الانتصار، لضيق المكان وصعوبته، ووصل الأمر في النهاية إلى التقاتل بالحجارة حتى قتل أبو يزيد في محرم سنة (336هـ/ 946م)، وسمي اليوم بيوم المسيلة حيث قال جعفر بن حسن بن منصور:

يهنأ لك النصر فيما رمت من سبب يا سيد الخلق من عجم ومن عرب

وأطلق عليه بيوم الفتح، وأمر المنصور بسلخ جلد أبي يزيد، وحشوه قطنا ووضعه مع قردين فطافوا به أرجاء المسيلة [1]. وبقي المنصور في المسيلة سبعة عشر يوما أقيم خلالها مهرجان النصر إلى أن غادرها متجها نحو تيهرت[2].وبذلك وضعت ثورة أبو يزيد أوزارها، والتي كان من ضحيتها مقتل أمير الزاب علي بن حمدون الأندلسي سنة(336هـ-946م)، وتولى الأمر من بعده ابنه جعفر بن علي بن حمدون ولاية الزاب، واستمر في ذلك إلى أن حدثت القطيعة بينه وبين المعز الدين الله الفاطمي (341-365هـ/ 953-975م)[3].

كما قيل في هذه الحادثة كثير من الشعر نذكر منه قول احد الشعراء:

اما ابا النفاق فقد نسخ وابو الكبائر قد ستخ
كان الفويسق مخـــــلد قردا ولكن قد مسخ
لو قد رايت محلـــــه وبنوا الحداية تضطرخ

وكتب شاعر اخرعنه :

فسلخه من جلده وحشوته حشو المزاود
وضربته مثلا يسير في الاقارب والاباعد

1 –ابن حماد المرجع السابق, ص 42 .
1 – ابن الأثير : المصدر السابق, ج8, ص 1222.
2- محمد اليعلاوي: بلاط بني حمدون من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي, الأصالة, ع 24, 3مارس / أفريل, 1975 .

وردت به اطاعه وضنونه شر الموارد [1]

عاد المنصور بعد واقعة ابا يزيد الى مدينة المسيلة التي اقام بها 17 يوم اقيمت خلالها حفلات النصر الى ان غادرها في 18 صفر 336/ 947م متجها نحو تيهرت بعد ان عين على مدينة المسيلة جعفر بن علي بن حمدون وكذا على امارة الزاب، كما سمح لاخوه يحي البقاء معه، ويمكن اعتبار هذه الفترة بداية لنفوذ بني حمدون بمنطقة المسيلة .

هذا عندما عزم المعز الرحيل إلى مصر، فكر فيمن يكون واليه على المغرب، فوقع اختياره على جعفر بن حمدون، فاستدعاه وأخبره بما يجول في خاطره، إلا أن جعفر بن حمدون رد عليه بقوله "تترك معي أحد أولادك أو إخوتك جالسا في القصر، وأنا أدبر ولا تسألني عن شيء من الأموال، إن كان ما أجبيه بإيزاد ما أنفقه، وإذا أردت أمرا فعلته، ولم انتظر ورود الأمر فيه، لبعد مابين مصر والمغرب، ويكون تقليد القضاء والخراج من قبل نفسي" فغضب المعز ورد عليه: "يا جعفر عزلتني عن ملكي، وأردت أن تجعل لي شريكا في أمري، واستبددت بالأموال والأعمال دوني، قم فقد أخطأت حظك وأصبت رشدك فخرج" [2]. واستدعى المعز لدين الله الفاطمي بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، وعرض عليه الولاية فقبل بشروط المعز، وهي البقاء تابعة للفاطميين تماما، والحكم باسمهم وبحسب ما يصدر له منهم، وقد أوصاه المعز في وصية، مما ورد فيها: "أن لا يرفع الجباية عن أهل

3-ابن حماد الصنهاجي ابي عبد الله محمد:اخبار ملوك بنى عبيد و سيرتهم, تحقيق 1984 ,45ص و تعليق جلول احمد البدوي, المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر .

2 – المقريزي: المصدر السابق, ج 1, ص 175 .

البادية، وأن لا يرفع السيف عن البربر وأن لا يولي أحدا من إخوته وبني عمه، فإنهم يرون أحقيتهم في هذا الأمر، وان يستوصي بالحضر خيراً، وبذلك قامت دولة بني زيري في إفريقية والمغرب[1].

يمكن اعتبار فترة بني حمدون بالمسيلة فترة إشعاع ثقافي وحضاري خاصة في ميدان الأدب والشعر، فقد حضيت بأنشطة فكرية وأدبية هامة، فكانت رمزية للشعراء والأدباء والكتاب الذين بالغوا في وصف محاسنها الطبيعية والاجتماعية والعمرانية وغيرها، فسجل الشعراء مظاهر الترف والبذخ الذي حفلت به قصور بني حمدون أيام علي وأبنائه جعفر ويحي ومن الذين اثروا المكتبات بمجالس الادب والشعر بمدينة المسيلة الشاعر ابن هانيء الاندلسي وليداشبيليا 320/ او 326/ 932او / 937م اتهم بالزندقة فهاجر الى المغرب واتصل بجعفر منذ 348ه واقام عنده عدة سنوات قبل ان يطلبه المعز.

بمدينة المسيلة التي ألهمته الشعر الوصف ينظم ابن هانيء عدة قصائد قدمت لنا معلومات هامة حول الأخوين جعفر ويحي بن حمدون، ومعلومات عن بلاط المسيلة وما يجري بداخله وحوله .

و لعل قصائد ابن هانىء تعتبر المرجعية في معرفة مدى الحركة الفكرية والادبية للمسيلة خلال العهد الفاطمي خاصة ايام جعفر ويحي وتعطينا

1-نفسه, ج 1, ص 176 .

جانبا هاما في معرفة بعض جوانب الحياة السياسية ومكانة كل من جعفر ويحي لدى ابن هانىء فيقول في يحي [1]:

لنا مثل يحي والبرية كلها له خول حتى الملوك العباهل

ويقولر في جعفر:

و ما ساد الاملاك من قبل جعفر ولا انكروا نكرا ولا عرفوا عرفا

وفي بيت اخر:

لا ارى كابن جعفر بن علي ملكا لابسا جلاله ملك

وتحولت مدينة المسيلة ايام جعفر واخوته محطة توافد والتقاء الشعراء والادباء وحفلت قصور امراء بنى حمدون بنشاط حثيث حتى قال فيها ابن هانىء:

رايت حولي وفد كل قبيلة حتى توهمت العراق الزاب

وفي ابيات اخرى :

اتى الناس افواجا اليك كانها من الزاب بيت او من الزاب محشر

الا ان ما كتب عن ابن هانىء في مسائل السفر والمجون قد شهدته ايضا مجالس امراء بنى حمدون بالمسيلة، فانتشر الغناء والشرب واللهو ونتسائل احيانا عن دور الفاطميين الشيعة في هذا الغلو في اللهو وقلة ماتركوا من

2- ابن هانىء ابو الفاسم محمد :الديوان, تحقيق كرم البستاني دار صادر بيروت للطباعة و النشر

العلوم والكتابات لمن حلوا ككتاب او علماء بهذه المدينة رغم فترة اشعاعها السياسي انذاك .

المسيلة في عهد الزيريين والحماديين

لم تعد مدينة المسيلة خلال العهد الزيري الحمادي على ما كانت عليه ايام بني حمدون من ازدهار ورقي حضاري وحركة ثقافية وعلمية وتوافد للعلماء والشعراء، بسبب التنافس العائلي على الامارة التي كان من ضحاياها مدينة المسيلة نفسها. كما ان انتقال السلطة الفعلية الى كل من

مدينتي اشير ومن بعدها القلعة، وما صاحبهما من تاثيرات بشرية واقتصادية على المسيلة، جعل هذه الاخيرة على هامش الاحداث.

لقد كان لجعفر بن حمدون طموح كبير في الانفراد بالإمارة بالمسيلة وفحوصها في الوقت الذي كانت فيه السلطة الفاطمية على وشك الانتقال الى مصر، وفي الوقت الذي بدا يبرز فيه بنو زيري كمنافسين حقيقيين لهم لما تحصلوا عليه من انتصارات عسكرية مع الفاطميين، ورغم ان العلاقة التي ربطت بين ابا القاسم الفاطمي وعلي وجعفر بن حمدون دفعت العبيديين يعينونهم على الزاب والمسيلة .و بني زيري الذين خلفوا الفاطميين بعد رحيلهم إلى مصر، ينتمون إلى قبيلة صنهاجة، التي يرجع نسبها إلى برنس بن بر، ويعتبر زيري بن مناد أول شخصية صنهاجية تربطها علاقات ودية مع الفاطميين[1]

لقد كان تنكر جعفر بن علي بن حمدون للفاطميين بسبب محاباة المعز لدين الله لزيري بن مناد الصنهاجي وتفضيله على جعفر بن حمدون الذي كان يسعى لاستخلاف المعز في المغرب، وهذا ما أدى بجعفر الى نصب المكائد لزيري خاصة بعد ان تمكن زيري من ولاية أشير وإمارة صنهاجة وزاحم جعفر في خدمة الدولة الفاطمية وكبرت قوة الزيريين في مغالبة قبائل زناتة التي استطاعت رغم ذلك فيما بعد من قتل زيري بن مناد وقطع رأسه360/ 971م.

1)-حسين مؤنس : المرجع السابق, ج1, ص 618.

وفي أواخر القرن العاشر الميلادي بدا يفل نجم بني حمدون بمدينة المسيلة ومن خلالهم بدأت المسيلة تأخذ طريق التقهقر والأفول.و تحولت الى مدينة بسيطة تحت امارة بنو زيريفي اشير ثم الحماديين بالقلعة .

وقد تم بناء مدينة أشير بعد طلب زيري بن مناد من القائم بأمر الله فاستعان بالبنائين والنجارين من مدينة المسيلة التي نقل أحسن بنائيها وحرفييها مع جمع من سكانها وبعض صناع مدن سوق حمزة وطبنة كما بعث له أيضا بأشهر عرفاء الإمارة في إفريقية وأمده بمواد البناء التي لا تتوفر في المنطقة من حديد وغيره[1] .لتكون قاعدة ثانية في المغرب الأوسط للفاطميين بعد مدينة المسيلة.

تم بناء أشير سنة (324هـ/ 935م) وأصبح زيري واليا عليها هذا ما أدى إلى حدوث ضغائن بينه وبين أمير الزاب المقيم بالمسيلة أدت إلى مقتل زيري سنة (360هـ/ 971م).

و قد كان ابنه بلكين الذي خلفه بعد موته على رأس صنهاجة وعند رحيل الفاطميين إلى مصر وتأسيس عاصمتهم القاهرة استخلفوه على المغرب عام (361هـ/ 972م) [2]. فقد أنفذه في الجيش والمال. وأطلق يده

2- النويري : المصدر السابق, ص304 .

1-المقريزي : المصدر السابق, ج1, ص 187 .

في الأعمال حيث ولى ابنه المنصور بن أبي الفتوح يوسف بن زيـري الولايـة على الزاب بما فيها المسيلة ونائبا عن أبيه في أشير[1].

غير أن مدينة المسيلة بدأت تنقص أهميتها السياسية، بعد نقل عاصمة الزاب إلى آشيرالتي اصبح حماد واليا عليها في حين بقيت المسيلة تحـت امـارة كل من ياطوفت اخيه وعمه ابي البهار . وكان ذلك بعـد وفـاة أبـو الفتـوح يوسف الذي خلفه ابنه المنصور حكم إفريقية والمغرب وكان أول عمل قام به توليه عمه أبا البهار على المغرب الأوسط. ومركزه تيهرت، وعقد لأخيـه حماد على أشير والمسيلة[2].وهنا نشير الى الاختلاف عند المؤرخين في مسـالة امارة حماد على اشير، هل كانت في زمن اخيه المنصور ام في عهد ابـن اخيـه باديس بحيث يشير النويري وكذا كل من ابن الاثير وابن عذارى انهـا كانـت في عهد باديس.

وكانت شخصية حماد ذات طموحات كبيرة في السـلطة والملـك وقـد دخل في حروب عديدة كانت له فيها انتصارات كبيرة، الا ان المعارك الـتي خاضها ضد جيش هاشم بن جعفر وجيش باديس مني فيها بهزائم جعلـت من مدينة المسيلة تتحول الى سلطة باديس سنة منذ 406ه عندما نـزل بهـا في 12 ربيع الاول 406 واقام بها ستة ايام استقبله خلالهـا اهلـها شـاكرين لـه عطاءه وعدله، ومنها زحف ابو مناد الى القلعة التي ارادها حماد بـن بـولكين

2- أشير : بناها زيري بن مناد و تعرف بأشير زيري, و كانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة, و إنما بنى زيري سورها وحصنها و عمرها فليس في تلك الأقطار أحسن منها, وهي بين جبال شامخة محيطة بها .و داخل المدينة عينان لا يبلغ لهما غور و لا يدرك قعر من بناء الأول. أنظر : مؤرخ مجهول : المصدر السابق, ص 170.

3 - النويري : المصدر السابق, ص 323.

ان تكون مدينة مفتوحة تخوفا من عدوه، الا ان باديس رجع منها دون قتال، ومن مدينة المسيلة خرجت عساكر حماد يوم عيد الاضحى 406 بعد ان اضرمت النيران بها وتركوها خرابا.

استطاع المعز بن باديس خلال مواجهته مع حماد ان ينزل به الهزيمة في اخر ربيع الاول 408ه، الا انه صفح عليه واحسن اليه وعهد اليه بولاية المسيلة وطبنة ومرسى الدجاج وزواوة ومقرة وبلزمة وسوق حمزة في 408/ 1018م ودخل اثر ذلك حماد في طاعة المعز خاصة بعد زواج ابنه عبد الله باخت المعز.

وقبل ذلك كان باديس قد اذن لحماد عام (398هـ/ 1007م) بتأسيس قلعة بني حماد أو قلعة أبي طويل ونقل إليها أهل المسيلة وأهل حمزة وخربهما[1] و اتخذها قاعدة تكون حائلا بينه وبين قبائل زناتة فأصبح حماد يجمع بين مدينتين حصينتين في المغرب الأوسط هما قلعة بني حماد وأشير.

هذا ما أثار حفيظة أعدائه الذين اخذوا يحرضون باديس الذي طلب من حماد التخلي عن ثلاثة أعمال من شرق المغرب الأوسط هم قسنطينة تيجس والقصر الإفريقي لابنه المنصور [2].

فلم يستجب لطلبه وثار عليه وتخلى عن تبعيته للفاطميين واعترف بولائه للعباسيين. وفي (11ذي الحجة 405هـ/ 22جوان 1015 م) وزحف باديس على رأس جيش قوي لقتال حماد إلا أن حماد أورد إلى باديس في مكان قبر الشهيد كتابا يذكر فيه انه على الطاعة. وأنه هيأ له هدية وغير

1- ابن خلدون : العبر, ج6, ص 202 .
2- النويري : المصدر السابق, ص 329, 330 .

ذلك لمنحها إلى المنصور.إلا أن حمادا بقي مستمرا في حربه ففتح باجة ونهبها وأحرقها وقتل عددا من أهلها بعدما أوعدهم بالأمان وفي هذه الأثناء توفي المنصور بن باديس .

و أراد حماد أن يلفت نظر باديس أن ابنه الذي طلب له ما طلب قد توفي. ودعاه للصلح إلا أن باديس واصل حربه ونزل المسيلة وأقام بها ستة أيام ثم زحف إلى القلعة ورجع منها دون قتال ثم أنفذ أخاه كرامت إلى المدينة التي أحدثها حماد وهدم قصورها ومساكنها[1].

و استمرت المسيلة تحت حكم حماد في خلافة باديس بن منصور الذي خاض حروبا مع زيري بن عطية الذي كان واليا على مدينة فاس حليفا للمنصور بن أبي عامر .والذي قام بطرده من المغرب الأقصى فحاول زيري الاستيلاء على المغرب الأوسط الذي كان تحت إمرة يطوفت عمر باديس فاستنجد هذا الأخير بعمه باديس الذي أرسل إليه بقيادة محمد بن أبي العرب الذي مر على أشير. وخرج رفقة حماد فوصل إلى تيهرت حيث اجتمعا مع يطوفت إلا أن زيري بن عطية هزمهم ودخل إلى تيهرت [2].

و لما علم باديس بأمر الهزيمة خرج بنفسه من رقادة للقاء زيري بن عطية حتى بلغ المسيلة فرحل زيري بن عطية من أشير إلى تيهرت فلحق به باديس فهرب زيري إلى داخل المغرب. بعد ذلك قفل باديس وترك أشير في

1 – النويري المرجع السابق, ص 330, 331 .

2 – رشيد بورويبة و آخرون : الجزائر في التاريخ, (العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني), المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر, 1984, ص 168 .

يد عمه يطوفت ومعه أولاد زيري حتى وصل إلى المسيلة وعيد بها [1] بُينما هو في المسيلة مع عم أبيه أبي البهار بلغه أن أعمامه ماكس وزاوي ومقنين ثاروا على يطوفت وأسروه إلا أنه تمكن من الفرار واللجوء إلى باديس فطلب من حماد قمع ثورة أعمام باديس ونجح في ذلك[2].

إلا أن المعز بن زيري بن عطية بعد توليه قيادة زناتة بعد وفاة أبيه زيري بن عطية ثاروا على المغرب الأوسط فأمر باديس حماد بقتاله ووعده بمنحه ولاية أشير والمغرب الأوسط وعلى جميع المدن التي يفتحها وتم له ذلك فعلا[3].

ان المتتبع للاحداث التي طبعت العلاقات بين امراء العائلة الزيرية من جهة وبين السلطة الاموية في الاندلس والدولة الفاطمية من جهة اخرى، والوسائل التي استعملت في هذه الفترة جعلت الصراع يقف عند زوبعة من العواصف التي اهتزت لها منطقة المسيلة بقبائلها واماراتها.، فرغبة الزيريين في بسط سلطانهم نحو الغرب جعلهم يشيدون عاصمة جديدة باشير، اهتزت لها مكانة المسيلة السياسية والاجتماعية، وتاسيس القلعة زاد في عبء المدينة. كما ترك الخلاف الفاطمي الاموي اثاره على اقليم المسيلة عندما حاول ابن عطية من بني خزر (امير فاس) التوسع نحو المسيلة التي احتلها وهدم بعضها .

1 – النويري : المصدر السابق, ص 308 .

2 – ابن خلدون : العبر, ج6, ص 211 .

3 – رشيد بورويبة : الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, 1977, ص 20.

في سنة (440 هـ/ 1049 م) أعلن المعز بن باديس[1] تخليه عن تبعيته للخلافة الفاطمية وإعلان انضمامه إلى الخلافة العباسية السنية التي كانت لها نتائج وخيمة على المغرب المتمثلة في دخول العرب الهلالية القادمين من صعيد مصر بعد أن أذن لهم الوزير الفاطمي اليازوري الدخول إلى المغرب ووقعت بينهم وبين المعز بن باديس عدة صدامات أهمها موقعة "حيدران" في شهر ذي الحجة(443 هـ/ افريل 1052) م التي مني فيها الزيريون وحلفاؤهم الحماديون وقبائل زناتة والبربر والعبيد بهزيمة نكراء [2].

و بعد رؤية الحماديين للمصائب والأهوال التي لحقت بهم أعلنوا تبعيتهم للخليفة الفاطمي في مصر وفعلا لم يدخل العرب إلى المغرب الأوسط. لكن بوصول الناصر بن علناس إلى الحكم ارتكب خطأ جسيما بتحالفه مع القبائل الزناتية ومن الأعراب من الإتبج وعدي ضد رياح وزغبة وسليم. فانهزم الحلفاء في معركة سبيبة سنة(475 هـ/ 1064م) وفر الناصر إلى قسطنطينة ورياح في أتباعه ثم لحق بالقلعة فنزلوها وخربوا جناتها وأحبطوا عروشها[3] و عاجوا إلى ما هناك من الأمصار مثل طبنة والمسيلة فخربوها وأزعجوا ساكنيها ودمروا المنازل والقرى والضياع واحتطبوا

1- من ملو ك صنهاجة المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي, بويع بالإمارة يوم وفاة أبيه أخذت له البيعة على الأجناد بمدينة المحمدية لثلاث خلت من ذي الحجة سنة ست و أربعمائة و عمره آنذاك ثمان سنين وسبعة أشهر, أبو عبد الله محمد ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني (بن أبي دينار): المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس, تحقيق :محمد شمام, ط 3, المكتبة العتيقة, تونس, 1967, ص 81.

2- عبد العزيز سالم : المرجع السابق, ج1, ص 582

3 - النويري : المصدر السابق, ص 349 .

الشجر واظهروا في الأرض الفساد. هذا ما دفع بالناصر بن علناس للرحيل إلى الشاطئ وتأسيس بجوار ميناء صيدى (بجاية) مدينة الناصرية وانتقل إليها سنة(461 هـ/ 1068 م). وترك المغرب الأوسط بما فيها المسيلة خاضعة للعرب الهلالية من قبائل رياح حيث عبثوا فيها فسادا[1]

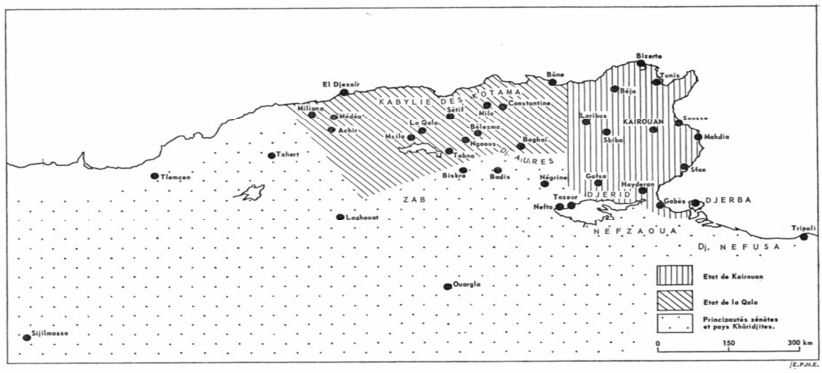

خريطة امتداد نفود الحماديين بالمغرب الاوسط

1- النويري : المصدر السابق, ص349 .)

التركيبة الاجتماعية لسكان المسيلة في الفترة الوسيطة

القارئ للمصادر التاريخية التي تناولت مدينة المسيلة من الناحية الاجتماعية تغفل كثيرا عن إعطاء القارئ الصورة الواضحة للتركيبة البشرية التي استقرت او وفدت إليها خلال الفترة التي واكبت الزحف الهلالي رغم أنها عرفت عبر مراحلها التاريخية تركيبة اجتماعية متنوعة، اقتضتها الظروف المحيطة من استقرار سياسي وازدهار اقتصادي، هذا ما ساعد على جذب السكان إليها من مختلف الأمصار بالإضافة إلى السكان المحليين، والتركيبة السكانية للمدينة قد بدا فيها نوع من التمايز مع باقي القبائل المحيطة بها كما اشار الى ذلك الوزان فيما بعد في زيارته لها خلال القرن العاشر الهجري وعموما فقد تشكلت أصول قبائلها قبل الخلافة الفاطمية من القبائل البربرية التالية التي ذكرت في مصادر عربية عديدة :

البربر:يمثل البربر السكان الاصليون لمدينة المسيلة قبل استقرار العرب وقبل تاسي المحمدية، كما بقوا يكونون اغلبية السكان الى فترة متاخرة من حكم الحماديين وقبل دخول الهلاليين، ومن اهم القبائل البربرية التي سكنت منطقة المسيلة في الفترة الوسيطة نذكر:

-بنوبرزال: وهم قبائل حسب ابن خلدون والنويري من ولد ورنيدين ابن وانتن ابن واردين ابن دمر استوطنوا بجبل سالات وما إليها من أعمال

المسيلة، وكانوا كثيري العدد حيث كانوا على المذهب النكاري من فرق الخوارج[1].

إلا أنه وبعد تأسيس مدينة المسيلة صاربنوبرزال من الموالين للشيعة ولو ظاهريا، وعندما حدثت القطيعة بين جعفر والمعز حيث صار هؤلاء البربر من أتباع جعفر بن حمدون فارتحلوا إلى الأندلس أيام الحكم المستنصر[2]، وأسسوا دويلة صغيرة من دول الطوائف في مدينة قرمونة وما حولها كإشبيلية والمدور الشمالي، مدينة اشبيلية في بداية القرن الخامس هجري إلى أن انطفأت دولتهم سنة (459 هـ/ 1067م)، بعد أن شاركت كغيرها من الدويلات في العديد من الفتن التي أصابت الأندلس في ذلك الوقت[3] .لذلك ارجع المؤرخ ابراهيم فخار مسالة اسم البرازيل الى امكانية انتقال هذه القبائل مع الرحالة الاسبان والبرتغاليين الى امريكا الجنوبية وهي مسالة تحتاج الى كثير من الادلة والبراهين التاريخية والدراسات الانتروبولوجية.

---

1)- النويري : المصدر السابق, ج 7, ص 1.72

1- الحكم المستنصر بالله هو أبو العاص الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل و أمه أم ولد اسمها مرجان وهو التاسع من أمراء بني أمية بالأندلس ولد يوم الجمعة مستهل شهر رجب سنة 302هـ بويع بالخلافة في شهر رمضان سنة 350هـ فتح مدنا جليلة وسبى و غنم و انصرف سالما ثم أصابه الفالج فتغيب عن الناس فلما كان في يوم السبت لعشر خلون من محرم سنة 366هـ اظهر موته و قيل توفي فجأة مات وعمره ثلاث و ستين سنة وستة أشهر و عشرة أيام و مدة ولايته خمسة عشر سنة وأربعة أشهر : أنظر: النويري: المصدر السابق, ص117 .

2- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس, (دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي) مكتبة الأسرة, مصر, 2001, م, ج3, ص 148, 149.

ب- هوارة : همة قبائل من بطون البربر البرانس تنسب إلى هواربن أوريغ بن برنس .إلا من يدعي أنهم من عرب اليمن تارة يقولون لهم من عاملة بطون قضاعة وتارة يقولون من ولد المنصور ابن السكاسك .ابن واثل ابن حمير وبطون هوارة كثيرة، وأكثرهم لبتة وأوريغ وبنوكهلان[1]، وقد سكنت طائفة من هوارة منطقة تيهرت، حيث يوجد واد يسمي بواد هوارة. كما تواجدت بجبل الونشريس، ولبدة تيجس وآجلوا قرب أسوف[2] وبالمسيلة[3]. وكان بنوكملان يقطنون بالمسيلة[4].

ج- عجيسة:من بطون البرانس من ولد عجيسة من برنس ومعناه البطن، فالبربر يسمون البطن عدس بالدال المشددة ولما عربتها العرب صارت جيماً مخففة وكانوا كثيري العدد يقطنون ضواحي تونس والجبال المطلة على المسيلة وجبل القلعة[5].وكانوا من أصحاب أبي يزيد الخارجي وقد استغلهم حماد ابن بلكين في تشييد مدينة القلعة ولكنها خضدت شوكتهم ورامو كيد القلعة مرارا وهلكت القلعة من بعدهم وورث مواطنهم بذلك الجبل عياض من أفاريق العرب الهلالية حتى سمي الجبل بهم[6].

1) - ابن خلدون:العبر, ج 6, ص 163, 165

2- مسعود مزهودي : "جبل نفوسة" منذ الفتح الإسلامي إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب, رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط, جامعة قسنطينة, 1416هـ/ 1996م, ص 9.

3 - مؤرخ مجهول: المصدر السابق, ص 172 .

4- ابن الأثير: المصدر السابق, ج 6, ص 190 .4

5- ابن خلدون: العبر, ج 7, ص 171.

6-نفسه, ج7, ص 172.

د- صدراتة: هي إحدى بطون لواته الذي يرجع نسبهم إلى لو الأصغر بن لو الأكبر بن زحيك أو لو الأصغر هو نفزاو، وفي لواته بطون كثيرة، وفيهم قبائل كثيرة مثل سدراته بن نيطط بن لوا[1]. وقد كانت هذه القبيلة قد سكنت منطقة المسيلة.

هـ - مزاته: هي أكبر بطون لواته انتشرت في العديد من أماكن المغرب مثل باغاية بجبل نفوسه ومن فروعها قبيلة دغمة وبطوفة والمسيلة[2].

و- أو غمرت: وهم إخوة وجد يجن من ولدور تنصين بن جانا وكانوا كثيري العدد مواطنهم متفرقة بالجبال إلى قبلة بلاد صنهاجة، وكان لهم مع أبي يزيد صاحب الحمار في الشيعة أثار وأوقع بهم إسماعيل القائم عند ظهوره على يد أبي يزيد، وقتل منهم عددا كبيرا وكذلك بلكين وصنهاجة من بعده.

وعند حدوث القطيعة بين الزيريين والحماديين كانت قبيلة أو غمرت من الموالين لبني حماد على بني بلكين وأمام هاته الفتن وبعد مجيء الأعراب الهلالية اعتصموا وتحصنوا بجبال قبلة المسيلة وبلاد صنهاجة.

وفي القديم كان من أو غمرت كاهن زناته موسى بن صالح مشهور عندهم ليتنا قلون كلماته بينهم[3].

1-ابن خلدون المرجع السابق, ج 6, ص 167 .

2--أبو عبد الله محمد شريف الإدريسي: المغرب العربي (من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق), تحقيق : محمد حاج صادق, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, 1983 , ص 180.

3- ابن خلدون:العبر, ج 6, ص 68.

ـ العرب: يعود تعمير المسيلة بالعنصر العربي الى ايام ما بعد الفتح الاسلامي بفترة نعتقدها تزيدعن القرنين .

ورغم أن المسيلة قد تم فتحها منذ ولاية عقبة بن نافع الثانية سنة(62 هـ/ 669 م) إلا أن العرب كمجموعات بشرية مميزة عن البربر لم يستقروا بها إلا بعد أن اسس الفاطميون الى جانبها المحمدية وقد ذكرت المصادر دلالة ذلك عدة مرات خاصة عندما اشارت الى نقل اهلها الى فحص القيروان في 315ه/ 925م، و المعروف انذاك انها ناصرت الزناتيين البربر في صراعهم مع الفاطميين من جهة، ومن جهة اخرى فان بناء المحمدية كان يهدف الى حماية ظهر الفاطميين من القبائل البربرية ومنها قبائل المسيلة. وبدا تشكيل العنصر العربي بشكل واضح عندما استقر بها المكلف لبنائها علي بن حمدون من عرب جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بن كملان وهم من عرب اليمن القحطانيين[1]، وأسرته فقد عاش ابناه يحي وجعفر في المدينة حتى حدثت القطيعة ورحلا إلى الأندلس، وربما ارتحالهما لم يسمح ببقاء العنصر العربي بشكل كبيربها .

ــ الأندلسيون:من العناصر التي عرفتها مدينة المسيلة الجالية الأندلسية، وربما يكون سبب توافدها إلى الظروف التي كانت تعيشها الأندلس، ومن بين الوافدين على المنطقة متنبي المغرب ابن هانئ الأندلسي الذي عاش في كنف الأسرة الحمدونية ولا يستبعد أنه قدم مع أسرته[2].و

1- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب, تحقيق: إبراهيم الأنباري, ط1, القاهرة, 1959م, ص 77.

2- النويري: المصدر السابق, ص 308 .

بعض العائلات التي بقيت بالمسيلة فيما بعد، ويمكن ملاحظة وفودالفئات المميزة من الاندلسيين من الادباء والشعراء واصحاب البلاط الذين وجدوا ببلاط الحمدونيين ما يدفع بالكثير منهم الى النزول بها ولو مؤقتا، وهذا ما نلمسه في انتقال الكثير منهم الى بلاطات اخرى بالقيروان وغيرها مثل ابن هانئء وغيره حتى ممن ولدوا بها مثل ابن رشيق الذى اصبح يلقب بالقيرواني بعد انتقاله اليها .

ـ العرب الهلالية : دخل العرب الهلالية إلى مدينة المسيلة، بعد هزيمة الناصر بن علناس في معركة سبيبة (457 هـ / 1065م) ومن القبائل العربية التي قطنت المدينة قبائل الاثبج ورياح [1] و زغبة وفروعهما، الا ان هذه القبائل بقيت مميزة عن سكان المدينة من البربرالقدامى الى غاية فترة الاتراك، كما ان القبائل الهلالية امتزجت مع عدد من القبائل الوافدة من جهات عديدة سواءمن السوس الاقصى بالمغرب او من الساقية الحمراء ووادي الذهب اومن التل، وكونت مجموعات بشرية جمعت بينها ظروف الحياة او التنقل او المصاحبة والجوار ولا يجمعها عامل الانتماء الى الاصل او الجد الواحد في كثير من الحالات. وستكون لنا دراسة لفرق الهلاليين التي استقرت بالمسيلة في فصل لاحق من الكتاب.

ا

1- أبو الحسن علي بن موسى المغربي:الجغرافيا, تحقيق:إسماعيل العربي, ط2, 1988, ص126.

التنوع المذهبي لسكان المسيلة في الفترة الوسيطة

من مظاهر الرقي والثقافة التي لا يمكن تجاهلها بمنطقة المسيلة والقلعة في الفترة الوسيطة ، الجانب الديني للدولة الحمادية بالقلعة والمسيلة والذي تميزت به عن غيرها من الدول في تلك العصور، وهو ما يعرف بالتسامح الديني وحرية الاعتقاد، فقد ضمنت الدولة الحمادية لجميع الطوائف والملل والمذاهب حرية التعبد على أراضيها، والتعايش دون اضطهاد أو إكراه على دين أو مذهب معين، بالرغم من أن مذهب الدولة كان مالكي سني.

وما يقال عن التسامح الديني والمذهبيب يجب ان لا نغفل من جهة اخرى عن العداء الفاطمي لما اطلقوا عيهم بالنكاريين الذين خالفوهم المذهب وناصروا صاحب الحمار كما لا نغفل وصايا الفاطميين عند خروجهم الى القاهرة وما حملته من مظامين التعالي على العنصر البربري .

فقد كان عصر الحماديين أزهى العصور الإسلامية في تاريخ حرية الأديان واحترام العقائد بالجزائر منذ الفتح الإسلامي إلى القرن الرابع الهجري، إذ في عهدهم تأسست أول كنيسة بالقلعة سنة 400هـ(1009م) يديرها قسيس من رتبة أسقف، وفي سنة 508هـ (1114م) أنشئت بها أيضا كنيسة مريم العذراء برئاسة القسيس عزون المعروف عند العامة باسم

الخليفة، وقد ابتنى دار سكناه بجانب الكنيسة [1] فقد تعايشت في كنفها طوائف شتى اختلفت مللهم وأجناسهم من شيعة وسنة وإباضية ونصارى ويهود، أما الشيعة فقد كان تمركزهم في كتامة على اعتبار أنهم كانوا أول من ناصر المذهب الشيعي الفاطمي ولكن بعد رحيل الدولة الفاطمية إلى مصر رحلوا معها ولم يبق منهم إلا عدد قليل نحو أربعة ألاف.

والنصارى فقد تمركزوا بقلعة بني حماد، وكانت لهم كنائس وتحت إشراف رسمي للقساوسة، علما أن العلاقات كانت طيبة بين الناصر والبابا غريغوار السابع.

وأخيرا اليهود الذين تمركزوا بقلعة بني حماد، ولم نعثر على ما يفيد تواجدهم خلال هذه الفترة بمدينة المسيلة. وكانوا يمتهنون التجارة والطب والصياغة، وفي أحيان أخرى مستشارين أو خبراء في الشؤون المالية. [2]

في هذه البيئة ازدهرت العلوم والآداب ونبغ عدد كبير من العلماء في سائر الميادين امتد تأثيرهم إلى أصقاع كثيرة من البلدان الإسلامية.

بدءا بالمذهب المالكي الذي ساهم الاغالبة منذ عهد اسد بن الفرات في تثبيته بالمغرب الاسلامي ثم المذهب الشيعي، وذلك بتأسيس الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله(322-334 هـ/ 934-945م) وانتحله العديد من القبائل، ولكن بظهور المذهب الخارجي النكاري إنظمت اليه كثير من قبائل

---

1 - رابح بونار: المغرب العربي, تاريخه وثقافته, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, ط2, الجزائر 1981, ص:281-283. [5]

1 - أنيسة بركات: محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر, منشورات المتحف الوطني للمجاهد, الجزائر 1995, ص:277.

البربر بالمسيلة نظراً للظروف المعاشة ايام الفاطميين خاصة ما تعلق بالصرائب والسلطة وفي الأخير عودة المذهب السني المتجذر في بلاد المغرب منذ عهد المعز بن باديس اواسط القرن الخامس الهجري.[1].

ومن اهم الطوائف الدينية التي سكنت المسيلة نذكر:

أهل الذمة:

هم غير المسلمين في المجتمع الإسلامي " والذمة كلمة معناها العهد والضمان والأمان وإنما سموا بذلك لأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في حماية الإسلام، وفي كنف المجتمع الإسلامي آمنين مطمئنين، بشرط بذلهم الجزية والتزامهم أحكام المسلمين في غير الشؤون الدينية، ولا نعرف عن وجود المسيحيين بالمسيلة غير ما يذكره البكري (ت 487 -هـ/ 1094م)في قوله "...بقبلي مدينة المسيلة موضع يعرف "بالقباب"[2] والقباب هنا معناها الكنيسة[3] هذا وإن دل على شيء فإنما يدل على وجود النصارى بمدينة المسيلة، وان كان ذلك خلال الاختلال الروماني. الا ان هذا القول لا يعتد به بعد الفتح الاسلامي بسبب اختفاء الرومان النصارى من المنطقة كليا الا ان فئة اليهود كانت من الفئات التي سكنت المدينة منذ القرن الثالث عشر الميلادي مع القبائل الوافدة من المغرب الاقصى.

2- ابن الأثير: المصدر السابق, ج 4, ص 50 .
1- البكري: المصدر السابق, ج2, ص 121.
2 - سعاد سليماني: المرجع السابق, ص 23.

اليهود:

يتفق أغلب الباحثين على أن استيطان اليهود بالمغرب وشمال أفريقيا يعود إلى ما قبل الفتوحات الإسلامية بعدة قرون. غير أن تحديدا دقيقا لتاريخ هذا الاستيطان أمر صعب المنال، إذ لا زالت الآراء تتضارب حتى الآن بشأنه. ويتراوح هذا التحديد التاريخي المفترض لاستيطان اليهود في شمال أفريقيا ما بين القرن العاشر قبل الميلاد، وهي حقبة النبي والملك سليمان أو ما يُعرف في الأدبيات اليهودية بالمملكةالموحدة والقرن الأول الميلادي الذي شهد تدمير الهيكل الثاني على يد طيطوس الروماني.

والظاهر أن شمال أفريقيا استقبلت في الماضي تدفقا للهجرات اليهودية. وتذكر الكثير من المصادر التاريخية أن الهجرة الأولى حدثت عقب تخريب هيكل القدس سنة 586 ق.م على يد نبوخذ نصر. وتزامنت الهجرة الثانية مع وقوع شمال أفريقيا في قبضة الفينيقيين، وتأسيس مدينة قرطاجة. فقد كانت هناك مستعمرات على امتداد الساحل الإفريقي ينحدر سكانها من قبائل يهودية. أما الهجرة الثالثة فهي الأحدث لأنها وقعت في القرن الأول الميلادي[1].

لكن في غياب آثار مادية أو نقوش أو مخطوطات تؤرخ للهجرات اليهودية الأولى فإن الهجرة الأخيرة هي وحدها التي يمكن التحقق فعلا من صحتها. أما ما عدا ذلك فهو أقرب إلى الأسطورة منه إلى التاريخ. ويجب أن نستحضر ها هنا الروايات الكثيرة التي تفنن المتخيل اليهودي في صنعها،

والتي ترجع استيطان اليهود في هذه المنطقة من العالم إلى أزمنة موغلة في القدم[2].

وشهدت قلعة بني حماد التي انتقلت اليها السلة والمكانتة التاي كانت للمسيلة والظاهر أن ساكنة المسيلة كانت كحال القلعة التي كانت تتكون من أغلبية مسلمة وأقليات مسيحية ويهودية. بخصوص المسيحيين يؤكد Georges Marçais)، (175-174: 1991 وجود كنيسة بالقلعة مكرسة لمريم العذراء، ويضيف قائلا بأن هجرة بني حماد من القلعة في اتجاه بجاية نجم عنه ترحيل جزء من هذه الأقليات من المدينة الأولى إلى المدينة الثانية.وقد طلب الناصر بن حماد سنة 1076م إلى البابا جرجير السابع Le pape Grégoire VI تعيين أحد الأساقفة قسا على بجاية.

أما الوجود اليهودي بالقلعة فأمر لا يمكننا التشكيك فيه وإن كانت تعوزنا المعلومات الكافية. ويذهب أندريه شوراقي إلى القول بأن إشعاع هذه المدينة كان محدودا إلى درجة أنها لم تترك بصماتها على حياة اليهود المقيمين بها André Chouraqui)، (156 : 1987 .

أما البداية الحقيقية للتاريخ اليهودي بشمال أفريقيا فمن المرجح أنها تزامنت مع العهد الإغريقي الروماني. وتذكر المعلومات المستقاة من المصادر المكتوبة أو الأثريات أو أخبار المؤرخين أن طائفة يهودية كانت مستقرة بمدينة وليلي في العهد الروماني التي عثر فيها على شمعدان برونزي ذي سبعة عروش. كما عثر أيضا على بقايا شاهد قبر مدونة فيه الكتابة العبرية. الا ان الكتابات التي تناولت الجالية اليهودية لم نلمسها الا في المؤلفات الفرنسية بالنسبة لمدينة المسيلة وهي منقولة عن الذاكرة الجماعية المحلية بداية

الاحتلال الفرنسي وترجع اولى هجرات اليهود الى المسيلة الى القرن الثالث عشر الميلادي.

وأصحاب هذا المذهب هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية إما جلياً وإما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وحسب ابن حزم فهم ثلاث فرق الجارودية من الزايدية، والإمامية من الرافظة والمغالين[1]، وشيعة المغرب هم الإسماعليون الذين ينحدرون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب[2].من فاطمة الزهراء رضي الله عنها، ورأس الفاطميين هو عبد الله الذي لقب بالمهدي على أنه المهدي المنتظر، ويلقبه السنيون بعبيد الله تصغيراً وتحقيراً لطعنهم في نسبه وقد تمكن عبد الله هذا من إقامة أول دولة شيعية في أرض المغرب كما قام ببناء المدن ونشر المذهب الشيعي[3].وبتأسيس مدينة المسيلة من طرف القائم بأمر الله (322-334 هـ/ 934- 945م) أصبحت المدينة شيعية. لكن حدوث ثورات وانتفاضات بسبب نظام الحكم ، ولسياسة الفاطميين. وبظهور ثورة أبو يزيد انضم إليه الكثير من الساخطين[4]. ومنذ اعلان المعز ابن باديس القطيعة مع الفاطميين لم يعد هناك ذكر للشيعة بالمنطقة .

1- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل و النحل, تحقيق: محمد سيد كيلاني, دار صعب, بيروت, 1406هـ/ 1987م, ج1, ص 146.

2 - أبو محمد علي بن أحمد بن حزم: الفصل في الملل و الأهـــــواء و النحل, تعليق: أحمد شمس الدين, ط2, دار الكتب العلمية, بيروت, 1999, ج3, ص 111.

3) - عبد العزيز مجدوب: الصراع المذهبي بإفريقيـــــا إلى قيام الدولة الزيرية, تقديم: علي الشابي, الدار التونسية, تونس, 1335هـ/ 1975م, ص 167, 168.

1-عبد العزيز مجذوب :المرجع السابق, ص 168 .

الخوارج: وجدت فئة الخوارج بالمغرب الاسلامي قبل مجيء الدعوة الفاطمية وقيام امارتها بالمسيلة التي كانت منطقة تماس مع الرستميين بتيهرت وسمي بالخوارج كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيا، سواء أكان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان[1].

وكان ظهورها في المغرب في خلافة هشام بن عبد الملك، وولاية عبيد الله بن الحبحاب في طنجة. وقد عرف البربر مذاهب خارجية من صفرية[2] وإباضية[3]، هذه الأخيرة التي انقسمت إلى وهابين ونكاريين[4].

وعند قيام الدولة الفاطمية الشيعية، أثارت مشاعر الحقد من حولها واستفزت نفوس البربر بسياستها، فقاموا ضدها وشنوا حربا ضروسا، كادت تسحقها وهي مازلت بعد في مهدها، لم تدرج ولم يشتد ساعدها فكانت ثورة خارجية نكارية ضد أعدائهم الشيعة، والتي قادها أبو يزيد

2-الشهرستاني: المصدر السابق, ج1, ص 114.

3-الصفرية: هم أصحاب زياد بن الأصفر خالفوا الأزارقة والنجدات و الإباضيةأنهم لم يكفروا القعدة عن القتال, اشتهروا في المغرب بالتطرف, قاموا بثورات ضد الأمويين بافريقية سنة 119 هـ, أنظر: 1-1-الونشريسي, أبو العباس أحمد بن أحمد: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب, تحقيق: كمال السيد أبو مصطفى, مركز الإسكندرية, القاهرة, 1996 م, ج1, ص 95 .

4- الإباضية : هم أتباع عبد الله بن إباض التميمي, من الخوارج المعتدلة قاموا بعدة ثورات في المقر 3 بقيادة أبو يزيد مخلد بن كداد, أنظر: الونشريسي : المصدر السابق, ص 94 .

5-مبارك الميلي: المرجع السابق, ص .434

مخلد بن كيداد اليفرني النكاري (322 هـ / 934م)، وقد انضم إلى هذه القبائل بني كملان من بطون هوارة وبنو برزال وقبيلتي هوارة [1].

ربما يرجع انضمام هذه القبائل للحركات الخارجية بسبب ضعف التجذر للمذهب الشيعي في نفوس القبائل البربرية وأسلوب القوة المنتهج من قبل الفاطميين في نشر مذهبهم وسياستهم.

وبالقضاء على ثورة أبي يزيد خالد بن كيداد اليفرني في عهد الخليفة المنصور زال المذهب الخارجي بقتلة سنة(336 هـ/ 947 م) [2].

الا ان مسالة وقوف قبائل المسيلة من بنو برزار وهوارة الى ابا يزيد الخارجي لا يعني بالاساس وجود المذهب الخارجي في اعتقادهم بقدر ما هو رد فعل على السلطة الفاطمية وسياستها اتجاه البربر خاصة.

اهل السنة :

اتبع اهل منطقة المسيلة المذهب الذي جاء به الفاتحون واخذوه بفطرة الانسان قبل ان تاخذ الفتن مجراها وتختلف المذاهب وتفتك بالقبائل والامارات الاسلامية .و الى غاية انتشار المذهب الفاطمي بمنطقة المسيلة بداية القرن الرابع الهجري لم يعرف السكان الا ما كان حولهم من المذاهب الخارجية بتاهرت، ولا يمكن حينها التمييز بعمق عند السكان بين ما كان سائدا في المشرق وما كا بالمغرب.

1- إبراهيم فخار: بنو برزال و أسطورة كريستوف كولمبس, مجلة الثقافة, ع 20 / أفريل ماي, 1994, ص 38, 39.

2- ابن خلدون:العبر, ج 6, ص 202 - مبارك الميلي: المرجع السابق, ص 430.

بعد تأسيس قلعة بني حماد على يد حماد بن بلكين سنة(398 هـ/ 1007م) ووشاية الأعداء للأمير الزيري باديس بن مناد الموالي للفاطميين، حدث الانشقاق بين الحماديين والزيريين أدت بحماد بن بلكين إلى خلع طاعة الخليفة الفاطمي الشيعي وإعلان تبعيته للخليفة السني وكان ذلك سنة(405 هـ / 1014م)[1]، وبما أن المسيلة كانت آنذاك تابعة للحماديين هذا ما يدل على إرساء المذهب المالكي فيما بعد، بعد إعلان الزيريين هم الآخرين تبعيتهم للخلافة السنية في المشرق عام واستقر نهائيا المذهب السني لعدة اعتبارات منها عامل الحج وتاثير المدينة وعامل طبيعة المذهب وتاقلم المغاربة معه الى جانب دور السلطة في استمراره (440 هـ / 1049م)[2].

1 - نفسه, ج 6, ص 202 .

2- أحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان, ط2, الدار التونسية, الجزائر, 1396 هـ/ 1976 م , ج 1ص 172.

العلم والعلماء بالمسيلة في الفترة الوسيطة

تبقى الفترة الوسيطة من تاريخ المسيلة اهم فترات الحضور الفكري والعلمي والمساهمة الحضارية داخل وخارج المغرب الاسلامي .

فقد اهتم امراء بنو حمدون بالمسيلة بعد تاسيس المحمدية ومن بعدها بنو حماد بالقلعة بالعلوم المختلفة اهتماما بارزا مع ظهور مدينة المحمدية الى جانب المسيلة في 315هـ، كان نشاطها الثقافي أعظم، وإقبال الأدباء عليها أكثر، لاهتمام أميرها جعفر بن علي المعروف بابن الأندلسية، باستقدام العلماء إلى بلاطه بها ولاتخاذها عاصمة للجهة الشرقية من القطر الجزائري، وقد كان وفود ابن هانئ الأندلسي عليها مبعثا لحركة أدبية نشيطة بها لم تعتم، إذ أنجبت طائفة من الأدباء كعبد الكريم النهشلي وابن رشيق وغيرهما.

ومع توطيد دعائم الدولة الحمادية نستطيع القول بأن المذهب المالكي كان يتصدر المذاهب بل والعقائد في المغرب العربي. وقد اشتهر علماء كثرفي مسائل الفقه والحديث، ولقيت علوم القرآن والسنة من تفسير وقراءات وحديث وفقه وتصوف، اهتمام رجال القصور وحفلت بها المجامع والمعاهد الدينية وكذا اهتمام العامة، وقد أسس الحماديون المساجد والزوايا..فكانت المجال الخصب لازدهار هذه العلوم كلها ونجح العصر الحمادي في أن يقدم في مجال العلوم الشرعية عددا من العلماء في سائر الفروع .

و الجدير بالانتباه أن انتصار المذهب المالكي قد أضفى لونا من الثبات الفكري والعاطفي في الدولة الحمادية ومدنها كالمسيلة، وتحقق على المستوى العقائدي نوع من الوحدة لم يتوفر لبلدان المشرق المعاصرة التي كان الصراع قائما فيما بين السنة والروافد.

ورغم ان هناك عوامل عدة لانتصاب المذهب المالكي الا ان ابن خلدون عند تعليله لانتشار مذهب مالك في المغرب والأندلس، يقول "لأن البداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعاونون الحضارة التي لأهل العراق .فكانوا إلى الحجاز، أميل لمناسبة البداوة، لهذا لم يزل المذهب المالكي مسيطر عندهم، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها، كما وقع في غيره من المذاهب.

فهو يريد أن يقرر أن مدنية البلد الذي نشأ فيه الإمام أو بداوته لهذا أثر خاص في تكوين مذهبه، من كثرة فروع وقلتها، بل يظهر أن لها كذلك أثرا في تكوين رأيه. وبالإضافة إلى الثبات الفكري الذي أضفاه إلى حد كبير مذهب مالك، فإن المغاربة لم يكونوا ميالين كثيرا إلى الجدال، وبالتالي لم يحظ علم الكلام من اهتمامهم بالمكانة التي حظي بها في الشرق، أو المكانة التي حظي بها علم الفروع أو القراءات أو التفسير .وكان جمهور مفسري المغرب يسيرون على المأثور :أي ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته وفق اتجاه الإمام مالك متجنبين طريق التأويل والعقل الذي التزم المعتزلة والشيعة[1]

1- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط في القرنين الثالث والرابع الهجريين, ص: 446.[1]

ويقول ابن خلدون في تعليل ذلك: " والسبب في ذلك أن الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة، لمقتضى أحوال السذاجة والبداوة، وأنها أحكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها في صدورهم، وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع وأصحابه "

يمكننا من خلال حديث الفارابي عن كيفية نصرتهم للدين أن نسميهم بالنصيين، ذلك لأنهم يحبذون نصرة الدين بالنص الديني لقدسيته ولمصدره الإلهي المطلق، فالنص الديني أو الفعل المأمور به، أعلى وأشرف من الذي قد يدعي الدفاع عنه لأنها أي النصوص والأفعال المأمور بها شرعا، وحي إلهي، فهي ما يدركه العقل، وفيها ما هو فوق طور العقول. فالإنسان عاجز على أن يدرك بمفرده ما أراده الشرع، ثم أن الإنسان بعقله خطاء والشرع هو الذي يبين لنا، دائما حسب النصيين كنا يورده الفارابي، صحة ما نفكر في خطئه أو خطأ ما نفكر في صحته، فالعقول الإلهية أعلى وأصح وأسلم من العقول الإنسانية، فالأولى كاملة والأخرى ناقصة وعاجزة، ومثل عجزها أمام العقول الإلهية كمثل عجز وتعصب الصبي من عقل الراشد.

ولقد وجد في المدن الحمادية الكبرى كبجاية والقلعة والمسيلة وبونة علماء أجلاء يقصدونهم طالبوا العلم من الأندلس ومن البلاد المغربية الأخرى وكانت لبعضهم شهرة على امتداد العالم الإسلامي.

ومن هؤلاء الفقهاء إبراهيم بن حماد من أهل قلعة بني حماد، وكان راوية لأبي علي الصرفي، وحدث عنه ابن الرمامة.

كما اشتهر من المتخصصين في العلوم الدينية بفروعها المختلفة " يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل النحوي " الذي كان شاعر دينيا كذلك، وكان بمثابة مدرسة لها اتجاهها في النظر إلى الأمور الدينية، ونجح في تكوين تلاميذ ينشرون اتجاهه في المغرب، وكان اتجاهه امتدادا للإمام الغزالي ...فقد ركز على علوم العقيدة والتصوف أكثر من التركيز على الفروع. الذي كان اتجاه المرابطين الرسمي.وكان يقول عن الأحياء " وددت إني لم انظر في عمري سواه " وكان يلقى دروسه في القلعة وتخرج على يديه بها القاضي" أبو عمران موسى الصنهاجي وأبو عبد الله محمد بن الدماسة وأبو بكر بن مخلوف ومحمد بن مخلوف وغيرهم ".

كما شكلت دراسة القرآن وحفظه تدريسه حيزا كبيرا في نشاط العلماء بمدينة المسيلة خلال الفترة الحمدونية لكونه كلام الله المنزل ودستور المسلمين ونظرا لأهميته الكبرى في التشريعات وتربية النسل وتهذيبه وتقويمه وكبح جماح شهوته. وقد عرف القرآن طرقا مختلفة للقراءة ، واشتهر إلى أن استقرت سبع طرق معينة فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة [1] لأهمية هذا العلم فقد برز أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي والذي اهتم بعدة علوم نقلية وعقلية اختلف في موطنه الأصلي فهناك من يقول أنه من المسيلة وهم الاغلبية وقيل من بسكرة بالإضافة إلى أنه لم يحدد تاريخ ولادته وقيل ولد في القرن الرابع الهجري عاش بطرابلس [2].كان فاضلا متفننا

1*.انظر للمزيد كتاب تعريف الخلف للحفناوي و كتاب عنوان الدراية للغبريني و معجم اعلام الجزائر لعادل نويهض.

1- أحمد بن نصر الداودي المالكي: كتاب في الأموال, تحقيق: محمد حسن التبلي, ط1, دار ومكتبة الحامد للنشر و التوزيع, عمان, 2001, ص 9 .

مؤلفا له حظ من اللسان والحديث[1] ، يذكر المترجمون أن له تفسيرا للقرآن الكريم من أنفس التفاسير القديمة وأجلها بقي متداولا بين الناس حتى القرن التاسع للهجرة وقد أتاح للطلاب والعلماء النهل منه والاستفادة من محتواه في التأليف والتدريس خاصة وأنه جمع بين الرواية والدراية ُإن كنا نجهل المكان الحقيقي لولادة الداودي إلا أنه توفي بتلمسان عام (402 هـ/ 1011 م).(وهناك دراسات ت عديدة حول شخصية الداودي من الجوانب الشرعية والتاريخية اهمها دراسة الاستاذ عبد العزيز دخان الثرية حول شخصيته واثاره والتي ناخذ منها هذا التعريف المقتضب)

من المؤكّد أنّ الداوديَّ عاش في القرن الرابع الهجري (وخاصّة النصف الثاني منه إلى بداية القرن الخامس الهجري)، وشهد أحداثه الكبرى، خاصّة أيام الدولة العبيدية) الإسماعيلية) وما كان بينها وبين أهل المغرب من صراع امتدّ إلى سنوات طويلة(من296 هـ إلى 363هـ)، وانتهى بخروج العبيديين من المغرب إلى مصر، فقد أرسل المعزّ لدين الله الفاطمي قائده جوهر الصقلي إلى مصر، فاستطاع فتحها وخطب للمعزّ على منابرها، وقام جوهر الصقلي ببناء القاهرة، وفي سنة 362هـ وصل المعز إلى الأسكندرية، واستقر بقصره بالقاهرة سنة 363 هـ، وظلّت الدولة العبيدية قائمة إلى سنة 564هـ حيث سقطت بموت العاضد آخر حكامها بمصر . وقبل أن يرحل الفاطميون إلى مصر أوكلوا أمر إفريقيا إلى بني زيري (حكام الدولة الصنهاجية) الذين استمرّوا في حكم القيروان وولائهم للفاطميين، لكنّه لم يكن ولاءً شديداً، ولذلك بدأ ضغط المذهب الفاطمي في أيامهم يخفّ، ونشط علماء أهل السنة في القيروان وغيرها، حتى كانت سنة

3- نفسه, ص 9.

435هـ، حيث أعلن المعزّ بن باديس أحد حكام الدولة الصنهاجية خلع طاعة العبيديين والدخول في طاعة الدولة العباسية ببغداد. وقد شهد الداودي نهاية الدولة العبيدية بإفريقيا، ولكنّه لم يعش ليشهد نهاية تأثيرهم على الدولة الصنهاجية، فقد توفي سنة(402هـ)، أي قبل أن يقدم المعزّ بن باديس على نزع طاعتهم وإعلان ولائه للدولة العباسية.

ترجمة الداودي:

رغم ان الداودي من اجلاء العلماء المنتسبين الى المسيلة الا ان ذكره قليلا عند اسهامات المؤرخين لمنطقة المسيلة، ولذلك نحاول في البداية جمع ما تفرق من ترجمة هذا الإمام وعصره ومعاصريه في بعض كتب الرجال، أو ما تناثر من الكلام حوله في بعض الكتب الأخرى، وذلك بالقدر الذي يتسع له الوقت وتسمح به المصادر، ولعله يتيسر في المستقبل ما يمكننا معه استكمال الكلام على هذا الإمام وإعطائه حقّه الذي يستحقه، واستقينا من الاستاذ دخان عبد العزيز [1] اهم تفاصيله، بحيث قدم ابحاث وافية ودراسة جادة لهذا العالم بحيث يذكر نسبه كالتالي:

هو أبو جعفر أحمد بن نصر، الداوُديالأسدي المسيلي، التلمساني، من أئمّة المالكية.أمّا عن مصدر نسبة الداودي، فالظاهر ـ والله أعلم ـ أنّه نسبة إلى الدواودة) أو الزواودة، أو الذواودة) الذين كانوا يقيمون بهذه المنطقة من الجزائر، ولهم ذكر كثير في تاريخ هذه المنطقة، وقد تردّد ذكرهم

[1].-عبد العزيز دخان:الإمام الداودي أحمد بن نصر المسيلي المالكي, محدثا وفقيها, ط1, مكتبة الصحابة, الشارقة, 2008 ـ 2009م

في تاريخ ابن خلدون وغيره لا يعرف تاريخ ولادة الداودي، ولم أجد في جميع المصادر التي ترجمت له أو ذكرته ما يشير على ذلك. لكن يمكن أن نستنتج تاريخ ولادته تقريبا، إذا عرفنا أنّ من أقرانه الإمام أبا الحسن القابسي، وقد اشترك معه في جملة من التلاميذ، وكانت ولادة القابسي سنة 324هـ، وتوفي سنة 403هـ ـ أي بعدَ وفاة الداودي بسنة واحدة ـ فلا يبعد أن تكون ولادة الداودي قريبة من ذلك، والله أعلم.
أمّا أصله، فهو من المسيلة، وهي التي كانت تسمّى قديما (المحمدية) نسبة إلى من بناها وهو أبو القاسم محمد بن عبيد الله العبيدي الشيعي، كما سبق ذكره.

وقد جزم القاضي عياض بنسبته إلى المسيلة، ثمّ قال:« وقيل: من بسكرة، وكان بأطرابلس.وقد نسبه ابن خير الإشبيلي(ت575هـ) في فهرسته إلى المسيلة، فقال: أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الفقيه المالكي من أهل المسيلة ولكن هل عاش الداودي في المسيلة؟ هناك ما يدلّ على أنّه حدّث بالمسيلة قبل أن يخرج منها إلى طرابلس. ففي ترجمة أحد تلامذته وهو أحمد بن محمد بن عبيدة المعروف بابن ميمون أنّه سمع من أبي جعفر بالمسيلة عاش الداودي بعض السنوات من عمره بطرابلس الغرب ينشر العلم بين طلاّبه. قال ابن فرحون:«وبها أصل كتابه في شرح الموطأ »، وهو الكتاب المسمّى(النامي في شرح المو'طا.ولم أجد في ترجمته ما يشير إلى أنّه دخل القيروان أو أقام بها، وهناك عالم آخر يقال له أيضا: أحمد بن نصر الداودي، وهو غير الداودي الذي نتحدّث عنه، وهو الذي ترجم له صاحب شجرة النور الزكية تحت رقم (153)، وهو أقدم، لأنّه توفي سنة307 هـ. وقد ذكره

للتمييز بينه وبين أحمد بن نصر بن زياد الهواري المتوفى سنة 319هـ [1]، حيث قال:« وفي المالكيين القرويين من يشبهه وهو أحمد بن نصر الداودي المتوفى سنة307 هـ" وقد اختلط الأمر على الزركلي في الأعلام فجعلهما واحدا، فوقع في أخطاء، حيث كنّى الداودي بأبي حفص، والصواب أنّه أبو جعفر كما هو مشهور عند كلّ من ذكره، ثمّ جعل وفاته سنة 307هـ، وهذا خطأ أيضا، فوفاة الداودي كانت سنة 402هـ، أمّا ما ذكره فهي سنة وفاة الداودي الآخر.

والغريب أنّه أحال على شجرة النور حيث ظنّ أنّه هو الداودي المشهور، ثمّ نسب إليه كتاب الأموال وهذا خطأ آخر.أمّا الداودي المشهور فترجمته في شجرة النورتحت رقم (293)، ولم يرد في ترجمته أنّه من أهل القيروان، بل فيها أنّه كان بطرابلس، ومن هناك أنكر على علماء القيروان بقاءهم تحت سلطة العبيديين.

وممّا يرجّح أنّ الداودي ليس من علماء القيروان أنّ صاحب كتاب معالم الإيمان لم يذكره في كتابه، رغم أنّه استوعب ذكر جميع من له صلة بالقيروان، والله أعلم.وأخشى أن يكون الدكتور الفاضل حسين قد وقع فيما وقع فيه الزركلي من ظنّ الاثنين واحدا، والله أعلم[2].

أمّا تفاصيل حياته فليس في المصادر ما يشير إلى شيء من ذلك، كلّ الذي نعرفه أنّه بعد إقامته بطرابلس مدّة من الزمن انتقل إلى مدينة تلمسان

[1].دخان عبد العزيز : :المرجع السابق

[2]دخان عبد العزيز : :المرجع السابق.

في أقصى غرب الجزائر، حيث أقام بها مدّة لا نعرف تحديدها. قال أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي(ت 469هـ):« وكان أبو جعفر الداودي حين دخلت إلى المشرق حياً بتلمسان، فلم يمكني لقاؤه؛ لتغرب الطريق من الجهة التي خرجت إليها من البحر »وكان الطرابلسي قد رحل من الأندلس إلى المشرق سنة 402هـ أي السنة التي توفي فيها الداودي بتلمسان. ثمّ وجدت في نوازل العلمي عن أبي العباس أحمد بن عليّ الزقاق، قال: كان بطرابلس، ثمّ انتقل إلى تلمسان، وبها الّف كتبا كثيرة، منها النصيحة في شرح البخاري.. كان إماماً متفننا، توفي بتلمسان سنة 442ه وهذا النصّ يفيدنا أمرين اثنين الأوّل: أنّ كتاب النصيحة ألّفه الداودي في تلمسان.

الثاني: أنّ معظم كتبه ألّفها في تلمسان، وصيغة التكثير المذكورة تدلّ على أنّ له كتبا أخرى غيرَ ما دُكر في ترجمته.ولعلّ الذي جعل الداوديَّ يتجاوز القيروان ليقيم في تلمسان أنّ القيروان وقتها ـ أي قبل سنة 402هـ ـ كانت مسرحا لكثير من الصراعات، وكذلك كانت مدينة المسيلة، وكانت تلمسان أوفر حظّا من الأمن والااستقرار، وأكثر اهتماما بالعلم والعلماء، فاختارها الداودي ليحطّ فيها عصا التسيار، وبقي بها حتى توفي سنة 402هـ.

وفاته:

بعد سنوات حافلة بالعطاء العلمي والتصنيف والتدريس، توفي الإمام الداودي بتلمسان سنة 402هـ

في علم الحديث الذي يعتبر مصدرا أساسيا في حياة الناس ومنفذهم لفهم أحكام القرآن وتفسيره نجد أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي)، ألف كتاب "النصيحة" في شرح صحيح البخاري وهو أول شرح لصحيح البخاري في الإسلام .[1] كذلك " النامي في شرح الموطأ "مما يدل على أنه كان على مذهب الإمام مالك[2].و نظرا لأهمية هذا العلم اهتم علماء مدينة المسيلة بحياة التفقه باعتبارها جملة القواعد والأحكام التي تنظم حياة الفرد الدينية والاجتماعية ومن هذا المنظور ظهرت مشاركات واجتهادات في الفقه وحفظ المسائل ومنهم أحمد بن خلوف المسيلي يعرف بأبي جعفر كان حسن التكلم في الفقه وكان ورعا زاهدا توفي ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وهو ابن ست وخمسين سنة وعليه تكون سنة مولده سبع وثلاثين وثلاثمائة للهجرة[3]. كما ظهر أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي (ت له كتاب في الفقه المسمى "كتاب الأموال" وكتاب "النوادر والزيادات" و"الواعي في الفقه" وكتاب "الأسئلة والأجوبة"[4].

ومنهم أيضا الشيخ الفاضل العالم العابد المحقق المتقن المحصل المجتهد أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي[5] جمع بين العلم والورع وبين علم الباطن والظاهر له المصنفات الحسنة والقصص العجيبة المستحسنة له كتاب

1)- عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر, ط3, مؤسسة النويهض الثقافية, بيروت, 1983, ص 141.

2)- الداودي: المصدر السابق, ص 13.

1- أبو الوليد عبد الله بن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس, تحقيق: إبراهيم الأباري, ط2, بيروت, 1410هـ/ 1989 م, ج 1, ص 71.

2-الداودي: المصدر السابق, ص 12

3 - أحمد أبوالعباس الغبريني : عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة ببجاية, تحقيق :رابح بو 5(نار, ط2, الشركة الو طنية, الجزائر, 1981, ص 67.

"النبراس في الرد على منكري القياس"[1]. يذكر الغبريني (ت 704 هـ/ 1304م) في شأن هذا الكتاب " هو كتاب مليح على ما أخبرت عنه ولم أره وأناشد يد الحرص عليه ولقد أخبرني بعض الطلبة المتمسكين بالظاهر وهو من أنبلهم أنه رأى هذا الكتاب وأنه ما رأى في الكتب الموضوعة في هذا الشأن مثله فأنشدته :

ومليحة شهدت لها أعداؤها والحسن ما شهدت به الأعداء[2]

وله كتاب في علم التذكير "التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات" وهو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبا حامد في كتاب الإحياء [3] وبه سمي " أبا حامد الصغير" وكلامه فيه أحسن من كلام أبي حامد واسلم وهو كثير الوجود بين الناس وكثرة وجوده ، الكتاب يدل على اعتناء الناس بـــه وإيثارهم له[4] توفي رحمه الله سنة(580هـ / 1185م)[5].

ومن العلماء الذين قدموا مساهمة هامة في هذا الميدان عبد الله بن حمو المسيلي (ت 473هـ/ 1080م) اضافة الى احد الوافدين على الاندلس من مدينة المسيلة والذين ساهموا في بعث الفكر والثقافة عبد الله بن حمو

(4- أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج , تحقيق: محمد السطيع , مطبعة فضالة , المغرب , 1421هـ/ 2000م , ج1 , ص 185 .

5- الغبريني: المصدر السابق , ص28.

1- أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج , ج 1 , ص 186

2 - الغبريني: المصدر السابق , ص 68.

3 - رابح خدوسي: موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين , ط 1 , دار الحضارة , الجزائر ,) د.ت , ص 70 .

المسيلي، وهو فقيه متميز استقر بألمرية للتدريس، كطان قد انتقل من المسيلة الى مدينةى سبتة التي غادرها مع الزحف المرابطي على ما يظهر نحو الاندلس.

ومن بين الرجال البارزين في الادب والشعر أبو محمد عبد الكريم النهشلي ت405هـ/ 1014م) ، وهو من مواليد مدينة المسيلة، بها تلقى أولى معارفه، ثم انتقل إلى القيروان فاستفاد من شيوخها وتولى التدريس فيها. ترك آثار كثيرة وخاصة في الشعر، له كتاب الممتع: من أهم المجاميع الأدبية في تاريخ الأدب العربي، وموضوعه في النقد الأدبي، كتبه على نسق كتاب الكامل للمبرد، والأمالي لأبي على القالي. وهو من بين أهمّ المصادر الأساسية التى اعتمدها ابن رشيق أثناء تأليفه لكتابيه (العمدة) و(قراضة الذهب) في نقد أشعار العرب.

احتوى كتابه أخبار الشعراء والأدباء، وعرض فيه الكثير من النماذج الشعرية، مبرزا صورها الجمالية، مع شرح ما ورد فيها من غريب اللّغة والأدب. أمّا الأبواب التى ساقها فيه فهي كالآتي: باب في ما جاء في العفو عمن أذنب، وباب في كلام العرب، وباب في فضل الشعر، وباب في ذكر بيوتات العرب، وباب في ذكر اللباس والطيب، وباب فيما قيل في الجمال وحسن الوجوه، وباب في حكماء قريش في الجاهلية، وباب في ذكر الهيبة، وباب في الجهارة وخلافها، وباب في احتماء الشعراء بالشعر وذبهم به عن الأعراض، وباب فيه الأنفة عن السؤال بالشعر، وباب فيمن نوه به المدح وحطّه الهجاء، وباب فيمن أفف عن اللقب ورغب عن الاسم إلى اللقب، وباب في أخبار النساء، وباب في النهي عن تعرض الشعراء، وباب في صروف الدهر والرثاء، وباب في البلاغة، وباب في ذكر المهيرات والسراري

وأخبار العرجى.[1] بالإضافة إلى أن أبا حامد الصغير (580هـ/ 1185م) قد ألف كتابا التذكرة في أصول الدين " ظل إلى ما بعد القرن السابع للهجري مرجعا للبجائيين[2] وقد سجل الغبريني (ت 704هـ/ 1304م)انطباعا حسنا عن هذا المؤلف بقوله "طالعته وكررت النظر فيه فرأيته من اجل الموضوعات في هذا الفن[3].

فيه الكلام إطلاقا ولا يقطع أجزاءا بل يرسل إرسالا من غير الالتزام بالقافية ويستعمل في الخطب والدعاء والترغيب والترهيب[4] ومن الذين برزوا في هذا المجال أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي (ت 402هـ/ 1011م) الذي ألف كتابا سماه " الواعي في اللغة"[5]

ومنهم أيضا عبد الكريم النهشلي من مواليد المحمدية المسيلة قضي بها أيام شبابه وأخذ مبادئه الأولية ثم تاقت نفسه للمزيد من الدراسة والتخصص فرحل إلى القيروان وكانت حينذاك حاضرة العلم والأدب والسياسة فوجد ترحيبا من شيوخها وأمرائها، وبسرعة بدا نجمه يلمع في الأدب والشعر، والنقد فقد قال في مختلف الأغراض الشعرية في الوصف

1 – أبوالقاسم خلف بن عبد الملك القرطبي ابن شكوال : الصلة, تحقيق: عزت العطار, ط 2, مكتبة الخانجي, القاهرة, 1994م, ج1, ص 287.

2 – الحفناوي : المرجع السابق, ج 1, ص 69 .

3 – الغبريني : المصدر السابق, ص 67

4– ابن خلدون: المقدمة, ص 460.

5– بشير ضيف: فهرسة التراث الجزائري بين القديم والحديث (نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول), ج2, دت, ص 50.

والرثاء والتغني بالوطن كان محترما بين أصدقائه وتلاميذه [1] و إن كانت بعض الروايات تقول : إن فيه شيئا من الغفلة والبله ترك آثارا كثيرة، إلا أنها ضاعت مع جملة ما ضاع ولم يسلم له سوى كتابه "الممتع" الذي توجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية بعنوان "اختيار الممتع" توفي سنة(405هـ/ 1014م)[2]. وابن سهل الخشني الضرير من مواليد المسيلة إلا أننا لا نعرف عنه شيئا إلا ما ذكره ابن رشيق وهو يحدثنا عنه في كتاب الدولة الحمادية" ولم ير ضرير قط أطيب نفسا ولا أكثر حياء أدركته وقد جاوز التسعين والتلاميذ"[3] يكلمونه فيحمر خجلا وكان شاعرا مطبوعا يلقي الكلام إلقاء وسلك طريق أبي العتاهية في سهولة الطبع ولطف التركيب ولا غنى لأحد الشعراء الحذاق عن العرض عليه والجلوس بين يديه أخذا للعلم واقتباسا للفائدة منه توفي رحمه الله سنة(406هـ/ 1015م)[4].

ومن شعره :

قال العوازل قد طوت حزنك إذ لو شئت إخراجه سلوة خرجا

ولئن أطيق خروج الحزن عن جلدي لأنني أنا لم آمره أن يلجأ

أما أبو علي الحسن بن رشيق المسيلي المعروف بالقيرواني أحد الأفاضل البلغاء قال عنه ابن بسام :"بلغني انه ولد بالمسيلة وتأدب بها قليلا ثم

1- بشير خلدون: الحركة النقدية على أيام بن رشيق المسيلي, الشركة الوطنية, الجزائر, 1981, ص 55.

2- حسن حسني عبد الوهاب: كتاب العمر في المصنفات و المؤلفين, ط1, دار الغرب) الإسلامي, بيروت, 1990, ج1, ص 165.

3- رشيد بوروبية : الدولة الحمادية, ص 170.

4- نفسه, ص 170.

ارتحل إلى القيروان سنة(406هـ/ 1015م) أبوه مملوك رومي من موالي الأزد كانت صنعة أبيه في بلده وهي المحمدية الصياغة فعلمه أبوه صنعته وقرأ الأدب بالمحمدية[1] وقال الشعر وتاقت نفسه إلى التزيد منه وملاقاة أهل الأدب فرحل إلى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها واتصل بخدمته ولم يزل بها إلى أن ها

فرحل إلى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها واتصل بخدمته ولم يزل بها إلى أن هاجم العرب الهلالية القيروان وقتلوا أهلها وخربوها فانتقل إلى جزيرة صقلية وأقام بمازر إلى أن مات سنة (463هـ/ 1072م)[2]كانت بينه وبين ابن شرف القيرواني وقائع ومجريات وهما أديبا بلاد المغرب وشاعراها وكان ابن شرف أعور. قيل مر يوم وبيده كتاب فقال بن رشيق : "ما في كتابك ؟ قال : الدريدية يعرض يقول ابن دريد فيها :

و العبد لا يردعه العصا يشير إلى أنه مولى

فقال ابن رشيق :

أما أبي رشيق لست أنكره قل لي أبوك وصوره من الخشب "[3].

1- أبوالحسن علي بن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة, تحقيق: إحسان عباس, الدار العربي للكتاب (ليبيا – تونس) 1399هـ/ 1997. ج 4, ط1, ص 597 .

2- أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب, دار الفكر, بيروت, دت, ص 297 .

1- بشير خلدون : المرجع السابق, ص105 .)

و يذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء "كان بن رشيق شاعرا نحويا لغويا أديبا حاذقا عروضيا كثير التصنيف وحسن التأليف تأدب على محمد بن جعفر القزاز النحوي القيرواني وغيرهم."[1]

لقد ترك ابن رشيق المسيلي قرابة ثلاثين كتابا في شتى المجالات نذكر منها كتابه"العمدة في محاسن الشعر ونقده"و هو الذي اشتهر به وذاع صيته. وقد اختصره الصقلي وسماه "العمدة"اختصره موفق الدين البغدادي[2] وكتاب "الشذوذ في اللغة "[3] و هو كتاب يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها وله أيضا "قراضة الذهب في نقد أشعار العرب " و" تحرير الموازنة" و"غريب الأوصاف ولطائف الشبهات مما انفرد به المحدثون" وكتاب "الحيلة والاحتراس" و"ساجور الكلب" وكتاب "قطع الأنفاس" وأيضا "الرسالة المنقوصة ورسالة الأشكال ودفع المحال" و" فسخ الملح ونسخ اللمح " وكتاب " أنموذج الزمان في شعراء القيروان " و"المادح والمذامم " وكتاب " شعراء الكتاب "[4] ومن شعره ما أورده عندما أراد ابن شرف القيرواني إلى الرحيل من صقلية إلى الأندلس بعد أن تصالحا حيث قال :

مما يزهدني في أرض الأندلس أسماء مقتدر فيها ومعتضد

2- شهاب الدين ياقوت الحموي : معجم الأدباء, ط3, دار الفكر, بيروت, 1400هـ/ 1980م, ج 8, ص 110.

3- أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني المسيلي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه, تحقيق: عبد الحميد هنداوي, ط 1, المكتبة العصرية, بيروت, 1424هـ/ 2001م, ج 1, ص 7

4- جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, ط 1, دار الفكر, بيروت, 1399هـ/ 1979 م, مج 1, ص 504.

1- أبو العباس شمس الدين بن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء الزمان, تحقيق :إحسان عباس, دار الفكر, بيروت, ج 2, ص 88.

ألقاب سلطنة في غـير مملكة كالهر يحكي انتفاضا صولة الأسد

فرد عليه ابن شرف :

إن ترمك الغربة في معـشر قد جبل الطبـع عن بعضهم

فدارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم[1]

كما مدح تميم بن المعز[2] أمير المهدية :

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى مـن الخبر المـأثور منذ قديم

كاعودة لا يطمـع في طيـبـه إلا إذا أحــره بالـنــار[3]

و من الأدباء أيضا الذين ذكروا في مؤلفات الحفناوي والغبريني محمـد بن علي المسيلي المعروف بالأفرم أورد من شعره في الرزق وطلبه وأنه يجـري من الله بقدره:

يقولون إن الرزق بالحرص يجـلب وليس بمقـدور ينـال

ويكسـب فصوب وصعـد في البلاد مطالبـالرزق تنـل منـه الـذي تتطلب

فرب الورى يعطي ويمنع كيف مـا أراد ومـا في ذاك مـنه تعـقب

2– ابن رشيق المسيلي: المصدر السابق, ج 1, ص 6 .)

3– تميم بن المعز بايعه الناس بالمهدية بعد وفاة أبيه و ضبط ما بقي من ملك أبيه و في سنة خمس و خمسين وأربع مائة فتح سوسة و ثارت على أبيه وظفر برؤوس الثورة فعفا عنهم توفي في رجب سنة 501هـ/ 1108 م و له من العمر سبعون سنة و أشهرمدة ولايته ست وأربعون سنة .و خلف من الأولاد والحفدة قدر الثلاثمائة.

.4– نفسه, :, ص 174, 176 .

رضيت به ربا ومـولى وسيـدا وحسبي من رب يرجى ويرهب[1]

كما نبغ أبو العباس أحمد بن عبد السـلام الغـافقي الإشـبيلي الشـهير بالمسيلي من شعره عند مغادرته الإسكندرية :

السم من ألسن الأفاعي أعذب من قبلة الوداع

ودعتهم والدموع تجري لما دعا للوداع الداع[2]

ومن مواليد المسيلة برز منهم أيضا عبد الـرحمن بـن أحمـد بـن حبيـب القيرواني يكنى أبا حبيب من هو الآخر في الأدب وصناعة الشعر[3].

ورد ابن رشيق في وصفه :

أعدى على الحر من أعدائه الزمن خط المهـذب من أيامـه المحن

مكـايد فيـها ألـوانا يـزاولها صبر الجليد ويجفو جفنه الوسن[4]

و من بين ادباء المسيلةنهاية القرن الحادي عشر ايضا عبد الله بـن حمـو المسيلي (ت473هـ/ 1080م) حيث كان أديبا هو الآخر [1]إلا أن المصـادر

1-عماد الدين الأصفهاني الكاتب : خريدة القصر و جريدة العصر (قسم شعرالمغرب), تحقيق: محمد المرزوقي, محمد العروسي المطوي, الجيلاني بن يحي, ط 1, الدار التونسية, تونس, 1973, ج1, ص 170, 171.

2- أحمد بن محمد المقري التلمساني :نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب, تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي, ط 1, دار الفكر, بيروت, 1419هـ/ 1998م, ج 3, ص 198, 199.

3- ابن الآبار : المصدر السابق, ج3, ص 219.

التاريخية لم تذكر كتبا أو مساهمات له في ميدان الأدب .و أحمد بن الحسين المهدوي المسيلي (ت 538هـ/ 1143م) حيث عرف بشعره ونثره قال عنه بن دحية :"من أعيان شعراء المغرب الراسخين في الأدب المتمسكين فيه بأمتن سبب كان محمود الحال حسن الخلق قوالا بالحق إلى أن توفي "[2].وأبو على الحسن بن علي بن محمد المسيلي [3]، وأبو محمد عبد الحق الاشبيلي وأبو العباس احمد بن محمد بن حرب المسيلي واحمد بن عبد السلام المسيلي الغافقي [4]، وحسن بن علي المسيلي الملقب بأبي حامد الصغير [5]،

ومن الذين برزوا كذلك في ميدان الادب ظهر أحمد بن محمد المسيلي المعروف بأبي العباس (ت 803 هـ/ 1426 م) [6] أخذ عن الإمام ابن عرفة وأبي الحسن البطروني والشيخ ولي الدين ابن خلدون وأبي مهدي عيسى الغبريني[7] له تقييد جليل في التفسير عن شيخه ابن عرفة فيه زوائد وفوائد ونكت حدثت له قصة مفادها أنه لما ألفه سمع بذلك الأمير الفقيه أبو العباس الحفصي الحسين بن السلطان الحفصي فراسله في طلب التقييد فامتنع

4-ابن بشكوال : المصدر السابق, ج 1, ص 282

1-عمار هلال : العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية ما بين القرنين 9, 20 م / 3, 14. هـ, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, 1995, ص 149, 150.

2--الغبريني (أبو العباس احمد) عنوان الدراية فمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية, تحقيق رابح بونار, الشركة تحقيق رابح بوناب الشركة الوطنية للنشر الجزائر 1970, ص 66.

3-الحفناوي: أبو القاسم, تعريف الخلف برجال السلف, موفم للنشر, الجزائر 1999 ص 328.

4-نفس المرجع : ص: 68.

5- أحمد بابا التنبكتي, ص 117.

6-ابو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف, تقديم: محمد رؤوف القاسمي الحسني, دار الموفم, الجزائر, 1991م, ج1, ص 327 .

وماطله أياما ثم أرسل إليه مرة أخرى وطلب من رسله أن لا يغادروه حتى يسلمه لهم فلما أيقن العلامة الجد في الأمر أخذ منه سورة الرعد إلى الكهف ومنحهم الباقي فمشوا به ثم مات أبو العباس المسيلي ومات الأمير أيضا وبيع التقييد في تركته فأخذه مشتروه إلى بلاد السودان لذلك كان أصل نسخة من نسخه في السودان ومن هناك انتشروا وكان الشيخ لما طلب منه التقييد ففر من تقييد صغير جدا [1] وقام بإكمال هذا النقص في هذا التقييد الصغير ابن غازي المكناسي المتوفي سنة (919 هـ/ 1514 م)[2].

و من الذين برزوا في علم الحديث أيضا نذكر أحمد بن أبي القاسم بن أبي عمار أبو العباس المسيلي (ت 789هـ/ 1387م) من كبار المحدثين ولد بالمسيلة وتعلم بها ثم رحل إلى قسنطينة لإكمال دراسته توفي ببجاية [3] ورغم بروزه في هذا الميدان إلا أن المصادر لم تسعفنا للتعرف على تأليف هذا العلامة .

اما في ميدان الفقه وأصول الدين ونظرا لأهمية هذا العلم اهتم علماء مدينة المسيلة بحياة التفقه باعتبارها جملة القواعد والأحكام التي تنظم حياة الفرد الدينية والاجتماعية ومن هذا المنظور ظهرت مشاركات واجتهادات في الفقه وحفظ المسائل ومنهم أحمد بن خلوف المسيلي يعرف بأبي جعفر كان حسن التكلم في الفقه وكان ورعا زاهدا توفي ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وهو ابن ست وخمسين سنة

1 – عادل نويهض: معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر, ط 2, مؤسسة (النويهض الثقافية, بيروت, 1403هـ/ 1983م, م2, ص71.

2 – نفسه, ص71.

3–نفسه, ص 299.

وعليه تكون سنة مولده سبع وثلاثين وثلاثمائة للهجرة[1]. كما ظهر أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المشار اليه سابقا (ت 402هـ/ 1011م) له كتاب في الفقه المسمى "كتاب الأموال" وكتاب "النوادر والزيادات" و"الواعي في الفقه" وكتاب "الأسئلة والأجوبة"[2].

كما برزفي علوم الفقه واصول الدين الشيخ الفاضل العالم أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي وعرف بالعابد المحقق المتقن المحصل المجتهد [3] جمع بين العلم والورع وبين علم الباطن والظاهر له المصنفات الحسنة والقصص العجيبة المستحسنة له كتاب "النبراس في الرد على منكري القياس"[4]. يذكر الغبريني (ت 704 هـ/ 1304م) في شأن هذا الكتاب " هو كتاب مليح على ما أخبرت عنه ولم أره وأناشد يد الحرص عليه ولقد أخبرني بعض الطلبة المتمسكين بالظاهر وهو من أنبلهم أنه رأى هذا الكتاب وأنه ما رأى في الكتب الموضوعة في هذا الشأن مثله فأنشدته :

و مليحة شهدت لها أعداؤها والحسن ما شهدت به الأعداء[5]

وله كتاب أخر في علم التذكير عرف ب "التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات" وهو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبا

1-ابوالوليد عبد الله بن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس, تحقيق: إبراهيم الأباري, ط2, بيروت, 1410هـ/ 1989 م, ج 1, ص 71.

2-الداودي: المصدر السابق, ص 12.

3- أحمد أبوالعباس الغبريني : عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة ببجاية, تحقيق :رابح بو نار, ط2, الشركة الو طنية, الجزائر, 1981, ص 67.

4- أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج , تحقيق: محمد السطيع, مطبعة 4 فضالة, المغرب, 1421هـ/ 2000م, ج1, ص 185

5 - الغبريني: المصدر السابق, ص 67.(

حامد في كتاب الإحياء [1] و كلامه فيه أحسن من كلام أبي حامد واسلم وهو كثير الوجود بين الناس وكثرة وجوده ، الكتاب يدل على اعتناء الناس به وإيثارهم له [2] توفي رحمه الله سنة(580هـ / 1185م)[3].

كما برز في هذا الميدان عبد الله بن محمد المسيلي (ت 744هـ/ 1134م) من فقهاء المالكية صاحب المصنفات البديعة والعلوم الرفيعة كان حاله عجيبا ومنزعه غريبا وتصانيفه في غاية الجودة ومفيدة [4].

واشتهر عن هؤلاء العلماء إلى جانب اهتمامهم بكتب الفروع انهم ضربوا بسهم وافر في أصول الفقه حيث ألف أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي كتابا في الأصول [5] وللأسف ضاع مع جملة النفائس التي ضاعت وسيظل في عداد المفقودات يكتنفها النسيان وتطالها مع مرور الزمن يد العبث إلى أن يقضى على وجودها نهائيا .كما ظهر في هذا الميدان عبد الله بن حمو المسيلي (ت 473هـ/ 1080م) [6]بالإضافة إلى أن أبا حامد الصغير (580هـ/ 1185م) قد ألف كتابا التذكرة في أصول الدين " ظل إلى ما بعد

1- أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج, ج 1, ص 186

2 - الغبريني: المصدر السابق, ص 68.

3 - رابح خدوسي: المرجع السابق, ص 70

4- أبوالوفا إبراهيم بن علي اليعمري بن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب, تحقيق : محمد الأحمري, دار التراث, القاهرة, 1992م, ج 1, ص 450 .

5- فوزي مصمودي: أعلام من بسكرة, (تراجم شخصيات علمية وثقافية ونضالية وثورية), الجمعية الخلدونية, بسكرة, الجزائر, 2001, ج1, ص 19 .

1- أبوالقاسم خلف بن عبد الملك القرطبي ابن شكوال : الصلة, تحقيق: عزت العطار, ط 2, مكتبة الخانجي, القاهرة, 1994م, ج1, ص 287.

القرن السابع للهجري مرجعا للبجائيين[1] وقد سجل الغبريني (ت 704هـ/ 1304م)انطباعا حسنا عن هذا المؤلف بقوله "طالعته وكررت النظر فيه فرأيته من اجل الموضوعات في هذا الفن[2].

الأدب واللغة : وضع ابن خلدون مفهوما واسعا للأدب حيث عرفه "بأنه على فنين الشعر المنظوم أي الكلام الموزون المقفي والنثر أي الكلام غير الموزون ويشتمل بدوره على النثر المسجوع الذي يأتي به قطعا ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة والنثر المرسل الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا ولا يقطع أجزاءا بل يرسل إرسالا من غير الالتزام بالقافية ويستعمل في الخطب والدعاء والترغيب والترهيب[3] ومن الذين برزوا في هذا المجال أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي (ت 402هـ/ 1011م) الذي ألف كتابا سماه " الواعي في اللغة"[4]

ولئن أطيق خروج الحزن عن جلدي لأنني أنا لم آمره أن يلجأ[5]

و منهم أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني أحد الأفاضل البلغاء قال عنه ابن بسام :"بلغني انه ولد بالمسيلة وتأدب بها قليلا ثم ارتحل إلى القيروان سنة(406هـ/ 1015م) أبوه مملوك رومي من موالي الأزد كانت صنعة أبيه في بلده وهي المحمدية الصياغة فعلمه أبوه صنعته وقرأ

2- الحفناوي : المرجع السابق, ج 1, ص 69 .
3- الغبريني : المصدر السابق, ص 67.
4- ابن خلدون: المقدمة, ص 460.
5- بشير ضيف: فهرسة التراث الجزائري بين القديم والحديث (نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول), ج2, دت, ص 50.
6- نفسه, ص 170.

الأدب بالمحمدية[1] وقال الشعر وتاقت نفسه إلى التزيد منه وملاقاة أهل الأدب فرحل إلى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها واتصل بخدمته ولم يزل بها إلى أن هاجم العرب الهلالية القيروان وقتلوا أهلها وخربوها فانتقل إلى جزيرة صقلية وأقام بمازر إلى أن مات سنة (463هـ/ 1072م)[2]كانت بينه وبين ابن شرف القيرواني وقائع ومجريات وهما أديبا بلاد المغرب وشاعراها وكان ابن شرف أعور. قيل مر يوم وبيده كتاب فقال بن رشيق : "ما في كتابك ؟ قال : الدريدية يعرض يقول ابن دريد فيها :

و العبد لا يردعه العصا يشير إلى أنه مولى فقال بن رشيق :

أما أبي فرشيق لست أنكره قل لي أبوك وصوره من الخشب "[3].

و يذكر ياقوت الحموي "كان بن رشيق شاعرا نحويا لغويا أديبا حاذقا عروضيا كثير التصنيف وحسن التأليف تأدب على محمد بن جعفر القزاز النحوي القيرواني وغيرهم."[4]

ترك نحو ثلاثين كتابا في شتى المجالات نذكر منها كتابه"العمدة في محاسن الشعر ونقده"و هو الذي اشتهر به وذاع صيته. وقد اختصره الصقلي وسماه

1 - أبوالحسن علي بن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة, تحقيق: إحسان عباس, الدار العربي للكتاب (ليبيا – تونس) 1399هـ/ 1997. ج 4, ط1, ص 597 .

2– أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب, دار الفكر, بيروت, دت, ص 297 .

3- بشير خلدون : المرجع السابق, ص105 .

4 - شهاب الدين ياقوت الحموي : معجم الأدباء, ط3, دار الفكر, بيروت, 1400هـ/ 1980م, ج 8, ص 110.

"العمدة "اختصره موفق الدين البغدادي[1] وكتاب "الشذوذ في اللغة "[2] و هو كتاب يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها وله أيضا "قراضة الذهب في نقد أشعار العرب " و" تحرير الموازنة" و"غريب الأوصاف ولطائف الشبهات مما انفرد به المحدثون" وكتاب "الحيلة والإحتراس" و"ساجور الكلب" وكتاب "قطع الأنفاس" وأيضا "الرسالة المنقوصة ورسالة الأشكال ودفع المحال" و" فسخ الملح ونسخ اللمح " وكتاب " أنموذج الزمان في شعراء القيروان " و"المادح والمذامم " وكتاب " شعراء الكتاب "[3]

و منهم أيضا عبد الرحمن بن أحمد بن حبيب القيرواني يكنى أبا حبيب من مواليد المسيلة برز هو الآخر في الأدب وصناعة الشعر[4].

أورد ابن رشيق في وصفه :

أعدى على الحر من أعدائه الزمن خط المهذب من أيامه المحن
مكايد فيها ألوانا يزاولها صبر الجليد ويجفو جفنه الوسن[5]

1 – أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني المسيلي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه, تحقيق: عبد الحميد هنداوي, ط 1, المكتبة العصرية, بيروت, 1424هـ/ 2001م, ج 1, ص 7
2 – جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, ط 1, دار الفكر, بيروت, 1399هـ/ 1979 م, مج 1, ص 504.
3 – أبو العباس شمس الدين بن خلكان: وفييات الأعيان و أنباء الزمان, تحقيق :إحسان عباس, دار الفكر, بيروت, ج 2, ص 88.

2- ابن الآبار : المصدر السابق, ج3, ص 219.
3-نفسه, ج 3, ص 219.

وعبد الله بن حمو المسيلي (ت473هـ/ 1080م) حيث كان أديبا هو الآخر [1] إلا أن المصادر لم تذكر كتبا أو مساهمات في ميدان الأدب .

وأحمد بن الحسين المهدوي المسيلي (ت 538هـ/ 1143م) حيث عرف بشعره ونثره قال عنه بن دحية :"من أعيان شعراء المغرب الراسخين في الأدب المتمسكين فيه بأمتن سبب كان محمود الحال حسن الخلق قوالا بالحق إلى أن توفي" [2].

أما عن مساهمة رجال المسيلة في علم التاريخ الذي يعتبر من أوسع العلوم لارتباطه الوثيق بفنون كثيرة كالتراجم والطبقات والمناقب والأنساب والأديان والأمم. وباعتباره الوعاء الذي يكفل حفظ الحقائق التاريخية فقد ساهم العلماء المسيليين في الكتابات التاريخية وإن كانت هذه المساهمات قليلة مقارنة بالعلوم الدينية والعلوم اللسانية نجد بينهم عبد الكريم النهشلي (ت405هـ/ 1014م)[3] الذي امتاز كما سبق الإشارة إليه بالأدب والشعر، كان يعتبر من أهم المؤرخين في تلك الفترة إلا أن المصادر لم تسعفنا لمعرفة كتب هذا المؤرخ وربما تكون قد ضاعت مع جملة ما ضاع عند الغزو الهلالي لبلاد المغرب الإسلامي، وقيامهم بحرق ذخائر المغرب آنذاك كما ظهر في هذا الميدان أبو علي الحسن بن رشيق المسيلي (393-463هـ).

4-ابن بشكوال : المصدر السابق, ج 1, ص 287 .

5- عمار هلال : العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية ما بين القرنين 9, 14 هـ, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, 1995, ص 149, 150 م / 3, 20

1- رشيد بورويبة :الدولة الحمادية, ص 168

وإن كان يعتبر أديبا أكثر منه مؤرخا، فإنه ترك لنا آثارا في مجال علم التاريخ نذكر منها " معالم التاريخ" وكتاب "ميزان العمل في تاريخ الدول"[1] بالإضافة إلى كتاب في التراجم والمعروف "الدرية الطاهرة المطهرة"[2] فلم نحصل على أي كتاب من هذه الكتب أو الكتب الأخرى، ماعدا كتاب العمدة. ويعود عدم اهتمام علماء مدينة المسيلة في مجال التاريخ، نظرا لميولهم للفقه والأدب لأنهم كانوا يسترزقون من هذه الميادين بالإضافة إلى انتشار دراسة الفقه في بلاد المغرب الأوسط دون سواه من العلوم الأخرى.

العلوم العقلية كباقي العلوم كان للمسيليين حض بسيط منها، وان لم ترقى كباقي العلوم الدينية والادبية فقد كانت الثقافة منحصرة في العلم والرواية أي في الفقه حيث كانت عندهم سوى حياة الصلحاء والعباد، وكما نرى بوضوح في مدارك القاضي عياض (ت544هـ/ 1149م)، بالإضافة إلى ذلك فإن العلماء كانوا يذمون علم المنطق ويحاربونه ويعتبرونه من العلوم الضارة وقد ظلوا على هذا الحال إلى غاية مجيء الموحدين [3]، أين كان عمران مدينة المسيلة قد تعرض للخراب من قبل الأعراب الهلالية وبتناقص العمران تناقصت العلوم إلى أن اضمحلت[4] وربما هذا ما يفسر عدم وجود علماء في هذا الميدان

2- ابن رشيق القيرواني المسيلي : المصدر السابق, ج 1, ص 9
3- بشير ضيف: المرجع السابق, ج 1, ص 75 .

1 - الطاهر بونابي : التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و 7 هـ/ 12 و13م, دار الهدى, الجزائر, 1981, ص 265 .
2- ابن خلدون : المقدمة, ص .464

ولم نعثر خلال دراستنا على أطباء فلو كان قد برزوا لأكتشفوا ترياقا مضادا للعقارب الموجودة بالمدينة حيث يذكر الإدريسي الذي كان حيا إلى(547هـ/ 1151م) :"و بالمدينة عقارب مهلكة لا يتخلص من سمها "[1] على عكس ما حدث في قلعة بني حماد حيث كان سكانها يشربون نبات الغليون الحراني نسبة إلى مدينة حران بالجزيرة الفراتية وجلب هذا النبات إلى القلعة عن طريق رحلات أهل المغرب[2].

هجرة علماء المسيلة ودورهم الحضاري

3- الإدريسي : المصدر السابق, ص 180.

4 - محمد قويسم: "الطب في قلعة بني حماد", الملتقى الوطني الأول للدولة المركزية لقلعة بني حماد و 2 الإشعاع الثقافي و الفكري, يومي 26 و27 أفريل, كلية الآداب و العلو م الاجتماعية, جامعة محمد بوضياف بالمسيلة, قسم التاريخ, الجزائر, 2005, ص 42.

منذ انحسار السلطة عن المسيلة وانتقالها الى القلعة في بداية القرن الحادي عشر الميلادي انتقل جموع العلماء الى جهات مختلفة واختلفت وجهات العلماء من مدينة المسيلة نحو الحواضر الإسلامية كالقيروان وفأس والقاهرة وغير ذلك باختلاف مقاصدهم وغاياتهم فهناك من ذهب لأجل التزود بالعلم والأخذ من العلماء الأجلاء ما ينفعهم ويزيدهم علما او الاشتغال بمناصب بارزة تزيدهم معرفة وشهرة بأنفسهم وهناك من اضطرتهم الظروف السياسية التي كانت تعيشها منطقة المسيلة وما حولها إلى الهجرة فرارا أو طمعا .

لقد كانت وجهة العلماء بداية الأمر إلى القيروان لاعتبارات عديدة فمن جهة كانت حاضرة المغرب الإسلامي، الكبرى ولأنها جمعت مراكز السلطة والأدب والفكر ومثلت جانب كبير من الازدهار المادي والفكري جذبت اليها كثير منى العلماء، ومن بين العلماء الذين قصدوها أبو جعفر بن أحمد بن نصر الداودي (ت402هـ/ 1011م)[1] الذي عمل بالتدريس وكان له تأثير في كثير من أمور العلم كما سبق ذكره، ومن بين الذين زاروا المنطقة أيضا، إمام المالكية في زمانه أبو بكر بن الشيخ عبد الله بن أبي زيد القيرواني، ترك مؤلفات عديدة منها كتاب الزيادات على المدونة مختصر المدونة توفي سنة (401هـ/ 1010م)قبل وفاة شيخه الداودي بسنة[2].

1- الداودي : المصدر السابق, ص 12.

2- فوزي مصمودي : المرجع السابق, ص22 .

و من الذين أخذوا عليه، أيضا العلامة والفقيه والمحدث أبو عبد الله البوني ومن تلامذة الداودي أيضا أبو علي بن الوفاء السبتي[1].

كما كانت له مواقف معادية ضد علماء القيروان لقبولهم الحياة في مملكة بني عبيد وبقائهم في أظهرهم وكتب لهم مرة بذلك فأجابوه "أسكت لا شيخ لك" لكونه عصاميا[2].

كما أفتى الداودي، بكفر الإمام الذي يخطب لبني عبيد ويدعو لهم ويثني على مآثرهم وأجاز قتله ولا يستتاب وتحرم عليه زوجته ولا يرث ولا يورث ماله في المسلمين وتعتق أمهات أولاده ويكون مدبروه المسلمين ويعتقون بالأداء ويرجعون بالعجز وأحكامهم كلها أحكام كفر، فان تاب قبل أن يظهر الندم ولم يكن أخذ دعوة القوم قبلت توبته، ومن صلى وراءه خوفا أعاد الظهر أربعا ولا يقيم إذا أمكنه الخروج[3]. إلا أن خوفه من بطش الفاطميين، ومن بعدهم الزيريين الصنهاجيين ونتيجة لمواقفه المتصلبة ضدهم رحل إلى تلمسان واستقر بها إلى أن توفي[4].

كما هاجر بعض العلماء إلى القيروان مثل عبد الكريم النهشلي (ت405 هـ / 1014م)[5] حيث شغل في التدريس بها، وكان الشباب

1- نفسه, ص 22 .

2 - الداودي : المصدر السابق, ص 9.

3 - نفسه, ص 10

4-فوزي مصمودي : المرجع السابق, ص23 .

5- بشير خلدون : المرجع السابق, ص55 .

ينهلون من علمه وثقافته باستمرار ولا سيما، الشعراء كما اشتغل كاتبا في ديوان الرسائل على عهد الدولة الصنهاجية [1].

ومن بين علماء مدينة المسيلة الذين رحلوا أيضا إلى القيروان ابن سهل الخشني [2] الذي شغل منصب التدريس هو الآخر. ومن الذين نهلوا من ثقافته الواسعة وشعره ابن مدينته المسيلة ابن رشيق المسيلي [3] الذي سافر هو الآخر إلى حاضرة المغرب الإسلامي القيروان سنة(406 هـ / 1015م)، واشتهر بها لطول مكوثه بها من اجل طلب العلم والأدب، فمدح أميرها المعز بن باديس الصنهاجي فقر به واستكتبه وذاع صيته في القيروان وخارجها[4] إلا أن دخول العرب الهلالية إلى القيروان وقيامهم بتحطيم الأخضر واليابس جعله يفر إلى صقلية ليقضي باقي حياته بها في خدمة أميرها [5].

كما هاجر بعض علماء مدينة المسيلة، الى حاضرة المغرب الأوسط بجاية ولا سيما في فترة الازدهار الثقافي والفكري بها من جهة وبسبب فقدان المسيلة لمكانتها السياسية ولم تعد قادرة على احتضانهم بالشكل الذي كانوا عليه أيام بني حمدزن ومن جهة أخرى من أجل التزود بالعلم ومن أبرزهم أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت 580 هـ / 1185م)[6] والتي عمل بها قاضيا إلى أن دخل الموارقة بجاية وطلبوه للبيعة، فأبى ورد

1-حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق, ص 165 .
2- رشيد بوروبية :الدولة الحمادية, ص170
3 - نفسه, ص 170 ..
4- ابن خلكان: المصدر السابق, ج 2, ص 85.
5 - بشير خلدون: المرجع السابق, ص 105.
6- رابح خدوسي: المرجع السابق, ص 68 .

أنه لا يبايع من لا يعرف أكان رجلا أم امرأة فكشف له الميورقي عن وجهه ولولا علو منصبه لقتلوه بعد ذلك ترك القضاء واشتغل بدراسة العلم والاشتغال بسلوك أولي النهي والفهم واحتاج إليه الناس في أمور دينهم فمالوا إليه وعولوا عليه وكان واليا بالبلد[1] و كان إذا أشير إليه بالتفرد في العلم والفهم يقول :"أدركت تسعين مفتيا ببجاية ما فيهم من يعرفني"[2].

كما كان العالم أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت580 هـ / 1185م) يجتمع مع الفقيه أبو محمد عبد الحق[3] والفقيه أبو عبد الله القرشي في مكان يسمى مدينة العلم لاجتماع هؤلاء الثلاثة فيه يتناقشون في أمور دينهم ودنياهم[4].

أما بالنسبة للمغرب الأقصى فقد كانت وجهة علماء المسيلة قليلة جدا ومن الذين قصدوها عبد الله بن حمو (ت473 هـ / 1080م)[5] الذي تقلد منصب القضاء في سبتة مدة من الزمن ثم فر إلى المدية[1].

---

1 - الغبريني: المصدر السابق, ص 69. أحمد بابا التنبكتي : كفاية المحتاج, ص 177. الحفناوي (: المرجع السابق, ص 69 .

2- الغبريني: المصدر السابق, ص 245.

3- أبو محمد عبد الحق : هو عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأسدي الاشبيلي 510/ 582ه) فقيه جليل محدث رحل إلى بجاية وخيرها موطنا له وله خبرة فألف التأليف, وصنف الدواوين وولي الخطبة و صلاة الجماعة بجامعها الأعظم وجلس للوثيقة والشهادة وولي قضاء بجاية مدة قليلة و لم يشتهر ذلك من أمره من مؤلفاته الأحكام الكبرى في الحديث و الأحكام الصغرى فيه و له كتاب في علم التذكير وله كتاب التهجد و له اختصار الرشاطي و هو أحسن من الأصل و كذلك كتاب الضعاف الاحتكام الكبرى واشترت كتبه بالمشرق ووقع النقل منها ولد ربيع الأول سنة عشر وخمس مائة و ارتحلا إلى بجاية بعد الخمسين وخمسمائة .أنظر : الغبريني : المصدر السابق, ص73, 75.

1- ابن بشكوال:المصدر السابق, ج 1, ص 287 .

كما قصده أحمد بن الحسين بن محمد المهدوي المسيلي (ت 538 هـ/ 1143م)تولى قضاء فاس واستوطنها إلى أن توفي [2].

كما كانت الأندلس وجهة عدد هام من علماء مدينة المسيلة، حيث كانت تنعم كمركز الإشعاع الحضاري والثقافي ومقصد العلماء والمثقفين من كل صوب، فقد مثلت حاضرة الثقافة الإسلامية انذاك[3]. ومن بين العلماء الذين سافروا إلى الأندلس أحمد بن خلوف المسيلي (337-393 هـ / 946-1003م)نزل الثغر الأعلى مرابطا هناك مدافعا عن الإسلام والمسلمين إلا أنه تحول إلى قرطبة وتفرغ بقية حياته للعلم إلى أن توفي بها ودفن بمقبرة الأرباض بحضور قاضي قضاة الأندلس أحمد بن ذكوان[4].

كما هاجر إليها أحمد بن حبيب (ت 400 هـ / 1009م) قدم الأندلس مع أفراد عائلته، واستقر هو الآخر بالثغر الأعلى بغية الجهاد إلا أنه مرض هناك ولم تخف حاله إلى أن مات [5].

وأخيرا عبد الرحمن بن أحمد، رحل رفقة أبيه تعلم بالأندلس ونبغ في الشعر والنثر معا ورغم نبوغه في الشعر إلا أنه لم يجعله للتكسب، أو للتقرب للملوك والأمراء إلا ما وصله به محمد بن عبد الجبار المهدي القائم بقرطبة

2- نفسه, ص 287 .)

3 - عمار هلال : المرجع السابق, ص 179 .

4- محمد اليعلاوي: المرجع السابق, ص 48 .3

5-ابن الفرضي: المصدر السابق, ج 1, ص 71. القاضي عياض: المصدر السابق, ج 4, ص 627.

6- ابن الآبار : المصدر السابق, ج 1, ص 122.

على عهد هشام المؤيد[1] إلا أننا لا نعرف نوع الهدية، ظل بالأندلس إلى أن توفي بها[2].

كما قصدها حسن بن محمد بن سلمون المسيلي (ت 431 هـ / 1040م) من أجل الدراسة وعين فيما بعد في منصب الشورى، نظرا لغزارة علمه وفصاحته ثم عز له أبو حمود إلا أنه أعاده للشورى مرة أخرى وبقي بن سلمون بقرطبة إلى أن توفي بها، ودفن في مقبرة الربض وصلى عليه قاضي قضاة الأندلس أحمد بن ذكوان[3] وسافر أيضا عبد الله بن حمو (473 هـ / 1080م) وكان منزله في المرية واشتغل بتدريس مادة الأصول طوال حياته حتى توفي بها[4].وقد يكون هذا أحد أسباب هجرة العلماء إليها أو أن العلماء سافرو مع أمير الزاب جعفر بن حمدون عند فراره للأندلس، ومن الذين سافروا أحمد بن الحسين بن محمد المهدوي المسيلي (ت 538 هـ / 1143م)[5]، رحل هو الآخر إلى الأندلس إلا أننا لا نعرف السبب في رحيله والأرجح أنه رحل من أجل الدراسة. وقد قدم سعيد بن حرب الأندلس أواخر عصر ملوك الطوائف وعايش عصر المرابطين، جاء من أجل الدراسة حيث تتلمذ على يد عدة علماء أندلسيين من بينهم أبو

1- هشام المؤيد:هو هشام بن الحكم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه الحكم المستنصر و عمره عشر سنين لثلاث خلون من صفر 336ه. أنظر : لسان الدين بن الخطيب السلماني : تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الاعلام م في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام, تحقيق : اليفي بروفنسال, مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة, 1426هـ/ 2000م, ص 43, 48 .

2- ابن الابار: المصدر السابق, ج 3, ص 50 .

3 - نفسه, ج 1, ص 220 .3

4- ابن بشكوال: المصدر السابق, ج4, ص 627, 628.

5- عمار هلال : المرجع السابق, ص 150 .

داوود وأبو الحسن العيني وأبو بكر الحزمي [1].وقد اشتغل بعد إنهائه للدراسة في التدريس ومن بين الذين اخذوا عنه أبو الحسن نجية وابن خيرصاحب الفهرست الذي نال معه إجازة سنة (539 هـ / 1144م) وهي سنة وفاة ابن حرب [2].

في الأخير أحمد بن عبد السلام بن عبد الملك بن موسى الغافقي الاشبيلي لكثرة مكوثه بها، ورغم أننا لا نعرف سنة قدومه إلا أنه شغل منصب مدرس ومن الذين تتلمذوا على يده ابن خير صاحب الفهرست[3].

اما جهة المشرق : فباستثناء بعض العلماء الذين رافقوا انتقال الدولة الفاطمية الى مصر ورغم كون بلاد المشرق الإسلامية موطنا للعلم والعلماء ومهدا للحضارة الإسلامية إلا أن علماء المسيلة لم يقصدوها كثيرا وربما يرجع السبب إلى البعد الجغرافي بين المشرق والمغرب وصعوبة التنقل إليها. ولعل الاختلاف المذهبي هو الذي شكل حاجز في هجرة علماء المسيلة الى مصر مع حالة الاضطراب التي كانت تشهدها بلاد المشرق الإسلامي، فقد كانت تعيش اضطرابات سياسية جعلت الكثير من سكانها ينفرون منها وان كان هناك من قصد بلاد المشرق فلأجل أداء فريضة الحج والى بلاد الحجاز فقط ومن بين الذين قصدوها، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغافقي الاشبيلي الشهير بالمسيلي الذي قصد المشرق من أجل الحج ثم قفل راجعا إلى بلدة اشبيلية ومن الذين اخذوا عنه أبوبكر، بن خير وأبو محمدبن

1- أبوالقاسم الدرارجة: المرجع السابق, ص 181 .1

2-, نفسه ص 181 .2

3-نفسه.

أبي سعادات المروروذي[1] ، ومنهم أيضا عبد الله بن محمد المسيلي (ت 744 هـ / 1349م) والذي توفي بالقاهرة وانتفع به القاضي فخر الدين بن شكر المالكي [2].

كما برز جمع اخر من نخبة المسيلة مثل:احمد بن أبي القاسم بن أبي عمارة أبو العباس المسيلي :ت 789هـ/ 1387م قاض ومحدث ومقريء كان في وقته يعتبرمن كبار فقهاء المذهب المالكي ولد بالمسيلة وتعلم بها وبقسنطينة وبجاية وولي قضاء بجاية وتوفي بها [3]

-احمد بن محمد بن احمد المسيلي: تبعد775هـ/ 1383م فقيه ومفسر من أهل المسيلة رحل إلى تونس فأخذ عن ابن عرفة وأبي مهدي عيسى الغبريني وغيرهما له تقييد في التفسير قيده عن ابن عرفة [4]

-عبد الله بن محمد المسيلي:

هو جمال الدين أبو محمد عالم من كبار فقهاء المالكية من أهل المسيلة قال عنه ابن فرحون الإمام العلامة الأوحد البارع المتفنن صاحب المصنفات

1- المقري: المصدر السابق, ج 3, ص 198, 199. الحفناوي :المرجع السابق, ج1, ص 313 .

2- ابن فرحون المالكي: المصدر السابق, ج 1, ص 450. الحفناوي : المرجع السابق, ج2, (ص 61. عادل نويهض :معجم المفسرين, ص 300 .

3- ابن قنفذ: الوفيات, تحقيق عادل نويهض ط1 منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 1978, ص376, عادل نويهض:معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى الوقت الحاضر, مؤسسة نويهض الثقافية بيروت لبنان1976, ص299.

4- التنبكتي احمد بابا :المرجع السابق, ص77, الحفناوي أبو القاسم, , ص73, عادل نويهض:المرجع السابق, ص299

البديعة والعلوم الرفيعة كان حله عجيبا ومنزعه غريبا وتصانيفه في غاية الجودة والإفادة والتنقيح انتفع به القاضي فخر الدين بن شكر المالكي توفي بالقاهرةسنة744هـ/ 1343م من كتبه غاية الحصول في أصول الفقه [1]

-السعيد المقري :

ولد قبل 930هـ وتوفي 1010هـ هو عم أبو العباس المقري صاحب نفح الطيب كان مفتيا في تلمسان ستين ستة ثم سافر إلى فأس واخذ عن شيوخها [2] علماء مدينة قلعة بني حماد الذين انتقلوا خاصة إلى بجاية وهم أبو عبد الله محمد بن ميمون التميمي القلعي ت637هـ/ 1274م، [3] واحمد بن محمد المعافري القلعي(ق7هـ/ 13م) المعروف ابن الخراط اختصر كتاب التفسير لأبي عمرو الداني [4] ابو عبد الله محمد بن صمغان

1 ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب, تحقيق محمد الاحمري, دار التراث القاهرة مصر 1992, ص450, السيوطي جلال الدين: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة, ج1, ص296, 4-التنبكتي احمد بابا:المصدر السابق, ص143, الحفناوي أبو القاسم محمد:المرجع السابق, ج2, ص61, , كحالة محمد رضا:معجم المؤلفين ج6, ص141 عمار هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين م 3/ 14هـ ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية 1995, ص255

2- الحفناوي:المرجع السابق, ج1, ص426

3- الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية, ط2, تحقيق رابح بونار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981, ص94, محمد بن عمرو الطمار: تاريخ الأدب الجزائري الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1993, ص95ن عادل نويهض: المرجع السابق, ص267

1- الحفناوي:المرجع السابق, ج1, ص328-329, عادل نويهض: المرجع السابق, ص132

القلعي(ق7هـ/ 13م) [1] محمد بن أبي بكر القلعي العالم بالفقه والفرائض له كتاب نهاية القرب [2] والفقيه والمؤرخ عبد الله عباد القلعي(ت669هـ/ 1071م) [3] وعالم الفرائض والحساب محمد بن أبي بكر القلعي(670هـ/ 1275م) [4]

2- الغبريني: المصدر السابق, ص189, عادل نويهض:المرجع السابق, ص195, الحفناوي:المرجع السابق, ص340

3- الغبريني: المصدر السابق, ص227, التمبكني: المصدر السابق, ص230, الحفناوي: المرجع السابق, ج2, ص344

4-الغبريني: المصدر السابق, ص93, عادل نويهض: المرجع السابق, ص266

5- الغبريني: المصدر السابق, ص.227.

مظاهر العمران بالمسيلة خلال الفترة الوسيطة

ساهمت عناصر كثيرة في صقل ملامح العمارة المدنية بالمسيلة التي شكلت أهم حاضرة بالمنطقة، منها الهجرة الأندلسية وتمازج العناصر العربية المشرقية بالمغربية في حرف البناء والتعمير .إلا انه لا يمكن إنكار الجهد البربري في بناء المدن الجديدة كالقلعة وأشير، فقد استنجد على ابن حمدون ومن بعده حماد بن بلكين بالعناصر الفنية لسكان مدينة المسيلة في بناء قلعة بني حماد ومن بعدها مدينة أشير وهذا دليل على حرفية وفنية البنائين المسيليين من البربر قبل استيطان العنصر العربي بالصورة التي كانت عليها بعد بناء المحمدية .

لقد كانت ظاهرة المدن والمراكز الحضرية بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر ميلاديين في عمومها ذات طابع عربي أندلسي، مثل بناء المهاجرين الأندلسيين لمدينتي تنس ووهران وتشييد الفاطميين الشيعة لمدينتي المسيلة وأشير [1].

ولم يهتم البربر بالجانب العمراني قبل هذا التاريخ لعدة أسباب وقف عندها عبد الرحمان ابن خلدون (ت808 هـ / 1405م) ضمن نظرية العلاقة

1- الطاهر بونابي:الدولة المركزية بقلعة بني حماد, مجلة العلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة ص 49.

بين البداوة والعمران وان كانت تظرته لا تنطبق احيانا:لأن البربر أهل عصبيات وأنساب والعصبية أجنح للبدو وإنما يدعو إلى الدعة والسكون[1].
ولان الدول الرومانية والبيزنطية التي حكمت البربر لم يطل أمد ملكهم فيهم حتى تترسخ الحضارة [2]. يعد البربر ابعد عن الصنائع لأنهم أعرق في البدو والصنائع من توابع الحضارة وإنما تتم المباني بها فلا بد من الحذق في تعلمها[3].

وقد عرفت مدينة المسيلة منذ تأسيسها استقلالا في البناء والتشييد وعمرانها يتمثل في أبعاده العسكرية والإستراتيجية التي نلمسها في :

الأسوار :

ذكر اغلب الكتاب والرحالة العرب في وصفهم لمدينة المسيلة (المحمدية) أنها محاطة بأسوار(اختلاف بين الرحالة) ولها بابان سمي احدهما بباب القاسمية والآخر بباب الأمور، وهذا الطابع العمراني قد أسسته الإمارات الإسلامية الأولى بالقيروان وفأس وغيرهما تحصينا للسلطة وتأمينا لمخاطر الغارات التي تشنها القبائل خاصة الزناتية بالنسبة للمسيلة.

كان لمدينة المسيلة(ونقصد بها هنا المحمدية الفاطمية) سوران على حد قول ابن حوقل (ت 367 هـ -977م) وله في أهمية في هذه النقطة، لأنه زار منطقة المغرب وشاهد مدنها بنفسه ومن بينها[4]، المسيلة وهو معاصر

2-ابن خلدون: المقدمة, ص 226 .
3- نفسه, ص 226 .)
4 - نفسه, ص 226 .
1 - ابن حوقل: المصدر السابق, ص 87.

لإنشائها حيث ذكر ما شاهده، بينما يقول البكـري (ت487 هـ / 1049م) أنه يحيط بها سور وجدول ماء[1] ويحتمل أن يكون ما ذكره بهـذا الشـأن تم بعد عهد ابن حوقل وقد استعملت مادة الطوب في بناء هذا السور[2] وكان بناؤه ليكون طوقا للمدينة ضد الحمـلات عليهـا.و الملفـت للانتبـاه هنـا ان الرحالة والكتاب العرب لم يتطرقوا الى العمران المحلي للمسيلة البربريـة ولا الى هيكلة المدينة او وصفها بالشكل الذي خصت به المحمدية.

المساجد :

ذكرت المصادر التاريخية كثيرا مسـالة تعلـم العلمـاء بالمسـيلة وتلقـي العلـوم بكتاتيبهـا مثـل بـن رشـيق المسـيلي (396-463 هـ / 1005-1082م)، الذي تعلـم بكتاتيـب المدينـة قبـل رحيلـه إلى القـيروان [3].و أشارت كثيرا الى العدد الهائل من العلماء الذين ترعرعوا بالمسيلة التي مثلـت الدعامة الأولى في تلقين المعرفة والعلوم الدينيـة وغيرهـا، ونعتقـد ان هـذا كاف لوجود عدد هام من المدارس والمعاهد وإن لم تـذكر بأسمائهـا، إلا أن العلوم الدينية التي كانت تعطى في المدارس، كانت المساجد ايضا مقـرا لهـا إضافة الى كونها أماكن للعبادة والصلاة.الإشارة الواجـب ذكرهـا ان أمـراء المسيلة في عهد بنى حمدون أعطوا الاهتمام الأكبر لمجالس القصور عن مجالس المساجد، التي لم تستهوي كثيرا الشعراء والأدباء.

المجالس والقصور :

2–البكري: المصدر السابق, ج 2, ص 723.

3- ابن حوقل: المصدر السابق, ص 2.87

4- ابن رشيق المسيلي: المصدر السابق, ج 1, ص 5

رغم ان الكتابات حول مدينة المسيلة في عهد علي بن حمدون وأبنائه قد فاقت التصورات الا انه لا نعلم عن المجالس والقصور التي كانت موجودة بمدينة المسيلة إلا ما أورده محمد ابن هانئ الأندلسي في ديوانه حيث يصف لنا مجلسا بناه إبراهيم بن جعفر بن حمدون أمير الزاب إلا أننا لا نعرف بالضبط موقعه[1].

و يشبه ابن هانئ هذا المجلس بإيوان كسرى بل ويفوقه روعة وعظمة حتى أنه إذا رأته فارس أصابها الذعر والانبهار وانهار إيوانها حيث يقول :

إيوان لو رأته فارس ذعرت وخر لسمكه إيوانها
واستعظمت ما لم يخلد مثله سابوره قدما ولا ساسانها[2]
سجدت إلى النيران أعصرها ولو بصرت به سجدت له نيرانها

كما يصف الأروقة مختلفة ألوانها وقد نظمت عليه أكاليل مزخرفة كأنها جمان لؤلؤ إلى جانب الستور والبسط المزركشة ومن شعره في هذا يقول :

ضربت بأروقة ترفرف فوقها فهوى بفتح قوادم خفقانها
علياء موفية على علیائه من حيث أسلم مقلة لإنسانها
وتعرضت طرر الستور كأنها عذبات أوشحة يروق جمانها
وكأن أفواف الرياض نثرت في صفحاتها فتفوقت ألوانها
وتخالها صفراء عارضت الدجى وسرت فنادم كوكبا ندمانها[3]

1- محمد اليعلاوي: المرجع السابق, ص 48 .
2 - محمد بن هانئ : الديوان, دار بيوت, بيروت, 1405هـ/ 1985م, ص 361
2- ابن هانئ :المرجع السابق, ص 337 .

ومن القصور التي بنيت خلال عهد بني حمدون، القصر الذي بناه جعفر ومدحه ابن هانئ بحيث تحدث عن ضخامته واتساعه ويقول فيه:

الكنى الى القصر المشيد تحيـة فقد حدث الركبان عنه فأكثروا

ولا يبقى إلا أن يظل به الورى وتشركه من بعدها روت بسحر

ومن هذه الأبيات الشعرية يبدوا ان بنو حمدون قد اهتموا بالعمران بمدينة المسيلة لدرجة كبيرة وان لم نعثر عن وصفها كثيرا خارج ما قدمه ابن هانئ الأندلسي.

كما لا نعثر في كتابات الفترة وصفا دقيقا لمظاهر العمران الأخرى كالأسواق والحمامات والمباني الأخرى.

مدينة المسيلة بعد الهجرة الهلالية

إن الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب بما فيها من تأثيرات عرقية وسياسية واقتصادية أو حضارية، إنما بدأت نتيجة للقطيعة السياسية والدينية بين الخلافة الفاطمية بالقاهرة ونوابها الزيرين في القيراون في عهد المعز بن باديس .

وأصل مواطن قبائل عرب هلال وسليم هي بلاد الحجاز وتخوم نجد [1]، فهي قبائل بدوية رعوية كانت تعيش عيشة فقيرة تدفعها أحيانا إلى قطع السبيل حتى على قوافل الحجاج [2].

واهم جماعات هلال(بني عامر) في تلك الفترة، جشم، الاثبج، زغبة، رياح، ربيعة وعدي، وقد عاشت هذه القبائل في صحراء الصعيد الشرقية تحت رقابة الدولة الفاطمية بعد انتقالها من المغرب الى القاهرة.وهذا ما يفهم

1-ابن خلدون:, ج6, ص : 13.

2- ابن خلدون: نفس المرجع ص: 13.

من قول ابن عذارى"لا يسمح لها بالرحيل ولا بايجازة النيل" وان الذي دبر عملية عبورهم وانتقالهم نحو المغرب بعد قطيعة الزيريين مع الفاطميين في عهد المعز بن باديس واتخاذه اللون الاسود شعار العباسيين منذ 440/ 1048م انما هو الوزير اليازوري، وفي هذه السنة بدات الهجرة الهلالية في وقت سادت فيها حاة العوز بمصر وعم الجفاف ونقصت المؤن. وشهدت الهجرة الهلالية انتشارا سريعا نحو بلاد المغرب بحيث وصلوا برقة واستوطنوها سنة 442/ 1050 بعد ان عاثوا فيها فسادا، الا ان المعركة الفاصلة مع الزيريين كما أشارت اليها المصادر التاريخية كانت بجبل حيدران سنة 443/ 1052 بتونس والتي انهزم فيها جيش المعز بن باديس وفرت على اثر ذلك قبائل صنهاجة.

كانت معركة حيدران بداية انتشار بنو هلال بالمغرب الأوسط حيث الحماديون المتحصنين بالقلعة، وما كادت سنة 446هـ/ تصل حتى اجتاحت بلاد المغرب وقسمت أملاكه حيث كان لزغبة طرابلس وما يليها، ولمرداس بن رياح باجة وما يليها، ثم اقتسموها ثانية فكان لهلال من تونس إلى المغرب ومعهم رياح وزغبة والعقل وجشم وقرة والاثبج والخلط وسفيان، حيث حاربوا قبائل صنهاجة وزناتة وسيطروا على أراضي الزاب والمسيلة وقهروا سكانها [1]. خصوصا بعد الهزيمة الثانية التي مني بها الناصر بن علناس أمير الحماديين في موقعه سبيبة بالقرب من تبسة سنة 457هـ، حيث اجتاحت قبائل بني هلال سهول المسيلة وحاصرت القلعة وحولت مزارع المسيلة إلى مراعي ابل. ونهبوا البوادي واخضعوا كل من بقي أو

1-ابن خلدون : نفس المرجع, ص: 20.

رضي بالبقاء فيها للفوضى والذل [1]، ولما عجزت الإمارة الحمادية عن الاندماج بهذا العنصر الجديد قرر الناصر بن علناس نقل عاصمة المملكة إلى بجاية سنة 483هـ/ 1090م. وعجزت قبائل صنهاجة أمام تقدم الهلاليين الذين حولوا المنطقة على حد تعبير ابن خلدون إلى "قاع صفصف أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير، وغوروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا في الأرض الفساد" [2].

وقد فرضت على قبائل البربر ترك أراضيهم السهلية واستوطنت الجبال غير أن الأهالي الرحل الذين اندمجوا مع الهلاليين قد أضافوا للمنطقة رصيدا اجتماعيا جديدا جعل الهلاليين يعزفون عن مطاردة سكان الجبال في كل من الخرابشة أولاد خلوف، ونوغة [3].

كما أن هذه الحركة البشرية وان استطاعت القضاء على دولة بني زيري التي تحولت إلى فسيفساء من الإمارات إلا أن أهم ما لاحظه الدارسون أن هذه الهجرة العنيفة قد عربت الشمال الإفريقي [4].كما ظهر الصراع من جديد بين الهلاليين من قبائل الاثيج بالمسيلة والزناتيين الموالين لأمراء تلمسان المغراويين، وربما هذا العداء مرده إلى كون الحماديين اختصوا قبيلة الاثيج في الحكم دون سائر قبائل العرب بحيث اقتطعوا لهم أراضي الزاب

2-إسماعيل العربي: المرجع السابق ص 136 كذلك راضي دعفوس العوامل الاقتصادية لهجرة بني هلال وبني سليم من مصر إلى افريقية –مجلة المؤرخ العربي عدد 20/ 1981 بغداد ص : 16.

3 -إبن خلدون : العبر, المرجع السابق, ج2, ص:220.[2]

[3]– Ferraud, (CL) : Histoire des villes, ….p227-et Nacib, (y), op-cit, p.127.

[4]–موريس لبومبار: الإسلام في مجده الأول, ترجمة وتعليق إسماعيل العربي, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر, 1979 ص: 145.

والمسيلة ونواحي القلعة. واستمرت شوكة الاتيج إلى حين سقوط الدولة الحمادية في عهد عبد المؤمن أمير تلمسان، الذي نقل جمع كثير من بطون الاثيج خصوصا في إقليم المسيلة من عرش جعونة والمطارفة إلى تلمسان ووهران والأندلس والمغرب [1] بعد أن تعرضت مدينة المسيلة للتحطيم والخراب خلال هجوم قبائل زناتة 1068م.لقد بدأت سيطرة الموحدين على منطقة المسيلة منذ بداية القرن 12 عندما أرسل ابن تومرت ابنه عبد الله إلى القلعة على رأس جيش لمطاردة بقايا الحماديين وجموع المدافعين عنهم الذين تفرقوا نحو مناطق البيبان والمنصورة [2].

ورغم محاولة ابن غانية [3]إحياء دولة المرابطين بمساعدة قبائل رياح والاثيج بالمسيلة التي وقفت إلى جانبه في الصدام الذي جمعه مع الموحدين سنة 580 هـ 1184 م، ثم محاولة أخيه يحي بن غانية التوسع نحو الغرب انطلاقا من المسيلة مرورا بالمسيلة نحو الشلف، فان مدينة المسيلة كانت هي المتضرر الكبير من هذه الثورة التي حولتها إلى خراب [4]. واختفت معالم المدينة الفكرية وشخصياتها التي حفلت بها قصور القلعة وبجاية مثل أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي المفكر والقاضي الذي عاش في النصف الثاني من القرن 12 م [5]، وأبو العباس احمد بن محمد بن عبد الله المحاضري، ووالده أبو عبد الله [6]، وغيرهم [1].

---

[1]– Mercier, (E):Les Arabes d'Afrique Jugés par les Auteurs Musulman, in R.AF, N°: 17, 1873, P, 47.

[2]– Marçais (G): Deux stèles funéraire hamadittes du muse St Gsel in Bulletin de la socité historique et geographique de Sétif 1941, P, 217.

1–ينحدر ابن غانية من امرأة اسمها غانية من أهل بيت يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين تزوج بها علي بن يحي المسوفي فولدت له محمدا ومنه إسحاق ثم علي الذي قام بثورة ضد الموحدين عرفت باسمه

2-ابن خلدون : كتاب العبر, ج6 ص 337 و 29

3 –Brunshvic;op-cit, p, 291.

[5] –الغبريني (أ): المرجع السابق, ص : 66.

ظهرت دولة المرابطين بالمغرب الاوسط في وقت زحفت فيه قبائل العرب الهبلالية في الشرق واستولى المرابطون على وهران والجزائر 1082_474

الا ان تاثير المرابطين لم يكن كبير بالمغرب الاوسط لعدة اعتبارات منها ما تعلق بمسالة توجه يوسف ابن تاشفين الى الاندلس ومن جانب اخر مسالمة واطمئنان ابن تاشفين لجانب الحماديين وتوقيع الصلح بينهما في 479ه-1104- وبقي الصلح الا زمن اجتياح الجيوش الموحدية لهما.

دخلت منطقة المسيلة في نطاق السلطة الموحدية منذ هجوم الموحدين على بجاية ودخول قلاعها زمن عبد المؤمن عام 547-1152 ووصولهم الى قلعة بني حماد التي كانت تحت سيطرة قبائل الاثبج ورياح وزغبة الهلالية .

ومؤسس هذه الدولة يعرف" بابي عبد الله محمد بن تومرت المصمودي السوسي"[2] كان لا بد أن تستند خلافتهم إلى أسس شرعية لازمة كالنسب إلى البيت أو الأصل العربي. فقالوا بانتماء كل من المهدي وخليفته عبد المؤمن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام عن طريق نسبهم إلى الأدارسة[3].

---

[1] -الطمار (م): المرجع السابق, ص:36-38.

1 - محمد بن تومرت : مؤسس الدولة الموحدية من أهل السوس ولد بقرية إيجلي من قبيلة تسمى هرغة من قوم يعرفون بإسرعتين, وهم " الشرفاء" بلسان المحامدة, بدأ دعوته في موضع يعرف بتينمل بالمغرب الأقصى. أنظر : عبد الواحد بن علي المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب, تحقيق : خليل عمران المنصور, ط2, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, 1426هـ/ 2005م, ص 126 ..132 .

2 - عبد المؤمن : هو عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي, أمه حرة كومية أيضا, مولده بضيعة في أعمال تلمسان تعرف بتاجرا كان مولده آخر سنة 487ه, و توفي سنة 558 ه و مدة ولايته إحدى وعشرين سنة. عبد الواحد المراكشي, المصدر السابق, ص 139 .

وتمكن عبد المؤمن (524- 558هـ/ 1130-1163م) من القضاء على المرابطين والسيطرة على جميع أقطار المغرب الأقصى التابعة للمرابطين. فجهز جيوشا قاصدا مملكة" يحي بن العزيز بن المنصور بن المنتصر الصنهاجي" الذي كان يملك بجاية وأعمالها في سنة(556هـ/ 1149م) فحاصرها وضيق عليها ولما رأى يحي أنه لا يستطيع الدفاع فر إلى البحر حتى أتى بونة ثم خرج حتى وصل قسنطينة فأرسل إليه عبد المؤمن بالجيوش فقبض عليه وجيء به إلى عبد المؤمن، فعاهده بالأمان في نفسه وأهله[1]، ودخل عبد المؤمن بجاية وكرد فعل قامت قبائل صنهاجة وكتامة ولواته وغيرها وقصدوا حرب عبد المؤمن فأرسل إليهم جيشا بقيادة أبو سعيد يخلف ووقعت معركة عند جبل شرق بجاية فانهزم فيها الصنهاجيون[2].

وسار أبو سعيدالى قلعة بني حماد فملكها وفر أهلها إلى الجبال ورحل عبد المؤمن إلى مراكش مستخلفا ابنه عبد الله على بجاية والقلعة وأعمالها، وبذلك بدأت سيطرة الموحدين على المسيلة منذ بداية القرن 12م[3].

وبلغ اتساع دولة الموحدين إلى جنوب الصحراء الكبرى ومن الغرب المحيط الأطلسي ومن الشرق صحراء لوبية ومن الشمال البحر المتوسط والبلاد الأندلسية، وقد حاول بعض المناوئين الموحدين الخروج عن طاعتهم، إذ قام" علي بن غانية" وهو أحد أنصار المرابطين من الاستيلاء على بجاية وإقرار سلطانه فيها.

ثم استولى على قلعة بني حماد أي انه سيطر على المغرب الأوسط بما فيها مدينة المسيلة فسار نحوه أبو يوسف يعقوب ففر أمامه إلى بلاد الجريد[1]،

1.- النويري : المصدر السابق, ص 415

2-نفسه, ص417.

3- كمال بيرم :المرجع السابق, ص28.

وطارده أبو يوسف يعقوب وأوقع به في موضع يسمى بالحامة فانهزم ابن غانية وقتل في المعركة وخلفه يحي أخوه، الذي استطاع أن يسيطر على اغلب بلاد إفريقية مستغلا بذلك انشغال الموحدين بمحاربة القشتاليين في الأندلس ومهما يكن فان مدينة المسيلة كانت هي المتضرر الكبير من هذه الثورة التي حولتها إلى خراب[2].

منطقة المسيلة خلال العهد الحفصي الزياني

رغم ان الهجرة الهلالية افرزت تحولات عميقة في بنية المجتمع الحضري والقبائل بالمغرب الاوسط الا انها لم تفز كيانات سياسية حافظت على خصوصية هذه القبائل بقدر ما بقيت تلعب دور المنافس الاجتماعي والاقتصادي للامارات التي جاءت بعد الفترة المرابطية والموحدية هذه الاخيرة التي ما لبث أن بدا الوهن والتفكك يظهر عليها في آخر مراحلها نتيجة انهزامها في المعارك التي خاضها ضدها الأعداء النصارى في خارج وداخلب المغرب الاوسط والاقصى الى جانب سوء التسيير، وكانت نتيجة

4 – عبد الواحد المراكشي :المصدر السابق, ص 144 .

1 – عبد العزيز سالم:المرجع السابق, ج1, ص216.

هذه الحالة أن قامت على أنقاضها فيما بعد ببلاد المغرب ثلاث دول مستقلة: دولة بني عبد الواد ودولة بني مرين ودولة بني حفص[1].

لقد دخل بنو مرين وبنو وطاس بلاد المغرب الأقصى وبسطوا سلطانهم عليها وورثوا الموحدين فيها وفي ذلك الوقت أيضا دخل فريق آخر من الزناتية الجدد بلاد المغرب الأوسط. واستقروا في ناحية تلمسان وهم بنو عبد الواد أو بنو زيان وقد دخلوا المغرب الأوسط في غضون هذا الاندفاع الزناتي العام على بلاد المغربين الأوسط والأقصى نتيجة ضعف صنهاجة ومصمودة وفراغ البلاد ممن يحميها من الغزاة[2]. فيما انفرد بنو حفص بالامارة بشرق المغرب بعد تلاشي امارات ما بعد الموحدين

ويمكن حصر بعض معالم هذه الفترة في ما يلي:

-انتهز بنو حفص فرصة هذا الفراغ فبسطوا سلطانهم على شرقي المغرب الأوسط واحتلوا بجاية وإقليم الزاب، بما فيه المسيلة ووصلوا حدودهم إلى المجرى الأعلى لنهر الشلف أما بقية المغرب الأوسط. من وهران عند مصب نهر شلف إلى مجرى نهر ملوية وقاعدته تلمسان أو في هذا الفراغ امتذن واستقرت وتوسعت مجموعة قبائل بني عبد الواد نسبة إلى مؤسس دولتهم يغمراسن بن زيان وقد ضعف أمرهم حين ثار عليهم

2 –ابن خلدون:العبر, ج6, ص217.

3 – أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر:تاريخ الدولة الزيانية, تحقيق:هني سلامة, ط1, مكتبة الثقافة الدينية, مصر, 2001, ص9.

صاحب إفريقية أبو زكريا الحفصي[1]. ووصل بجيشه إلى تلمسان فخرج منها يغمرا سن بأهله وماله إلى الصحراء وأرسل إليه أبو زكريا الحفصي يدعوه فلم يجب وانتهى الأمر بينهما بالصلح. وعاد الحفص إلى إفريقية ويغمرا سن إلى تلمسان وأقبل سعيد المؤمني من مراكش سنة(646هـ/ 1258م) يريد حرب أبو زكريا بإفريقية فلما اقترب من تلمسان أفرج له يغمرا سن عنها[2].

-ولكي يحافظ أبو زكريا على خضوع يغمرانس أقام في قوله من منافسيه حتى ولى المستنصر بمليانة محمد بن منديل المغراوي سنة 659هـ/ 1271م بعدما فتحها من يد أبي علي بن أحمد المليانى الثائر ثم خرج المستنصر حتى وصل إلى المسيلة سنة(664هـ/ 1276 م) بقيت عبد الواد على مبايعتها للحفصيين وفي عام (666هـ/ 1278 م) فرت قبائل رياح أمام المستنصر إلى عبد الواد فأعانوها على استرجاع وطنها ورددوا الغارات على توجين ومغراوة ففتحوا مليانة.

- استمرت مكانة مدينة المسيلة فترة من الزمن ايام الحفصيين الذين ارتبطت بسلطانهم اكثر من غيرهم بني عبد الواد، رغم انها مثلت نقطة تماس وتجاذب بينهما .لذلك كانت ضحية موقعها وتاريخها من حيث الصراع الحفصي الزياني عليها، كما ادى الصراع داخل الأسرة الحفصية أحيانا الى ضعف سيطرتها على أطراف الدولة ومنها منطقة المسيلة، لذلك سنرى

1- هويحي بن عبد الواحد بن حفص الهنتاني الحفصي: أبو زكريا الأول من استقل بالملك ووطد أركانه من ملوك الدولة الحفصية في تونس و تغلب على الملك سنة 626ه .انظر: ابن خلدون:العبر, ج6, ص 280, 285 .

2- ابن الأحمر:المصدر السابق, ص10.

كيف تحاول السلطة الحفصية في ظل هذه الأوضاع مجاراة واستغلال بعض القبائل الهلالية في استمرار سلطتها الاسمية أحيانا، وهذا ما كان لقبائل الدواودة الهلالية الذين تمردوا على الحفصيين وتحالفوا أحيانا مع بني مزني التي توسعت بإقليم الزاب وبلاد المسيلة ومنها مدينة المسيلة خلال القرن الرابع عشر والخامس عشر .

-حاولت الدولة الحفصية بسط نفوذها على إقليم المسيلة والمسيلة في مرات عديدة منها حملات السلطان ابو بكر 733ه/ 1332م ومن قبله محاولة السلذطان ابو زكرياء 645ه ومحاولة المستنصر 664ه الذي استطاع احتلال المسيلة وبسط سلطانه عليها والقضاء على عبث الدواودة الرياحيين الذين أكثروا الفساد والظلم على وطن المسيلة ومدينة المسيلة.

-وخلال القرن السابع الهجري ظهرت شخصية من مدينة المسيلة ادعت انها الفضل بن يحي الواثق ابن المستنصر وانه فر من السجن واسمه احمد ابن مرزوق بن ابي عمارة وهو من مواليد مدينة المسيلة حيث نشا وتربى بها قبل ان بنتقل الى مدينة بجاية ويشتغل بالخياطة، ومما روى عنه انه امتاز أحيانا بالفجور وسفك الدماء ويدعي النهي عن المنكر الا انه ياتيه وقد حاربته الدولة الحفصية بعد ان هدد سلطانها ووصل الى قابس وتونس في 681هجرية ونزل الى مدينة القيروان وجهز ضده السلطان ابو إسحاق الحفصي حملة عسكرية لمقاتلته ثم قاتله بعد ذلك السلطان ابو حفص بن ابي زكرياء وحاصره حصارا شديدا أدى الى فراره الى بلاد الأندلس وقتل بعد ذلك في 684/ 1284.

-مثلت المسيلة عموما منطقة تماس للدولتين الفاطمية والرستمية ومن بعدهم الحفصية والزيانية ومنطقة تجاذب مستمر وقد كانت الجزائر الحفصية أو الجزء الشرقي من المغرب الأوسط هي أربع ولايات بونة بجاية قسنطينة والزاب وقاعدته بسكرة وتارة مقرة من بلاد المسيلة حتى المجرى الأعلى لنهر الشلف [1]، وعرفت منطقة المسيلة ومدن المسيلة ومقرة ومسيف وزاغر في العهد الحفصي تطور سياسي هام من خلال الأحداث التي شهدتها في مختلف محطاتها منها:

-في بداية الدولة الحفصية وولاء قبيلة رياح الهلالية وموطنها المسيلة، كان زعيم عرب رياح موسى بن محمد بن مسعود قد بايع أبي زكرياء يحي الأول(627-647هـ/ 1229-1249م)، سنة647هـ/ 1249م، وهي آخر سنة في حكمه، لكن بعد وفاته غير شبل بن موسى الرياحي ولائه وبايع أبا القاسم بن عبد الرحمن ابن الأمير عبد الواحد سنة661 هـ/ 1263م [2]

فلما بلغ دلك المنتصر أبو عبد الله محمد الأول خرج من تونس سنة664هـ/ 1267م [3] لمحو آثار الفساد منه وتقويم العرب على الطاعة، وتنقل في الجهات إلى أن وصل بلاد رياح فدوخها ومهد أرجاءها، وفر شبل بن موسى

[1]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام, ج2, دار الثقافة بيروت لبنان 1980, ص46

2-عبد الرحمن الجيلالي: المرجع نفسه, ص138[2]

1- أحمد أبو العباس إبن قنفذ:الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية, تقديم وتحقيق:محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي, الدار التونسية للنشر, 1968م, ص127.

وقومه الدواودة، واحتل السلطان المسيلة آخر وطن رياح، ووفاه هنالك محمد بن القوي أمير بني توجين من زناته مجددا لطاعته، حيث أجزى له العطاء واقتطع له مقرة وبلد أوماش من عمل الزاب، ثم رجع السلطان إلى تونس [1]

-في عام681هـ/ 283م ظهر رجل ادعى أنه الفضل ابن يحيى الواثق إبن المستنصر، وإنه فر من السجن، هو احمد بن مرزوق بن أبي عمارة، الذي ولد في المسيلة ودرس في بجاية، مع العلم أن الفضل قد قتل بتونس [2]، ودخل هذا الدعي [3]مدينة قابس وملكها واحتوى عليها، وعلي كثير من بلاد أفريقية فأخرج له الخليفة جيشا من تونس أمر عليه ابنه أبا زكريا، فنزل القيروان وجبي الأموال، ثم توجه إلى الدعي ونزل والناس في كل يوم ينسلون عنه للدعي بسبب ظلمه وسفكه للدماء وإنكشاف خدعته حتى لم يبق معه إلا القليل، [4].

21-ابن خلدون:التاريخ, ج6, دار الكتاب اللبناني 1983ص313.

3- الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية, تحقيق وتعليق محمد ماضور, المكتبة العتيقة تونس 1966, ص45.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق, ج6, ص327, الزركشي: المصدر السابق, ص46

- ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية, تحقيق و التقدم الطاهر بن محمود المعموري, الدار العربية للكتاب, 1984م, ص79, احمد ابن أبي الضياف:إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان, ج1, ط2, الدار التونسية للنشر تونس, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1976, ص 210-212.

4- ابن خلدون: المصدر السابق, ج6, ص303-305, ابن قنفذ: المصدر السابق, ص142-143, الزركشي: المصدر السابق, ص45-50, مصطفى أبو ضيف احمد عمر: القبائل العربية في عصر بني مرين, المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1982, ص131-132.

ثم خرج السلطان أبو إسحاق من تونس لمقاتلته في شوال من نفس السنة681هـ، ونزل بالمحمدية أو المسيلة ، وأخرج من الدروع والسيوف ماحمل على سبعين بغلة، ففر الداعي ورجع السلطان أبو إسحاق إلى تونس [1]

وبقي يتقلب في الأرض مدة من الزمن ، وكانت نهايته على يد أبو حفص ابن أبي زكريا حيث حاصر الداعي حصارا شديدا، وظهرت سيرته الغربية، وانكشفت سريرته ، ولما أيقن بالهلاك فر بنفسه، لكن عثر عليه بعد تسع أيام ، حيث قطع رأسه عام ثلاثة وثمانين وستمائة 683هـ/ 1284م

منذ نهاية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي بدات الاقطاعات الحفصية للقبائل العربية والأسر الكبرى خلال فترة الاضطرابات السياسية والانشقاقات الداخلية جيث استخدم السلاطين الحفصيون على نطاق واسع الاقطاعات العقارية مند الوالي عبد الواحد الحفصي، ففي البلاد الغربية أستأنف الدواودة هجوما تهم وكان المستنصر قد قضى عليهم قضاء مبرما فقد قتلوا في إحدى المعارك والي السلطان على الزاب [2] وانتشروا أكثر من الماضي في جنوب منطقة قسنطينة وبعد دلك بقليل أقطع لهم أحد السلاطين الذي ربما يكون أبو إسحاق الأول(678-

1-الزركشي: المصدر السابق, ص46, ابن الشماع:المصدر السابق, ص77-78, ابن قنفذ: المصدر السابق, ص142.

2- هو الفضل بن علي بن احمد بن الحسن بن علي بن مزني مؤسس إمارة بني مزني في بسكرة قتل سنة683هـ/ 1284م أيد أبي إسحاق الحفصي ضد أخيه 1-1-3 -المستنصر ينظر ابن خلدون عبد الرحمن: المصدر السابق, ج6, ص915 عادل نويهض:معجم أعلام الجزائر, بيروت لبنان1986, ص295

681هـ/ 1279-1273م) جميع المناطق التي احتلوها وكذلك المسيلة ومقرة ونقاوس [1].

وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر منح المستنصر الحفصي(هو أبو حفص عمر الاول683-683هـ/ 1284-1284م) محمد بن عبد القوي الشيخ الوفي الحفصيين المشرف على قبيلة بني توجين التابعة لمنطقة الشلف بلدتي مقرة واوماش الواقعتين في منطقتي المسيلة والزاب [2] .

- انقسمت الدولة الحفصية إلى قسمين منذ سنة683-718هـ/ 1284-1318م قسم شرقي عاصمته تونس وقسم غربي بالمغرب الأوسط الجزائر تتزعمه حاضرتان هما قسنطينة وبجاية خلال عهد أبو حفص عمر الاول683-683هـ/ 1284-1284م وعهد أبو زكرياء يحي الثالث683-694هـ/ 1284-1295م [3] ونتيجة لانقسام البيت الحفصي وصراع الأمراء الحفصيين على السلطة ، ضعفت قبضة الدول على أطراف المملكة وسمحت الفرصة للأسر العربية القوية المستقرة بالزاب وبلاد الجريد للاستقلال ومن هده الأسر التي تمردت على الدولة الحفصية نجد عرب رياح بزعامة الدواودة الدين تحالفوا مع عرب بني مزني الذين الحفصية نجد عرب رياح بزعامة الدواودة الدين تحالفوا مع عرب بني مزني الذين توسعوا

1- ابن قنفذ: المصدر السابق, ص349, روبار برنشفيك :تاريخ افريقية في العهد الحفصي, من القرن إلى نهاية القرن 15, مج2, ترجمة حمادي الساحلي دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1988, ص192.4

[2] روبار برنشفيك: المرجع السابق, ج2, ص2191-

3- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق, ج2, ص55.

في إمارتهم، فأضافوا إلى إمارة الزاب من شمال بلاد المسيلة المكونة من عدة مدن هي مدينة مقرة ونقاوس والمسيلة. [1]

-في سنة 709هـ/ 1309م تبعت المسيلة ومقرة حكم بني مزني في عهد المنصور المزني حيث بلغ حكمهم أوجه مع الولاء للدولة الحفصية، الذي يضعف عندما يغيرون هدا الإخلاص تارة الزيانيين وتارة المرينيين [2]

احتفظت المسيلة في عهد الحفصيين بمكانة مرموقة بين المدن الحفصية، بل أن موقعها ذاته قد جعل منها مدة من الزمن ضحية التناحر بين بني حفص وبني عبد الواد إلى أن استرجعها السلطان الحفصي أبو يحي أبو بكر الثاني المتوكل(718-747هـ/ 1318-1346م) من أيدي القبائل المتمردة المتحالفة مع العدو في سنة 733هـ/ 1332م . [3]

-ففي سنة 1347 تحالفت قبائل الدواودة الرياحيين مع الامير المريني ابو الحسن علي بن عثمان (732/ 749)(1331-1348)و اعترفوا له بالولاء في الوقت الذي كان امير بجاية ابو عبد الله يحسبهم الى جانبه، فكان ذلك عاملا هاما في تجهيزحملة عسكرية تنقل بها الى المسيلة سنة 1354م من اجل استخلاص الضرائب. وتجدر الإشارة ان التحالف المريني مع الدواودة المحيطين بمدينة المسيلة ظهر منذ وصول المرينيين الى منطقة المسيلة عندما اقتطع الأمير أبو تاشفين ملك تلمسان آنذاك الى مشيخة الدواودة وأميرها سليمان ويحي بن سباع وعثمان بن سباع الذين كانوا موالين ابني عبد الواد من قبل

1-مصطفى أبو ضيف:المرجع السابق, ص 138

[2] - محمد قويسم ملتقى دولة بني مزني في مدينة بسكرة ديسمبر 2008م منها : عوامل سقوط دولة بني مزني

[3] -بن الشماع :المصدر السابق ص89.

ومنحت لهم اراضي المسيلة وجبل متنان وونوغة وجبل عياض منذ سنة 1331م [1].

-وفي إطار الصراع بين الحفصيين والمرينيين والزيانيين في سنة 752هـ/ 1351م يوم الأحد الخامس والعشرين من المحرم دخل ملك المغرب تلمسان حيث رفض طلب السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز طرد المعقل المستجيرين به، وواصل ملك المغرب زحفه حيث نزل قرب المسيلة وبقى ثلاثة أيام لإيلاف أولاد يحي من رياح فأحسن إلى جميعهم بالكسي العديدة والمال الجزيل ثم رحل أخدا على مشارف وادي مسيف فبحائر الشيخ وخرج على ثنية غان فنزل ظاهر الدوسن من قرى الزاب أول شهر ربيع الأول [2].

-وقد دخلت مدينة المسيلة نطاق سلطة بني مرين بعد انتصار محمد الحاجب المريني على امير قسنطينة سنة 755ه/ 1354م وقد سبق ذلك سيطرة الجيش المريني على مدينة المسيلة اثر حملة ابو عنان فارس المريني اخر شهر ربيع الثاني 753/ في 14 جوان 1352 حيث وقعت معر كة بين الزيانيين والمرينيين على وادي القصب، وتعتبر من المعارك الهامة والمشهورة والتي اعتقل فيها الامير الزياني ابي سعيد وتم ذبحه في 11 جمادي الاول 753/ 1352م .

[1]:ابن خلدون:المرجع السابق ج 6 ص 467.

22- يحي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد, تحقيق وتقديم وتعليق بوزياني الدراجي, ج2, دار الأهل للدراسات والنشر والتوزيع, الجزائر2007 ص445-.446.

الا ان الصراع الزياني المريني جعل المنطقة في تجاذب لعدة مرات، حيث اعاد الامير ابو حمو الزياني الثاني اعادة بعث الدولة الزيانية من جديد في 760/ 1359 وبويع بالامارة بتلمسان في 8 ربيع الاول 760/ 1359م .

استطاع أبو العباس احمد الأول المتوكل الحفصي من بلوغ غايته باسترجاع إمارة قسنطينة في رمضان761 هـ/ 1360م، ولم تنجح المحاولات العديدة التي قام بها أبو عبد الله محمد المنصور أمير بجاية بمساعدة أولاد سباع لاسترجاعها، مما جعل أبو العباس الحفصي يستقر مؤقتا بالمسيلة لمواجهة أبوعبد الله المتمرد الذي طلب مساعدة أبو حمو الزياني، وهدا لموقعها المفصلي جغرافيا وقبليا [1]

-في عام772 هـ/ 1370م من شهر صفر اتجه أبو حمو ومن معه من الأوفياء نحو الجنوب دون أن يفقدوا الأمل في الانتصار على المرينيين حتى وصلوا إلى ناحية زاغر التي كان بقطنها أولاد يحي بن علي بن سباع من الدواودة وتقع جنوب غرب المسيلة حيث استراحوا أياما قليلة، وعندما سمعوا بإقتراب المرينيين حيث انظم يحي بن خلدون إلى المرينيين في تلمسان، وكان لعبد الرحمن بن خلدون دور في دعم السلطان المريني عبد العزيز في إرسال الرسل إلى قبائل العرب بالمنطقة الشرقية من المغرب الأوسط بالمسيلة والزاب حيث زار عبد الرحمن منطقة المسيلة وبسكرة ونجح في إقناع الدواودة بدعم المرينيين ضد أبي حمو الزياني [2].

1- يحي بن خلدون: بغية الرواد ج1 تحقيق عبد الحميد حاجيات, المكتبة الوطنية, الجزائر1980, ص29

2- نفسه, ص35

في فترة السلطان الحفصي أبو فغارس عبد العزيز-عـزوز- (المتوكـل) الـذي حكـم مـابين(796-838هـ/ 1393-1434م) اسـتعادت الدولـة الحفصية سيطرتها علة مناطق الدولة الجريد وطرابلس والزاب والمسيلة حيث قضي على حكم بني مزني [1]

والقضية الهامة التي تجب الإشارة إليها هي غياب مدينة قلعة بني حمـاد عن الساحة بعدما كانـت تضـاهي القـاهرة وقرطبـة خـلال القـرن الخـامس الهجري، لكن الخراب الـذي رافـق صـراع الهلالـيين والزيـريين في القـرن السادس الهجري وتدمير الموحدين النهائي للقلعة سنة 547هـ ثم بـني غانيـة الذين استولوا على بجاية والقلعة سنة581هـ، حيث لم تذكر القلعة إلا مـن خلال علمائها في بجاية وهروب العباس الحفصي إليها من قسنطينة خوفا من السلطان سنة 918هـ/ 1512م وهذا آخر ذكر لها في الكتب [2]

1- ابن قنفذ: المصدر السابق, ص 188 .1

2- إسماعيل العربي:عواصم بني زيري ملوك أشير القلعة بجاية غرناطة المهدية, دار الرائد العربي بيروت لبنان 1984, ص45

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالمسيلة

فترة الصراع الحفصي الزياني

لا يمكن اغفال تاثير الصراع السياسي بين الامارات الحفصية والزيانية من جهة والزيانية المرينية من جهة اخرى الى جانب تاثير القبائل الرياحية على نسق الوضع الاقتصادي الذي شهدته مدينة المسيلة انذاك، وقد اورد الوزان ولو في فترة متاخرة جوانب هامة من ذلك.كما استمرت مدينة المسيلة محطة تجاذب هذه القوى السياسية والقبلية باعتبارها منطقة تماس لهم .

لقد أشار الجغرافيون قبل القرن السابع الهجري لمجموعة من المحطات الزراعية مثل تيفاش ومسيلة وكذلك طبنة وقدموا وصفا واضحجا لخيراتها ومواردها الزراعية وحيويتها التجارية الا ان الغالب على الظن أنها قد تراجعت كثيرا بعد تحول مراكز التاثير السياسي خاصة بعد سقوط الدولة الحمادية ومجيء القبائل الهلالية.، وفي فترة حكم الحفصيين لمنطقة المسيلة كانت المسيلة ظمن نطاق جباية امير بجاية الحفصي .[1]

1- الوزان الحسن بن محمد الفاسي: وصف افريقية, ج3, ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر, دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان1983, ط2 ص92, 132, روبار برنشفيك: المرجع السابق, ج2, ص226.Dominique valériane, Bougie port maghribine1067-1510, école française de Rome paris france2006, p139, 189

وبسبب قلة الأمن وهجمات الأعراب والحروب السابقة(الهلاليين والزيريين والموحدين وبني غانية) وبين الدول الثلاث الحفصيين والمرينيين والزيانيين والجبايات الثقيلة من طرف حاكم بجاية، فقد تدهور الانتاج الزراعي والحجيواني وضعفت الصناعات المنحلية وتقلصت الحركة التجارية لاسواق المسيلة وما حولها [1].

كما تحولت مسارات الطرق التجارية هروبا من تعرض القبائل الهلالية لها فزالت مكانة الطريق التجاري الرابط بين المسيلو وبجاية وكذا بينها وبين القيروان مرورا بتبسة وباغالية [2].

اما من حيث السكان كانت المسيلة محاطة بعدة قبائل هي مسلم من رهط بني هلال في مفازة مسيلة الممتدة نحو مملكة بجاية ويأخذون إتاوات من مسيلة وبعض القرى في القرن العاشر الهجري [3] وقبائل رياح الهلالية وموطنهم المسيلة الزاب وقسنطينة وبجاية منهم بطن مرداس وهم أولاد ضنبر والزواودة أو الدواودة وأولاد عامر واستقر أولاد مسعود وأولاد عسكر وأولاد سباع من الزواودة بالمسيلة مقرة والمسيلة والزاب الاوراس نقاوس [4] وبعد غدر المستنصر بزعماء رياح وقتلهم لجأ معظمهم إلى الجزء الغربي من المغرب الأوسط عند بني عبد الواد مثل بنو سباع بن يحي إلى فأس عند بني مرين مثل بني محمد بن مسعود حيث استقروا ونظموا صفوفهم وحصلوا

1- الوزان: المصدر السابق, ج21, ص52.

2 - روبار برنشفيك: المرجع السابق, ج2, ص248

3-الوزان: المصدر السابق, ج1, ص51

4-ابن خلدون: المصدر السابق, ج6, ص34, مصطفى أبو ضيف احمد عمر: المرجع السابق, ص212, 6-بن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا, ط2, تحقيق إسماعيل العربي, ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر, 1982, ص126

على الإمدادات من الخيل والإبل والعتاد والآلات وزحفوا إلى أوطانهم بالدولة الحفصية وفرضوا طاعتهم على قصور ريغة ووركلي وإمارات الزاب وبسكرة وبلاد المسيلة وجبل الاوراس مما اضطر سلطان تونس لمهادنتهم وإقطاعهم ما غلبوا عليه من البلاد [1]

أما بنو سليم فيوجدون بمنطقة المسيلة ومازالت بلدية باسمهم إلى الآن والرمانة التي بها الحوامد وهي بلدية حتى اليوم أيضا، وقبائل عياض في جهة قلعة بني حماد التي حلت محل بني كملان وكتامة وعجيسة وبنو برزال بجهة جبل سلات وما حولها بوسعادة حاليا [2]

اما عن سكان مدينة المسيلة فقد تميزوا عن القبائل الهلالية المحيطة بهم سكنا واصلا ومعيشة ويؤكد هذا القول ما جاء في كتاب حسن الوزان عند زيارته لها:

ذكر الوزان عن سكان المسيلة« والسكان كلهم... يرتدون لباسا رديئا لفقرهم بسبب جيرانهم الأعراب الدين يسلبونهم مداخيلهم وملك بجاية الذي أثقل كاهلهم بالضرائب وقد اندهشت للفقر السائد بالمسيلة عند مروري بها فلم أجد الشعير لفرسي ولليلة واحدة إلا بمشقة ولو أقمت فيها ليلة أخرى لما تمكنت من الحصول على دلك لكثرة البؤس والفاقة السائدين

[1]- ابن خلدون :المصدر السابق, ج6, ص33-35, 289-290, مصطفى أبو ضيف احمد عمر: المرجع السابق, ص130-131

[2]-ابن خلدون المصدر السابق ج7 ص171-172عبد الحميد الخالدي: الوجود الهلالي السلمي في الجزائر, دار هومة الجزائر, 2007, إسماعيل العربي :المدن المغربية, المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 ص164-165, ص75.Dominique Valérien, op cit, p153

في المدينة» [1] ونفس الكلام قاله مرمول كربخال في القرن العاشر الهجري:« وقد عمرها سكان فقراء لا يتخلصون من ذل أعراب تلك الجهات وعسفهم» ويفهم من هدا الكلام أن الفقر السائد سببه قبائل الاعراب الهلالية والحكام في بجاية وهي دلالة واضحة على عدم انتماء اهل المسيلة الى القبائل الهلالية واحتفاضهم بتركيبتهم الاتنية البربرية رغم تعربهم لغويا مع من اقام بها من العرب بعد الحكم الحمادي.

و تميز اهل المسيلة بالطابع المدني الحضري الزراعي عن بقية القبائل المحيطة بها.

وفيا يخص المساكن ذكر الوزان الاسوار المحيطة بها جميلة بخلاف الدور فإنها قبيحة، أما الشغل فقال الوزان السكان كلهم صناع أو فلاحون بمعنى لم يذكر التجارة التي تساهم في الأرباح وزيادة الإنتاج الزراعي والصناعي [2].

[1]- الوزان: المصدر السابق, ج2, ص52 .
[2]- الوزان: المصدر السابق, ج2, ص522.

المسيلة خلال العهد التركي

كان دخول الأتراك إلى بلاد الجزائر في مطلع القرن 16، في فترة حرجة كان فيها مسلموا الجزائر يعانون من الانقسام السياسي، بحيث تواجدت عدة ممالك، فتلمسان كانت لأبي حمو الزياني الذي لم يستقر له ملك، وتنس عليها إمارة أبو عبد الله، ومدينة الجزائر تحت سلطة سليم التومي [1].وبجاية في قبضة الحفصين، والخطر الأسباني بدأ يهدد المدن الساحلية بعد أن تمكنوا من طرد مسلمي الأندلس 1492 واعتمدوا سياسته إعادة الغزو أو الاسترجاع Reconquista [2].

وفي هذه الأجواء المفعمة بالفوضى والتشتت كانت مدن الداخل في شبه استقلال، بعيدة عن أي تأثير سياسي، وزالت أهمية الكثير منها كما

1-كورين شوفا ليه: الثلاثون سنة الاولى القيام دولة مدينة الجزائر, (1510-1541). ترجمة جمال حمادنة, المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر, ص: 19.

[2]-عبد الجليل التميمي / أول رسالة من أهالي الجزائر إلى السلطان سليم لأول, المجلة التاريخية المغربية, تونس, عدد6, جويلية 1976, ص 116.

هو حال مدينة المسيلة التي أثرت فيها كثيرا صراعات الممالك المغربية بحكم موقعها الحدودي، وتماسها لنفوذ الإمارات الحفصية والزيانية. وتاريخ انتصاب الأتراك في منطقة المسيلة والمسيلة خضع للعوامل ذاتها التي عرفتها الجزائر من محاولات الانتصاب إلى الاسترجاع، إلى مجابهة المشيخات المحلية الطامعة، إلى الخطر الخارجي وضرورة التصدي له.و إذا كان الغموض يلف حول فترة استقرار الأتراك بالمنطقة نهائيا وبصفة سمحت ببروز فئة اجتماعية مميزة بها من حيث الجنس والعدد ألا وهي فئة الكراغلة التي أصبحت تمثل 1/ 2 نصف سكان مدينة المسيلة وحدها، وكانت تسكن في حي يسمى باسمهم أي الكراغلة في حين كان البعض من الانكشاريين الجنود يسكنون منطقة بشيلقا. و المحاولات الأولى لمجئ الأتراك إلى منطقة المسيلة تعود إلى الرابطة التي جمعت الأتراك بأحد شخصيات المنطقة الذي هاجر من المعاضيد ليكون إمارة بني عباس لأولاد مقران بمجانة ألا وهو احمد بن عبد الرحمان المقراني بداية القرن السادس عشر حيث امتد نفوذه من وادي الساحل إلى المسيلة [1].

ففي فترة دخول الأخوة بربروس بلاد الجزائر تعاون الأمير أحمد بن عبد الرحمان المقراني معهما ضد ابن القاضي أمير إمارة كوكو وساهم معهما في توطيد سلطة الأتراك بالمسيلة التي أبدى سكانها مقاومة شديدة لحملة خير الدين سنة 1528 [2] .

[1]– Gouvion (Marthe et Edmond) Kitab Ayane el Maghariba, imprimerie orientale Fontaine frères Alger, 1920, pp .65, 66.

[2]– De Grammont (Henri Delmas); Histoire D'Alger sous la domination turque, 1515, 1830-Edition Bouchéne, 2002, p, 50.

وشهدت منطقة المسيلة عامة ثورات عديدة كانت ورائها مشيخة أهم العروش لأولاد ماضي [1] وأولاد دراج .

لم يكن هناك حكم للأتراك بالمنطقة الواسعة للحضنة إلا بمساعدة أعيان ورؤساء مشيخة أولاد ماضي ومن بينهم عائلة بوضياف بوراس، ومشيخة أولاد مقران بمجانة.

فبعد أن استطاع حسن أغا سنة 1541 من بسط نفوذه على منطقة المسيلة [2]، والتوسع إلى جنوب الاوراس حيث كون حامية عسكرية بمدينة بسكرة كنقطة انطلاق للقضاء على الثورات وتحصيل الضرائب في المسيلة الشرقية، ثارت المسيلة الغربية بمحيط المسيلة سنة 1550م وهي السنة التي يمكن اعتبارها بداية تواجد الاتراك بالمسيلة، ولعل هذا التواجد هو الذي دفع عبد العزيز بن عبد الرحمن المقراني سنة 1552 الى مهاجمة الحامية التركية المتواجدة بالمسيلة .وعندما حاول القائدان التركيان سنان رايس، ورمضان رايس التوغل في منطقة المسيلة لكسر شوكة أولاد مقران الذين مدوا سلطانهم على اقاليم واسعة من المسيلة الا ان القائدان التركيان منيا بهزيمة وخسارة فادحة في وادي اللحم بالقرب من مدينة المسيلة سنة 1554. ولم يتمكنا من الوصول إلى مدينة المسيلة إلى بعدد قليل من الفرسان [3]. وكان لانهزام الاتراك بالمسيلة نتيجة هامة على المقرانيين، بحيث اشترط عبد العزيز المقراني الامارة على المسيلة مع حق جباية

[1]– Nacib, (y):op-cit, p160, et B.O.G.A 1910.p1206.

[2] –سعيدوني (ناصر الدين): المرجع السابق ص : 229.

[3]– De Grammant, (H):op-cit, p, 83.

الضرائب وحقوق العبور حتى على الاتراك وبذلك اصبحت بعض عروش المسيلة مثل اولاد ماضي واولاد سيدي سليمان واولاد السعادي تدفع الضريبة لعبد العزيز بدل الحامية التركية المتواجدة بالمسيلة. وربما هذه الحادثة لها دلالة على استئناس القائدان بأهل المدينة وهم قلة وتجاوب أهلها مع قدومهم.ولعل الأتراك اهتدوا إلى حكم البلاد بأهلها البلاد من خلال محاولة حسن باشا إيجاد أصدقاء له بالداخل عندما منح مدينة المسيلة إلى أمير بني عباس من أولاد مقران بعد إن تبينت له قوة المشيخة وامتدادها بالمسيلة على اثر هزيمة الجيش التركي أمام المقرانيين الذين قاربت قوتهم 18 ألف فارس ومقاتل، رغم تحالف إمارة، كوكو مع الأتراك [1] ومما دعم اتجاه الأتراك إلى صرف النظر عن المجابهة والاتجاه إلى المصالحة وكسب الأعيان وشيوخ الزوايا والاعراش هو تزايد المشاكل الخارجية المتمثلة في تهديدات الأسبان والمسيحيين وعملية فتح وهران المتكررة.ولعل موقع مدينة المسيلة الحدودي بين بابليك التيطري الذي ظهرت إدارته منذ 947هـ/ 1540م [2].وبابليك الشرق جعل الصراع ينتقل إلى ولاة الأتراك في عدة مرات وبين المقرانيين أنفسهم على مدينة المسيلة .

وفي الفترة التي اعقبت انتصاب الحامية التركية بمدينة المسيلة منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر استقرت الأوضاع نسبيا للأتراك

[1] – Feraud (Ch) : les Mokrani seigneur de la Medjana in R.S.A.C 1871, p233.

[2] –محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية, تقديم محمد بن عبد الكريم, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر, 1981, ص 30.
كذلك سعيدوني, المرجع السابق, ص ص 348–338.

وسكان المسيلة رغم بعض الاشارات الى انتفاضة اهل المسيلة ومجانة ضد الاتراك سنة 1590ر ولم يقع ما يدعو الى التنافر بل بدأ الاندماج العائلي والانصهار الذي بدأ جليا في مدينة المسيلة، التي ظهرت بها فئة اجتماعية جديدة مميزة وممتازة كانت نتاج زواج افراد الجيش الانكشاري من عائلات اهالي مدينة المسيلة هي فئة الكراغلة والتي استقرت في موضعين احدهما بموقع الحامية ببشيلقا والتي قدم لنا وصفا لها الكاتب مالتسان ويبدو من كلامه ان الاتراك كانوا على عدد هام ببشيلقا مع عائلاتهم وكانوا يشتغلون الى جانب القيادة العسكرية بالزراعة وخدمة البساتين المسقية بقنوات الري من وادي القصب، والموضع الثاني كان بالحي الذي يحمل اسمهم أي الكراغلة بالمسيلة.

يرتبط ظهور فئة الكراغلة بالجزائر عموما بالتواجد العثماتي، اذ ان بعض الاتراك قد اختاروا التقرب من السكان المحليين فعقدوا مصاهرات مع بعض العائلات الحضرية ذات الثروة والنفوذ الديني، فنتج عن ذلك عنصر سكاني جديد هو العنصر الكرغلي، واصل المصطلح هو الكلمة التركية "كول اوغلو" التي تعني ابن العبد والعبد هنا كان يطلق على الجندي الانكشاري بمعنى الولاء للسلطان العثماني وليس العبودية بمعناها الاجتماعي المعوف.

وقد تواجد الكراغلة في عدد من مدن بايليك الشرق مثل قسنطينة التي اصبح لعائلاتها معالم مثل دار باشتارزي ودار بن البجاوي وديار كوتشوك علي.وقد احتلت مدينة المسيلة مكانة مميزة في العهد العثماني وكانت تمثل مفتاح الاتصالات بين الصحراء ومدينة الجزائر وبين قسنطينة عبر طريق البيبان، لذلك قام الاتراك بوضع حامية تركية او نوبة عسكرية في المدينة، وتصاهر العديد من افراد هذه النوبة مع عائلات منها واختاروا

الاقامة في حي خاص في البداية سمي بحي الكراغلة او كما كان يسمى براس الحارة لكونه يمتد شمال حارة اليهود ويشكل راسا لها .

كما تواجدت عائلات كرغلية في حي الشتاوة وحي الجعافرة وقدرت المصادر التاريخية عدد سكان مدينة المسيلة اواخر العهد العثماني ما بين 2000و3000 ساكن نصفهم كراغلة.

ويلاحظ من خلال توزيع الالقاب التركية بمدينة المسيلة ان هناك تزاوج كبير بين عائلات حي الكراغلة مع الحي المقابل أي الشتاوة لذلك تضاعف عدد الكراغلة الى ما يقارب نصف سكان المسيلة واصبح التميز بينهما واضح مع بقية السكان الذين يطلق عليهم باهل المسيلة والمجمعين بحي العرقوب وخربة تليس. فهناك القاب لعائلات تركية مثل شيكوش او كوجوك وعائلة تركي وعائلة سافار وقريشي وبن التومي وبيرم وقارةوشاكر احمد باي وبن يحي وغيرهم، لا تزال الذاكرة المحلية تنسبهم للاتراك اقاموا بداية في الحي الذي يسمى باسمهم أي الكراغلة قبل امتزاجهم بعائلات حي الشتاوة.

كانت مدينة المسيلة ضمن نطاق قيادة المقرانيين باسم الاتراك، وكان الصراع داخل عائلة آل مقران قد ألقى بحمله على عروش منطقة المسيلة وهما أولاد ماضي وأولاد دراج من خلال التجاء العزيز بلقندوز المقراني إلى أولاد ماضي وصراعه مع اخوه بورنان والحاج بن بوزيد. وكان باي قسنطينة قد عين العزيز بن القندوز المقراني خليفة على منطقة المسيلة سنة 1740 وعرفت قيادته بقيادة اولاد ماضي بينما استوطن عبد الله خال اولاد مقران بالمسيلة حيث تكون عرش اولاد عبد الله الذي يمتد الى سور الغزلان

بينما استوطن بورنان المقراني منطقة ونوغة.ومنشأ الصراع شخصي بين بورنان واحد أعيان أولاد ماضي الذي كان عاملا بمجانة عند المقرانين ومن أثار ذلك مقتل بورنان ودفنه بالمسيلة قرب ضريح سيدي بوجملين [1]. وقد كان لهذه الحادثة الأثر الكبير في تحالف أولاد مقران وإعلانهم الحرب على أولاد ماضي، وتحولت الحرب إلى مجابهة بين عروش المسيلة ككل بعد أن انظم عرش أولاد دراج إلى جانب أولاد ماضي في موقعه العوج في وادي الشلال جنوب المسيلة، بحيث تركت المعركة 200 قتيل من حشم أولاد مقران و9 من أفراد العائلة وعدد كبير من الجرحى والخسائر وسبي الأطفال والنساء وكان ذلك سنة 1799م [2].

هذا الصراع بين العروش والأهالي كانت تغذية نقمة الأتراك ورغبتهم في غرس الأحقاد والدسائس بين السكان والعائلات النافذة، للتمكن من السيطرة كما فعلت ذلك بواسطة قبائل المخزن المختلفة، والتي انتشرت في الحدود الشمالية والجنوبية لمحيط المسيلة كما هو حال قبائل هاشم بالعش بأولاد خلوف [3]. والتي كانت تلعب الدور الهام في استتباب الأمن للطريق السلطاني الرابط بين باي قسنطينة ودار السلطان بالجزتائر العاصمة، وجباية الضرائب بصرف النظر عن الأملاك والامتيازات التي تتحصل عليها.

[1]– Feraud, (Chl):lesMokrani, p 263.

[2]– IBID. p, 263.

[3] –سعيدوني : المرجع السابق ص 109.

تأثير النظام الضريبي في وضع منطقة المسيلة

المعروف ان الحكم العثماني بالجزائر ارتكز على الانكشارية وجنود البحر لما كان يجلب لهم من خيرات بفضل عملية القرصنة المتبادلة مع النصارى، وان هذا الحكم ارتكز في الداخل على جباية الضرائب المختلفة من السكان بواسطة القياد وقبائل المخزن.

فرضت على الأهالي بمدينة المسيلة خلال العهد العثماني ضرائب مختلفة منها ما كان يتعلق بحقوق البايات والادارة ومنها ماتعلق بالاراضي وخراج الزكاة وضريبة الدنوش وغيرها.ولعل الضريبة التي لم يكن مثلها في مناطق الجزائر وجود، قد وجدت، في منطقة أولاد خلوف شمال مدينة المسيلة وهي منطقة جبلية فقيرة فرضت عليها ضريبة الرؤوس "الجزية"[1] اضافة إلى ضرائب على الأراضي والمنتجات الزراعية كالقمح والشعير وضريبة الحكور على الأراضي المستغلة وضريبة العشور أو الزكاة .وكان يقوم بعملية تحصيل الضرائب بمنطقة المسيلة في نهاية العهد التركي من عائلة أولاد مقران عبد السلام المقراني وأحيانا تدفع عملية رفض السكان رفع الضرائب قدوم بايات قسنطينة والتيطري بحملات عسكرية كما حدث في فترة نعمان باي قسنطينة، والآغا عمر من العاصمة 1815 م وأحمد باي 1827م من قسنطينة.

[1]– Féraud, (ChL):Histoire des Villes …., p, 190.

وبما أن علاقة السلطة العثمانية بالقوى الاجتماعية خاصة بالريف الجزائري تمثلت أساسا في التعامل بين مجموعتين إحداهما حاكمة والأخرى محكومة إنطلاقا من النظام الضريبي وما يتصف به من سياسة جبائية مجحفة*، فإنه وحسب "فيرو" (Feraud) فإن العثمانيين كانوا حرصين على الإنتفاع بنظام جبائي عملوا من خلاله على الإستحواذ على أكبر فائدة ممكنة من الأموال حيث قال :"أينما ذهب التركي فإن الأرض تصبح جدباء لمدة مائة سنة"[1] لهذا قال عنهم الجبرتي"العثمانيون عبيد الدرهم والدينار"[2] أما العالم الأديب سعيد المنداسي، فقد قال عنهم هو الآخر في قصيدة هجاهم فيها .

عبثوا وإستفزوا المسلمين من القرى وقد عبدوا حمر الدنانير أوثانا[3]

لهذا ولما شحت موارد القرصنة طالب الدايات حكام الأقاليم بموارد بديلة لتغطية العجز المالي، فما كان من هؤلاء إلا مضاعفة الضرائب التي كانت تختلف بإختلاف المناطق، فالضرائب المجباة من سكان المدن غير الضرائب المجباة من سكان الريف، وتأتي على رأسها الرسوم المفروضة على الدكاكين والمقدرة شهريا بثلاثين سنتيما، أما المدن التي بها حاميات تركية فرضت عليها ضريبة دار السلطان* التي تقدم إلى شيخ البلد عند إستبدال

(1)-FERAUD, Le Sahara de constantine, A.Jourdan, Alger, 1887, p80.

(2)-الجيرتي, المصدر السابق, ج1, ص114.

(3)-إبن سحنون, المصدر السابق, ص56- الزياني, المرجع السابق, ص420.

* ضريبة دار السلطان" تسمى كذلك ضريبة خير الدين تتراوح ما بين 150 إلى 300 ريال بوجو.

الحامية الموجودة بالمدينة، كما فرضت ضريبة على التجار وعلى البضائع التي تدخل السوق وتسمى"المكوس"[1].

لكن ما يهمنا أكثر هي الضرائب التي كانت تجبى على سكان الأرياف بمنطقة المسيلة، لما لها من صلة مباشرة بالثورات التي تجلت فيها مرحلة القطيعة بين السلطة والعلماء بوضوح.

فبالإضافة الى الضرائب الشرعية من عشور وزكاة وخراج **وحكور*** تأتي "اللزمة" وهي ضريبة إستثنائية يدفعها الأهالي للمساهمةفي نفقات الجيش في حالة الخطر، كما أدخل العثمانيون ضريبة أخرى تدعى "الغرامة" التي تدفعها قبائل الرعية [2] وهي التي تسببت في تمرد القبائل بمنطقة المسيلة خاصة نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر مثا انتفاضة عرش اولاد ماضي 1774 وانتفاضة بلحرش وانتشارها بمنطقة المسيلة ثم انتفاضات عروش اولاد دراج واولاد ماضي سنوات 1815 و1818.، وحسب ما ذكره الأستاذ "سعيدوني" فكل منطقة كانت تفرض عليها ضريبة خاصة حسب طبيعتها وأحوالها المناخية فمثلا عرش اولاد دراج الذي وجدت به أراضي المخزن كان كالتالي:

عدد الجابدات 15 عدد قيسات القمح 15-عشور الشعير15. بالريال بوجو 200 بوجو [3] بينماى نجد امنواع اخرى من الضرائب على مناطق

---

(1)-FEDERMAN/ AUCAPITAINE, op.cit, p 313 - EESTERHAZY, op.cit, p279.

** الخراج: تدفع على الأراضي لغير المسلمين و قد طبقها العثمانيون بالجزائر.

*** الحكور: حق ايجار يدفعه الفلاح مقابل استثماره لأراضي الدولة.

2 -FEDERMAN/AUCAPITAINE, Ibid, p 120

3- سعيدوني (ن):المرجع السابق, ص 340.

الصحراء حيث فرضت المعونة والعسةو في الهضاب العليا فرضت عليها الغرامة والمعونة أما التل فرضت على سكانه ضريبة العشور[1]، كما فرضت ضريبة على كل محراث يجره ثوران ما مقداره حمولة بعير من القمح وآخر من الشعير[2].

كما أستحدثت ضرائب أخرى كانت تقدمها القبائل عند مرور المحلات على أراضيها فصل الربيع وتسمى "الضيفة"[3] اما ضيفة الباي "والتي يحددها هو بنفسه، كانت تختلف من قبيلة لأخرى[4] .

إضافة إلى العوائد التي تقدمها قبائل الرعية مرتين في السنة، أما القبائل الرحل ففرضت عليهم ضريبة تدعى "الحصة" كما هناك ضريبة يقدمها أهل التيطري لزوجة الباي والمقدرة سنويا ب170 بوجو وتسمى" عزلة زوجة الباي "[5].

ونتيجة لهذه السياسة الضريبية كان "دي غرامو" (De Grammont): "يقول أن كل مادة منتجة قابلة للدفع لم تفلت من نظام الضرائب المطبق في الإيالة"[6]، لكن هذا التنوع الضريبي الذي شهدته الإيالة مع نهاية القرن 18م وإعتمدت السلطة على موارده إعتمادا كليا من دون الإعتماد على

1-سعيدوني, النظام المالي ..., هامش ص 118.

2-وشن, المرجع السابق, ص92

(3)-FEDERMAN/AUCAPITAINE, Op.cit, p 122 - BOUABA, op.cit. p44.

(4) FEDERMAN/AUCAPITAINE, Ibid, p211.

(5) -Ibid, p 211.

(6)- DE GRAMMONT, Op.cit, p210.

مصادر أخرى، حيث لم تهتم بتنمية مرافق الدولة الإقتصادية، فكل الموارد يذهب لصالح المؤسسة العسكرية وموظفيها.

وبالتالي كانت عملية جباية الضرائب غالبا ما تتم تحت الضغط والإرهاب[1]، وفي هذا السياق يقول نقيب اشراف الجزائر الشريف الزهار "...هكذا وضع الأوائل الجباية على المنهج الشرعي والأواخر صاروا يخرجون المحلات لإستخلاص المغارم والظلمات ونهب أموال المسلمين وما وقع هذا حتى صار الناس فجارا والأمراء ظالمين."[2]

أما إبن سحنون فيقول "وفرضوا على الناس المغارم شتاءا وصيفا وعينوا للجند عطاء مخصوصا وضربوا عليهم البعوث تخرج كل سنة أواسط أفريل إلى عمال الجباية فمنها من يرجع إلى الجزائر بعد أربعة أشهر ومنها من يرجع بعد سنة"[3].

وكل ما كان يجمعه البايات كان يقدم في شكل دنوش يقدمها البايات كل ثلاث سنوات أما خلفاؤهم فكل ستة أشهر، عند زيارتهم لمدينة الجزائر، وكان معظمها عبارة عن ترضيات أو رشاوي للداي وكبار القادة بمدينة الجزائر لشراء ذممهم، فهذه الدنوش هي التي كانت تتحكم في مصير البايات، لأنهم بواستطها يكسبون ثقة الداي، لذا كانوا يتسابقون في نهب أقاليمهم بجمع أكبر قدر ممكن من الأموال والهدايا قبل القدوم إلى مدينة الجزائر.*

1) -الغالي, االثورات الشعبية ..., ص168.

2-الزهار, لمصدر السابق, ص35.

3-إبن سحنون, المصدر السابق, ص442.

وحسب "وليام شالر" فإن هذه الزيارات كانت تكلف كل باي ثلاثمائة ألف دولار والجزء الأكبر منه كان يقدم كرشوة للضباط والموظفين الكبار[1]، ويذكر لنا "الزهار" نماذج من هذه الدنوش التي يحملها باي الغرب" ...يسبقون امام الموكب أربعين بغلة على كل بغلة ألفا ريال صغيرة فتكون جملة ذلك ثمانين ألف ريال، وأربعين فرسا من الخيل المسومة، وأقفاصا فيها السباع والنمرة وبقر الوحش، وغير ذلك من الحيوانات"**، كما يذكر ان هدية الداي وحده كانت كالتالي:"أما الدراهم فنحو العشرين ألف دورو ومن المصوغ مقدار نصف ذلك وأربعة من الخيل العتاق ونحو 30 عبدا كبار و20 عبدا صغيرا من عبيد السودان وحياك القرمز صنعة تلمسان وحياك الحرير المحببة صنعة فاس والبلاغي والرواحي بالذهب والشترامبيات بالذهب، ونحو 20 قنطار من الشمع، ومثل ذلك من العسل ومثله من السمن والجوز"[2]

ولما يدفع البايات هذه المبالغ الضخمة وبعد رجوعهم إلى أقاليمهم يشرعون في النهب، وشن الغارات على الفلاحين الذين يدفعون ثمن رفاهية الداي وحاشيته، فحسب "كاتكارت" فإنه لم يكن يمضي وقت حتى

---

* حول السياسة الجبائية المفروضة على الجزائر منذ التاريخ العتيق إلى الإحتلال الفرنسي راجع:

- MOUSSAOUI- EL KECHAI (F), "Approche historique de la fiscalité en Algérie", communication présentée lors du colloque international sur le developpement local, Université de Tizi- Ouzou (Mai 1992).

[1]-شالر, المصدر السابق, ص46.

* -انظر حول ماكان يقدمه البايات للداي وحاشيته, الزهار, المصدر السابق, ص 35 وما بعدها.

[2]-الزهار, المصدر السابق, ص 39, 40.

يسترجعوا ما قدموه للسلطة بالجزائر وعلى رأسها الداي[1]، لهذا فإن أحد البايات، وردًّا على لوم أحد أفراد حاشيته على كثرة الضرائب فأجابه "إن حكام الجزائر أخذوا كل ثروتي ولهذا تراني أخرب البلاد"[2]، أما الباي حسن وحسب ماجاء في كتاب دليل الحيران قوله "إن أهل الجزائر أكلوني لذا تراني آكل الرعية..."[3]، كما يذكر الورتيلاني أن العثمانيين لما دخلوا بسكرة أضروا بأهلها واجحفوا بهم في الخراج، لذا إجتمعت عليهم غارات العرب من الخارج، وظلم الأتراك من الداخل.[4]

لقد عرف بايلك الشرق الجزائري أيضا فرض الضرائب الجائزة على السكان وخاصة بعد الفترة التي أعقبت موت صالح باي[5]، فالباي أحمد الطوبال (1808-1811م) الذي فرض على السكان غرامة تقدر بمائة ألف سلطاني وبعضهم يدفع أربعمائة ألف سلطاني وهذا من أجل تقديم الدنوش وهو الأمر الذي أحدث تذمرا لدى السكان.[6]

[3] –كاتكارت, المصدرلسابق, ص 117.
[1] –المزاري, المصدر السابق, ص 102.
[1] – الزياني, المصر السابق, ص241.
[2] –الورتيلاني, المصدر االسابق, ص88, 89.
[3] –مجهول, تاريخ بايات قسنطينة, ص5.
[4] VAYSSETTE, Histoire de Constantine …p489.

مسالة الصفوف خلال العهد العثماني بالمسيلة

لقد كانت سياسة الأتراك في جباية الضرائب واعتمادهم على القبائل سبب في انقسامات عديدة بين عروش منطقة المسيلة مثل الانقسام الذي كان يميز مدينة المسيلة بين ما كان يطلق من اسماء على اهل الترك واهل المسيلة، وكان التمييز واضح في مسالة دفع الضرائب للاتراك واعفاء الكراغلة منها، وان اهل المسيلة كانوا مغرمين من قبل الكراغلة خلال فترة الاتراك واقل حضا في مسائل توزيع المياه والاراضي .كما دفعت مسالة الضرائب بعض القبائل بمنطقة المسيلة الى تفاديها بالتحالف مع السلطة التركية المحلية، وكان ذلك سببا في ظهور ما عرف بالصفوف الذي يمتد الى فترات سابقة للحكم العثماني عندما كانت قبائل الدواودة تتحالف مع الامارات القائمة انذاك مقابل امتيازات او اعفاءات ضريبية، وامثلة على هذه الصفوف، الانقسام الذي حصل بأكبر عرش بالمسيلة وهو عرش أولاد ماضي الذي انقسم إلى صفين :

1) صف أولاد ماضي وأولاد منصور وماضي وأولاد يحي بن خالد الموالين للأتراك .

2) صف الجواد من عائلة بوراس بوضياف [1] من فرقة أولاد عبد الحق المتحار بين ضد أولاد مقران وكانوا اشد أعداء الإخوة بربروس [2]. وهذا لاما جعل الحروب متتالية بين اولاد ماضي والاتراك حيث كثيرا مايتحالف مع اولاد ماضي عرش اولاد دراج كما كان الانقسام بين أهل ونوغة إلى صفين مستمر الى ما بعد فترة التراك وخلال انتفاضة المقراني 1871 وانقسمت منطقة ونوغة الى صفين :

1-صف كحل وذنو: وهم الموالون للأتراك واصبحوا يعرفون بالكحلة ويتكون هذا الصف من عروش بني وقاف، فضالة حرارزة أولاد نشحيش أولاد ظريف، أولاد ضعن والعراف، أولاد جلال، أولاد على بن منصور .

2-صف الأبيض وذنو:وهم المعادون للالتراك حيث استمرت مقاومتهم إلى غاية سيطرة الاغا عمر (1824) بحملته العسكرية المكونة من 1500 تركي -850 فارس عربي [3].

ويتكون صف الأبيض وذنو من فرقة السلاطنة، الخرابشة بني يلمان، أولاد مسلم بني يطاس الكسانة القصر السباخة [4] وعرفوا بالبيضة

1-نلمس هذا العداء الصريح لصف بوضياف اتجاه الاتراك في رسالة كتبها احمد بن الصغير بوضياف الى قائد الجيش الفرنسي سنة 1834 يبين فيها الظلم و الجور الذي اتصف به الاتراك ضد قبائل اولاد ماضي وهذا ما دفع هذه القبائل الى الثورة عدة مرات ضد الاتراك بالمسيلة منذ القرن الثامن عشر .:

[2]- Gouvion (Met E);op-cit, p69 et Despois, Le Hodna, p, 123.

[3]- Robin :Notes sur les Yahia Agha, inRAF, N°: 18, 1874, p 92.

[4]- ibid p, 92.

كما ساهمت الأوضاع الصعبة لعرش العريب بمنطقة المسيلة على أن يلتفوا بالأتراك تفاديا لدفع الضرائب ويتحولوا إلى قبائل مخزن فيما بعد وهذا بعد ارتحالهم من المناطق الواقعة غرب وادي اللحم نحو منطقة المدية وسوق حمزة والشلف [1]. وقد شهدت مدينة المسيلة نموذج لتسلط الاتراك وسوء معاملتهم للاهالي ولبعضهم البعض عندما اقدم تشاكر باي1815 على الانتقام من قبائل المنطقة بعد ان رفضوا تقديم الضرائب وكيف قام بقتل باي قسنطينة نعمان باي الذي جاء بنفسه لتحصيل الضرائب ومعاقبة الرافضين تقديمها ودفع الامر بشاكر باي الى قتل نعمان باي واعلان نفسه بايا على قسنطينة من المسيلة، والباي "شاكر" ورغم مدته القصيرة في الحكم إلا أنه عرف بالبطش وسفك الدماء والإستحواذ على ثروات الناس لذا قال عنه العنتري :" شاكر باي رجل بطش تغلب عليه صلابة العجم يسفك الدماء بالباطل، ويأخذ أرزاق الناس بالغزو لا يبالي بمن هو طايع أو عاصي وفي زمنه إشتهر الترك بالظلم ..."[2]. كما أنه ينتقد الباي مح

إن إهتمام الأتراك بالمناطق الداخلية بعد نقص موارد القرصنة أثار ضدهم تمرد السكان الناس، وكانت أعنف هذه الثورات، الثورات الدينية،[3] التي جاءت كرد فعل على السياسة الجبائية التعسفية التي انهكت الأهالي خاصة بعد تضاؤل دور العلماء في التوفيق بين متطلبات الحكام المالية، وبين السكان المتأثرين بنفوذهم الروحي.[4]

---

[1]– Guin:Notes historique sur les Adaoura, in RAF, N°:17 1873, p 105.

[2]– العنتري, فريدة مؤنسة, ص83.

2- GHALEM, Op.cit, p27.

[3]– سعيدوني, النظام المالي, ص60.

خاصة وأن العثمانيين لم يبذلوا جهدا لربط علاقات متينة مع الأهالي فالذي ربطهم بالرعية كان الجانب المالي، لهذا ركزوا طيلة وجودهم بمنطقة المسيلة على تطوير الجهاز الجبائي، وتخصيص مصادره للمحافظة على الأمن والإستقراروضمان مصالحهم وإمتيازاتهم، لكن سياستهم ألبت ضدهم السكان وبالتالي فإن توجه أنظار الحكام نحو الداخل من أجل إيجاد مصادر دخل بديلة كان له نتائج وخيمة، لأن تحولهم لم يكن يعتمد على سياسة مدروسة تعمل على عدم الإضرار بكل الأطراف[1].

ولم يكن للأتراك بإقليم المسيلة تواجد بشري كبير باستثناء مدينة المسيلة، وبقيت سلطة الأتراك حاضرة بصفة غير مباشرة من خلال جماعات المخزن بأولاد دراج وهاشم بمنطقة العش[2].شمال المسيلة .وكان البايات يتدخلون بحملاتهم في حال الفوضى أو رفض الضرائب، وهي حالات متكررة .

ومعروف انه منذ 1600 ربطت الاتراك بواسطة المقرانيين علاقة مع عرش اولاد ماضي منذ تولي الشيخ سيدي ناصر بن سيدي احمد المقراني مشيخة المسيلة والذي كانت تقوم بحراسته فرقة من قوم اولاد ماضي منكونة من 18 فارس.و كان خضوع سيدي ناصر للاتراك شكليا فقط .

ومن ابناء سيدي ناصر سيدي بتقة (وكانت امه زنجية ويدعى بابو عتيقة) الذي ربطته علاقة مصاهرة مع اولاد ماضي بحيث تزوج من ابنة شيخ اولاد ماضي وهذا ما سمح للمقرانيين بتوسيع نفوذهم الى منالطق

([1])- الغالي, الحياة السياسية, ص 165.

-1-سعيدوني : المرجع السابق ص .331.

واسعة من المسيلة واولاد نايل، وقد استمرت علاقة الاتراك واولاد ماضي طيبة الى غاية حادث اهانة احد فرسان اولاد ماضي من طرف سيدي بتقة،

وتعلقلت الحادثة تتعلق بشخصية صهر سيدي بتقة وهو من اولاد ماضي، والذي كان يرافق سيدي بتقة في تنقلاته ويتصرف في كثير من الحالات بعنف ونفوذ قوي على المقرانيين، وحسب رواية شارل فيرو انه وقع في احد الايام وفي اجتماع لاعيان مجانة للتباحث حول شؤون الامارة تدخل الماضوي كعادته واخذ الكلمة، مما اغاض سيدي بتقة الذي وجد الفرصة لتقليص تزايد نفوذ الماضوي ووجه له كلام عنيف وامره بالصمت مع كلام مس شرف اخته وقال له "عندما يتكلم الرجال يجب عليك الصمت".

كانت هذه الحادثة سببا في احتقان عرش اولاد ماضي على المقرانيين وخاصة سيدي بتقة الذي كان يراوح منطقة المسيلة كثيرا.وهذا ما دفع اولاد ماضي الى الانتقام منه عندما تنقل الى المسيلة للصيد مع قومه من الحشم – وعادة ما كان يتنقل بمجموعة صغيرة بحكم الامن السائد مع اولاد ماضي – وخلال عملية الصيد التي قادته الى مكان بونزوة فوجئ باحاطة رجال اولاد ماضي لخيمته واقام رجال اولاد ماضي خيمة بقربه مع وليمة الضيفة لفرقة سيدي بتقة الذي لم يعلم ما كان يحضره له صهره الماضوي، وقد تنبه احد فرسان سيدي بتقة للمكيدة التي يحضرها لهم اولاد ماضي وقام بانشاد اغنية العصفور بما تحمله من معني المكيدة، وتفطن سيدي بتقة لذلك وتم الاتفاق مع حرسه على الفرار بترك الخيم والخروج من سياج خيم اولاد ماضي، وبطلوع الفجر وصل سيدي بتقة الى سد الجير، الا ان قوات اولاد ماضي وفرسانها استطاعت اللحاق بهم عند، الا ان سيدي بتقة تمكن من الفرار والدخول الى مجانة .

ومنذ ذلك التاريخ اصبح صف اولاد ماضي الاجواد الصف المعادي للمقرانيين والاتراك الى غاية بداية الاحتلال، خاصة بعدما قام سيدي بتفة بجمع الفرسان من قبيلة الحشم وداهم اولاد ماضي وقتل منهم الكثير بموقع محفر الطير.وتوفي سيدي بتقة بعد ذلك خلال سنة 1680 وترك اربعة اولاد بوزيد الذي خلفه في الرياسة بمجانة وعبد الله والعزيز ومحمد المدعو القندوز (أي صغير العائلة) وهذا الاخير هو الذي قضى اطول ايام حياته بمنطقة المسيلة التي كانت تحت قيادته وكان متحالف مع قبيلة اولاد فاضل المنحدرين من قلعة بني حماد.

كما حاول بورنان ابن الحاج بوزيد المقراني السيطرة على منطقة المسيلة بكسر شوكة اولاد ماضي الذين ثاروا عدة مرات على والده، وازاحهم الى جنوب المسيلة بحيث تركوا اراضيهم الخصبة لثلاث سنوات متتالية بين 1734-1736 عقب انتفاضة 1733.

فكانت ثورة أولاد ماضي ضد الأتراك وضد أولاد مقران 1733 مظهر لذلك الصراع[1]، كما أن عودة المصالحة بين أولاد مقران والأتراك من جهة بعد زواج الحاج بن بوزيد بابنة على بن صالح باي قسنطينة 1710م-1713م الذي امتاز بسمعة وطيبة جعلته يعتزل الحكم بعد عودته من الحج ويستقر بأولاد خلوف شمال المسيلة في زاوية سيدي احمد بن على إلى غاية وفاته.

وتعود انتفاضة اولاد ماضي الى بداية القرن الثامن عشر ايام الصراع الذي نشا بين المقرانيين والأتراك بسبب قضية الحاجة زوينة ارملة سيدي

[1]- Despois, (j):le Hodna, P, 123, et Nacib, (y) op-cit, P164.

بوزيد المقراني، حيث قام العزيز بن القندوز بتكوين حزب قوي مع أولاد ماضي وثار ضد اخوه بوزيد على امل ان يساعده الاتراك في جعل إقليم اولاد ماضي والمسيلة تحت سيطرته نهائيا [1] لان العداء كان كبير بين أولاد ماضي المتحالفين مع العزيز بن القندوز وبين اولاد مقران خاصة بورنان المقراني، وبداية العداء كان اثر القتال الذي وقع بين بورنان وحرسه مع أولاد ماضي والذي انتهى بمقتل سبعة أشخاص من عرش أولاد ماضي وفرار بورنان مع اخوته الى منطقة ونوغة، و خلال هذه الفترة كانت محاولات الاتراك في الوصول الى المسيلة سببا في تقدمهم نحو الجنوب وبناء البرج الذسي عرف فيما بعد ببرج بوعريريج بحامية قدرها 300 انكشاري. وسيطروا على اقليم ونوغة. وعين على قيادة اولاد ماضي العزيز بن القندوز .

وبعد المصالحة التي تمت بين المقرانيين والاتراك اثر زواج الحاج بوزيد المقراني بتركية ابنة على بن صالح باي قسنطينة 1713-1710[2]

الحادثة الثانية التي ادت الى انتفاضة عرش اولاد ماضي ضد المقرانيين سنة 1799 تعود الى المواجهة الكلامية التي وقعت بين بورنان المقراني والعزيز بن القندوز خلال رحلة صيد في المسيلة والتي ادت الى مقتل بورنان فرب الواد الابيض وتم نقله الى المسيلة حيث دفن الى جوار قبر سيدي بوجلين. وترك بورنان خمسة اطفال احمد وعلي وعبد الله وبوزيد والونوغي وقام برعايتهم عمهم سي الحاج بن بوزيد الذي توفي بين 1780 و1790.

[1] – Feraud, (Chl):lesMokrani, p 263.

[2] –عرف عن علي بن صالح ورعه وتقواه و قد ادي فريضة الحج و انتقل بعد ذلك الى منطقة الرابطة قرب البرج و استقر بها الى جانب زاوية سيدي احمد بن علي الى غاية وفاته

وبقيت المسيلة مستعصية على الاترامك الى غاية حكم الباي عصمان سنة 1763 حيث استطاع اخضاعها وكون منطقة دعم لسلطانه بالموضع الذي اصبح يحمل اسمه وهو حوش عصمان ومنه كانت تنطلق قوافل جباية الضرائب .

ولعل هذه الحادثة هي التى جعلت الاخوة المقرانيين يتناسون احقادهم ويتحدون ضد اولاد ماضي في مواجهة سنة1799 قرب وادي الشلال بعد ان هاجمت فرقة من اولاد دراج المتحالفين مع اولاد ماضي جماعة حشم المقراني في موقع العوج بوادي الشلال وقد تركت هذه المواجهة الكبيرة مقتل 200 من حشم المقراني وتسعة افراد من عائلة المقرانيين وعدد كبير من الجرحى وسبي عدد من الاطفال والنساء لدى اولاد ماضى واولاد دراج .

كما استمر الصراع بين المقرانيين واهل المسيلة بداية القرن التاسع عشر حيث ثار اولاد ماضي في 1800 ضد بن القندوز المقراني مستغلين الصراع الدائر بين افراد العائلة المقرانية، ووقعت معارك كبيرة بمواقع مختلفة قرب وادي الشلال وتحالف حينها عرش اولاد دراج الى جانب اولاد ماضي، وكانت هزائم المقرانيين عامل مشجع لاولاد ماضي الذين هاجموا المقرانيين المتجمعين بموقع العوج قرب وادي الشلال ووصفت المعارك بالعنيفة جدا وقتل تسعة من افراد عائلة المقرانيين الذين تركوهم مع ما يزيد عن 200 فارس من قبائل الحشم وكان عدد الجرحى اكثر من ذلك بكثير .و رغم العدد الكبير لقتلى عرش اولاد ماضي ولاولاد دراج الا اهما استطاعا مطاردة المقرانيين وسبي عدد من نسائهم واطفالهم.وتم نقل جثث المقرانيين الى مقبرة سيدي علي الطيار بتازروت ووجد جثة العزيز بن القندوز بدون راس.

لقد كان الصراع بين المقرانيين واولاد ماضي من بين اهم العوامل التي اضعفت مكانة العائلة المقرانية التى انحسر وجودها بمجانة وركنت الى السلم واصبحت الامارة موزعة بين ثلاث قيادات جديدة لكل من اولاد القندوز احمد وبن محمد واولاد بورنان محمد بن المسعود واولاد الحاج وعبد السلام وعبد الله.ولم تعد مجانة موضع احداث الى ان ثار فيها اولاد ماضي وناس المسيلة ضد الاتراك بداية القرن التاسع عشر عندما تحالفت قبائل المسيلة الى جانب ثورة ابن الاحرش الدرقاوي سنة 1803-1804.

ثورة ابن الاحرش الدرقاوي بالمسيلة 1803

من بين الثورات التي اهتزت لها الجزائر اواخر العهد العثماني انتفاضة ابن الاحرش التي امتدت الى مناطق واسعة من الجزائر من بينها منطقة المسيلة، وتنسب الى احد شيوخ الطريقة الدرقاوية .

يعود تأسيس الطريقة الدرقاوية إلى الشيخ محمد العربي الدرقاوي المولود في مراكش عام 1145هـ/ 1733م، وكان ينتمي إلى قبيلة بني زروال شمال مدينة فاس، تعلم التصوف على يد الشيخ على بن عبد الرحمان الجمال الإدريسي الفاسي شيخ الطريقة الشاذلية[1]، وقد أسس الشيخ محمد العربي زاويته في "بوبريج" بفاس، ثم إنتشرت في شمال المغرب الأقصى وغرب الجزائر[1].

وتعد الدرقاوية من أشهر الطرق التي أشهرت العداء ضد العثمانيين أواخر عهدهم بالجزائر، حيث إرتكزت تعاليمها على القوة والإبتعاد عن السلطة[1]، التي كانت معادية لها، فهم يمقتون كل واحد يمارس سلطة سياسية على غيره، لهذا كانوا مجانبين للسلطة، ويتميز أتباعها باللحية الطويلة ولبس الخرقة والعقد وحمل العصا ويلقب كل واحد من أتباعها "ببودربالة"*.[1]

بلغ عدد أتباعها عام 1796م في الجزائر حوالي 9567 منخرط موزعين على 10 زوايا ومن أشهر الطرق المنحدرة منها، نذكر الطريقة العلوية للشيخ أحمد بن مصطفى المتوفي بمستغانم عام 1934م والطريقة الهبرية للشيخ محمد الهبري المتوفي بمغنية أوائل القرن 20م إلى جانب طرق فرعية أخرى كالكتانية بالمغرب الأقصى[1].

وتعد الثورة الدرقاوية من أكبر وأخطر الثورات التي شهدها العثمانيون منذ بداية تواجدهم بالجزائر، حيث كانت هذه الطريقة تتلقى الدعم من المغرب الذي لعب دورا أثناء ثورتها التي تزعمها الشيخ محمد بن علي الإدريسي مرابط (عين الحوت) بتلمسان سنة 1736م التي إستمرت إلى غاية عام 1759م، حتى أصبحت تلمسان شبه مستقلة عن السلطة البايلك وقد إنتهج ضدها الباي محمد الكبير سياسة تعسفية، حيث دخل بجيشه التراب المغربي كتهديد للمغاربة، لكن عقد السلم بينه وبين مولاي يزيد عام 1789م[1]،

تزامنت ثورة ابن الاحرش مع فترة صعبة عاشها المجتمع الجزائري من حيث الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية وكغيرها منم المناطق فقد اصاب

المسيلة ومدينة المسيلة وضع صعب بحيث قل الغذاء وانتشر العوز في كل شيء وكثرت الامراض والاوبئة الفتاكة وقلت النقود بين الناس وارتفعت اسعار الحبوب وبيع الصاع الواحد من البر بخمسة عشر ريالة ودام القحط سنة كاملة 1804.

لذلك لقيت ثورة ابن الاحرش صدى في مناطق عديدة ومنها المسيلة بحيث انضمت اليها قبائل عديدة مثل اولاد خلوف وعرش اولاد ماضي العدو التقليدي للاتراك، كما انظم عرش أولاد دراج إلى جانب ثورة ابن الحرش حيث أقام زعيم العرش بن بركات علاقة متينة مع بلحرش، واستطاع تجنيد عروش منطقته خصوصا المعاضيد وأولاد خلوف وجبل عياض وأولاد براهيم وأولاد تبان ضد الأتراك منذ سنة 1803، حيث التجأ بلحرش في تحركاته من قسنطينة الى المسيلة بعد متابعة قوات الاتراك وقبائل المخزن له فالتجا إلى أولاد خلوف بعد متابعة أولاد مقران له حيث هزمت قوات بن الاحرش في معارك وقعت ناحية مقرة عندما كان محتميا بغرش اولاد عامر بسطيف ثم بقي ينتقل في محاولة يائسة لجمع أتباعه بالرابطة شمال أولاد خلوف [1]. ومنذ 1804 لم تعد السلطة التركية بالمسيلة قادرة على بسط قوتها دون قبائل المخزن والمقرانيين الموزعين في قيادات المسيلة .

خلال سنة 1815 ثارت قبائل بوسعادة واولاد ماضي ضد سياسة الاتراك في جباية الضرائب واتسع نطاقها وهدد امن الاتراك بقوة مما دفع باي قسنطينة نعمان الى تجهيز حملة عسكرية قوية قادها بنفسه الى المسيلة حيث حاول في 1815 استرجاع الاستقرار بمنطقة أولاد ماضي بمساعدة

[1]Feraud, (CH):Les Mokranis, ….p 274.

شاكر باي الأتي من العاصمة ومبعوث من طرف الاغا عمر [1]. واستطاعت هذه الحملة السيطرة على المسيلة ولو مؤقتا وعند عودة القوتين من المعارك بالقرب من مدينة المسيلة دبرت عملية اغتيال نعمان باي بمدينة المسيلة من طرف شاكر باي حيث اعتقل وقتل ودفن بمسجد بوجملين بالمسيلة، وكانت عملية الاغتيال امتداد للحقد القديم بين نعمان باي والاغا عمر، وقد تم تنصيب شاكر باي على قسنطينة بمدينة المسيلة حيث ألبسه الاغا عمر القفطان في احتفال دام ثلاثة أيام بالمدينة ليتجه بعد ذلك شاكر نحو قسنطينة ليستقبل بايا جديدا عليها.وعند انتقاله من مدينة المسيلة توقف شاكر باي في منطقة بئر سريات ثم في حمام قصر الطير واليوم الثالث استقر قليلا في سطيف قبل الوصول الى قسنطينة قد كان حينها على رأس السلطة التركية بمدينة المسيلة خلال هذه الفترة القائد قارة مصطفى الذي استطاع الوصول إلى كرسي البايات بعد شاكر باي وإن كانت فترة حكمه من الفترات القصيرة جدا إذا لم يدم سوى شهر واحد جانفي 1818 [2].

وكانت العداوة كبيرة بين شاكر باي وقايد المسيلة قارة مصطفى الذي تعرض للملاحقة ومحاولة القتل قبل أن يحصل على دعم داي الجزائر في توليه منصبه بقسنطينة [3] التي لم يكن لأهلها الرغبة في شاكر باي الذي عرف بكرهه للعرب وانتقامه للسكان بعد الاستقبال الفاتر لهم عند قدومه من المسيلة لتولى السلطة بقسنطينة .

[1]- Vayssettes, (E):Histoire des Derniers Beys de Constantine, Med:tchakeur, in RAF, N°5, 1861, p 94.
[2]- Voyssette, (E): Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517-1837, Edition bouchéne, 2002, p35.
[3]- Voyssette, Eugène: Histoire de Constantine, p109-110.

ومن مظاهر عداء تشاكر باي للعرب محاولة الانتقام من عرش أولاد دراج بالمسيلة الذي كان قد احتض ثورة بلحرش من قبل وتمرد على الاتراك وقبائل المخزن التابعة لسلطتهم والتي كانت احداها بمنطقة سلمان، وقام تشاكر باي بتجهيز حملة عسكرية لمعاقبة عرش اولاد دراج سنة 1817 بمساعدة قايد الزمالة سي احمد بن الشريف وحاولوا الهجوم على موقع خيم أولاد دراج بالمتكاوك (بسلمان) واقام تشاكر باي بمنطقة ذراع الشعير بين تاغة وزانة ورغم القوة التركية التي قدمت من قسنطينة بمساعدة فرق الصبايحية من المخازن والمقرانيين الا انها منيت بهزيمة نكراء بعد ان تعرضت لمباغتة فرقة أولاد دراج التي ألحقت الهزيمة بقوات شاكر باي، واعتقلت عدد كبير من رجال المخزن وأخ الاغا وفرض أهل أولاد دراج على الباي شاكر، الانسحاب بقوته. وبلهجة تهديد انتقل شاكر باي إلى موقع ذراع القبور ومنه انحدر نحو قسنطينة وهو في غضب شديد [1].كماقام في نفس 1817السنة بمحاولة الانتقام من عرش أولاد ماضي وحليفهم من أولاد مقران بوعزيز بن القندوز وكانت النكسة كبيرة لشاكر باي الذي ترك خيمه، وأمتعته التي أصبحت بين أيدي أولاد ماضي وهي الهزيمة الثانية التي تلحقها به منطقة المسيلة وقبائلها والتي ادت الى ازاحته من الحكم .كما كان لشاكر باي مشاكل مع قايد المسيلة قارة مصطفى، عندما وصلت اخبار الى تشاكر باي عن رغبة قارة في الوصول الى منصبه أي بايا على قسنطينة، مما دفع بشاكر باي الى ملاحقة قارة مصطفى الذي فر الى شيخ مدينة جيجل مول الشفقة، ثم انتقل قارة مصطفى الىالجزائر عبر البحر قبل وصول قوات شاكر باي الى جيجل، وتحصل قارة مصطفى الدعم من داي الجزائر لتولى

[1]– Voyssette, (E): op-cit, P108-et Feraud, (Ch):Les Mokrani….p201.

منصب باي قسنطينة مكان تشاكر باي الذي تحصن بدار الباي بقوته المحلية، في ظل عداوة اهل قسنطينة له.

كانت الانهزامات المتتالية لشاكر باي في محيط منطقة المسيلة تدل على قوة الترابط بين عروش المنطقة خصوصا أولاد ماضي وأولاد دراج والتي جعلت من الأتراك يفشلون في الحصول على دعم المشايخ أو في تكوين قبائل مخزنية نافذة بالمنطقة التي حل محلها نفوذ العائلات الكبيرة مثل بوراس بوضياف التي احتكرت قيادة المنطقة الواسعة للحضنة شمال الصحراء، أو بما عرف بقيادة المسيلة والصحاري [1]، التي سوف تعتمد عليها السلطة الفرنسية لبسط إدارتها ونظم حكمها بها.

وقبل سقوط قسنطينة في 1837 حاول احمد باي توحيد حلفاءه بمنطقة المسيلة حيث انتقل رفقة قوة عسكرية واقام بالقرب من المسيلة سنة 1833 بمكساعدة عبد الله بن بوعزيز وعدد من مرافقيه، وخلال هذه الفترة تمركزت بمنطقة السلامات قبائل العريب تحت قيادة فرحات بن طاجين الى جانب بعض حلفاء عبد الله بن بوعزيزالذي قدمهم الى احمد باي الذي بدوره استقبلهم احسن استقبال واشترط عليهم الاشتراك في القتال ضد الفرنسيين وترك بعد هذه الحادثة احمد باي منطقة المسيلة بعد ان عين اغا جديد للسير معه.ومن بين البايات الذين زاروا منطقة المسيلة نجد:

- زيارة باي قسنطينة احمد القلي للحضنة(بوسعادة والمسيلة)1178.
- زيارة باي قسنطينة عصمان باي للسيطرة على عرش اولاد ماضي 1218.

[1]-ACMM.B, 257, lettre da caid Boudiaf Med 1/1/1945

-

- مجئ جلال باي المدية لتهدئة المنطقة بعد الصراع الذي وقع بين اولاد ماضي من جهة واولاد سلامة والعذاورة من جهة ثانية سنة 1222 هجرية وحدثت معركة كبيرة انهزم فيها الباي رغم استنجاده بقايدج فرقة عمر الدزيري قرب بوسعادة.

وقبيل الاحتلال الفرنسي لمنطقة المسيلة وفي ظل محاولات الحاج احمد باي استرجاع قسنطينة، كانت امارة مجانة مقسمة الى صفين متعادين :

الصف الاول متكون من بن عبد الله مع بن عبد السلام المقراني اللذان تحالفا مع اولاد يلس وع اولاد موسلي ومع اولاد بوضياف ومع اولاد عبد النور والتلاغمة وريغا الظهارة.

الصف الثاني بزعامة احمد بن محمد المقراني ويضم اولاد ماضي وبعض فرق ونوغة والعلاونة وريغا القبالة.

قبل احتلال مدينة قسنطينة من قبل الاحتلال الفرنسي كان فرحات بن سعيد من عائلة بوعكاز شيخ العرب وكان تحت امارته قبائل اولاد سحنون بالمسيلة والقبائل الشرقية .

لكن اعيان العائلات النافذة كانوا قد تحركوا الى فرنسا منذ بداية الاحتلال طمعا في قيادات جديدة من امثال المقرانيين وبن يلس وبن سعيد وبوضياف واخرين، ولم تكن الظروف حينها تسمح لهم بموقف محدد من الدخول الفرنسي، انطلاقا من الاوضاع التي عاشوها في ظل الوجود العثماني .

بعثت شخصيات عديدة رسائل الى قيادة الجيش الفرنسي منذ 1834، تتودد فيها مكانة جديدة وموقعا متميزا في القيادة التي استاثر بها الاتراك من قبل وحرمونهم منها وقتا طويلا.

التقسيمات الادارية التي وجدت ضمنها منطقة المسيلة قبيل الاحتلال الفرنسي كانت تفضي الى واقع لم يكن يشكل الوحدة السياسية التي من شانها رد الاحتلال، بقدر ما عملت الانقسامات القديمة والصفوف المختلفة على تهيئة الوضع لتوسع سريع للاحتلال بها .

المسيلة خلال الاحتلال الفرنسي

البحث في تاريخ الاحتلال الفرنسي لمنطقة المسيلة لا يختلف كثيرا عن مناطق الجزائر الاخرى، من حيث الظروف التي واكبت التدخل والتوسع الفرنسي بها لان المقاومات المحلية الاولى ارتبطت بالمقاومات المنظمة للامير عبد القادر واحمد باي، ومن جهة اخرى كانت الولاءات القيادية تاخذ نفس المسار الذي عايشته المناطق الشرقية والوسطى من الجزائر قبل وصول الاحتلال الفرنسي لمنطقة المسيلة.فقد خضعت منطقة المسيلة قبل الاحتلال الفرنسي الى قيادات أهلية مختلفة كان لها نفوذ تحت سلطة الاتراك، في إطار القيادات التي منحت للعائلات النافذة، مثل قيادة خليفة مجانة للشيخ المقراني وعائلته، و قيادة شيخ العرب لبن قانة ومن بعده فرحات بن سعيد بداية الاحتلال، وقد امتدت سلطة فرحات بن سعيد سنة 1838 إلى مناطق

من المسيلة الشرقية ولو بصفة اسمية، وقد استمر مصطلح المسيلةمرادفا للأجزاء الشمالية لشط المسيلة الواقعة غرب وادي بريكة .

وكانت منطقة المسيلة خلال الفترة العثمانية منطقة تماس بين بايلك الشرق والوسط والتيطري، وسبقت فترة الاحتلال ثورات واحداث جعلت المنطقة تعيش في انقسامات وصفوف منها ما كان مؤيد لسلطة الأتراك ومنها من ثار ضدها وايد الثورات الكبرى كثورة ابن الاحرش او انتفاضة عروش المنطقة المتحالفة ضد بايات قسنطينة آخر أيامها مثل الباي تشاكر سنوات 1815-.1818و رغم أن إقليم المسيلة أدرج رسميا وليس واقعيا ضمن إدارة وسلطة فرنسا بموجب قرار 30 سبتمبر 1838 إلا انه لم يخضع لها فعليا إلا نهاية سنة 1840، كما أن التقارير الإدارية والعسكرية التي استعملت مصطلح المسيلة كانت تعني بها القيادات التي خضعت لسلطة المقرانيين، مثل قيادة المسيلة التي ضمت سنة 1838 مجموعة من المشيخات امتدت جنوب دائرة برج بوعريريج العسكري او ضمن دائرة بوسعادة العسكرية التي استحدثت سنة 1849 اثر مقاومة الزعاطشة.

والمعروف ان المقرانيين بسطوا نفوذهم منذ فترة على اقليم المسيلة على اقليم المسيلة باسم السلطة التركية ونصبوا مشيخات بها، وتولت على رأس هذه المشيخات شخصيات من العائلة المقرانية في كل من قيادة أولاد دراج الشراقة التي اعتبرت منطقة التماس مع اقليم المسيلة الشرقية، وكذا قيادة أولاد دراج الغرابة وقيادة المعاضيد وبوسعادة، وربطت هذه المناطق تحت سلطة المقرانيين علاقات تاريخية تباينة حسب الضروف، ومن جهة أخرى كانت منطقة الزاب على تماس مستمر ب المسيلة الشرقية وكثيرا ما تتداخل قياداتها في المسيلة الشرقية التي تمتد الى نواحي بريكة المستحدثة.

من جانب اخر قدم فرحات بن سعيد بن بوعكاز الذي كان يشرف على قيادة مفتوحة على منطقة المسيلة خاصة الشرقية منها خدمات للمقرانيين قبل ان يقدم .ولائه للجيش الفرنسي منذ 1831. وفي نفس السياق استسلم بوعزيز بن قانة الذي يعين فيما بعد شيخ العرب مرغما دون أن ينسى حقده لفرحات بن سعيد وقدم الاثنان خدمات جليلة للجيش الفرنسي. ومن جهة ثانية تذكر بعض الكتابات التاريخية أنه في مارس 1831 تقدمت شخصيات من عائلات نافذة بالجزائر ولائها للجنرال BERTHEZENE من بينهم عبد السلام المقراني وبن قانة وابن يلس وبوضياف وبوراس. ورغم ان الأمور لم تكن تسمح لهذه الشخصيات معاكسة المقاومات الشعبية خاصة مقاومة الأمير عبد القادر بإقليم المسيلة إلا أننا لمسنا من خلال الرسائل التي وجهتها هذه الشخصيات الى القائد الفرنسي منذ 1831 كانت تحمل في طياتها امور كثيرة منها ما تعلق بالعلاقات التركية مع الأهالي خاصة شيوخ واعيان القبائل المحاربة، والتي يبدو فيها قهر وظلم الأتراك وجبايتهم المفرطة للضرائب واضحا جعل هؤلاء ينتظرون دورا اخر مع الوافد الجديد.

أما من جانب اخر فقد ارتكزت عائلة المقراني التي كانت تشرف على اراضي المسيلة الواسعة على عدة مشيخات مثل مشيخة اولاد نجاع بعرش أولاد دراج، ومشيخة أولاد ماضي ذات التأثير الكبير والسلطة على إقليم وبلاد المسيلة .كما أن العلاقات الاجتماعية التي سادت الفترة السابقة للاحتلال والتي تجلي من خلالها التمايز الكبير بين مشايخ وأعيان المنطقة وبين بقية السكان، أدت في كثير من الحالات إلى الانقسام والتطاحن، وظهور مسالة الصفوف .

لا نستطيع فهم فئة أصحاب النفوذ والامتيازات فيى الإسراع في تقديم الولاء والخضوع للسيطرة الفرنسية قبل وصولها إلى اقليم المسيلة، طمعا في لعب دور جديد ومكانة ترقي إلى تحقيق طموحاتهم، ومن ثم فإن عملية احتلال فرنسا لمنطقة ا لحضنة بكاملها والسهولة التي تمت بها لم يكن مصدرها قوة فرنسا الحربية فحسب، بل تضافرت جهود الأقلية المحلية النافذة وذات السلطة القديمة على الأهالي في تنفيذها. فقد أثارت بداية مقاومة الأمير عبد القادر ومحاولة توحيده الصفوف عداء العناصر التي حاولت الاحتفاظ بامتيازاتها ولو بالتحالف مع ضباط الجيش الفرنسي .ولعل ما يفسر هذا الاتجاه هو الوفد العالي المستوى الذي انتقل في فيفري 1831 لإعلان الولاء للجنرال بيرتزان Berthezéne وضمت عبد السلام المقراني –الصالح بن يلس –فرحات بن سعيد وبوعكاز بوضياف بن بوراس من المسيلة.

ربما وقع النظام الضريبي الذي ساد خلال حكم الاتراك وحرية تصرف القيادات الاهلية في الاماكن الداخلية من جهة وجانب الانقسامات القديمة بين العروش من جانب اخر ساهم بدوره في تمهيد طريق الجيش الفرنسي نحو المسيلة بصورة اسهل، بحيث أدي الصراع القديم بين عائلة المقراني بمجانة وبين عبد الله بوعزيز.شيخ أولاد ماضي في انقسام المسيلة إلى صفين في نفس الوقف انقسم عرش أولاد ماضي ب المسيلة إلى صفين. منذ الفترة التركية، وخلال الصراع الذي دار بين أفراد العائلة المقرانية، صف واد الشلال، وصف أولاد ماضي، كما شهدت المنطقة الغربية للمسيلة انقساما في عرش ونوغة إلى قسمين : صف موالي للأتراك "الأكحل وذنو" والصف المعادي له "الأبيض وذنو".

1- مقاومة الأمير عبد القادر بمنطقة المسيلة 1838 -1840

استطاع الامير عبد القادر رغم الظروف الصعبة التي عاشها بداية الاحتلال من الوصول الى اعالي جبال المسيلة سنة 1838، وكون بمنطقة ونوغة زمالة له لتكون محطة انطلاق في مواجهة توسعات الاحتلال القادمة من جبال البيبان، ومن قسنطينة بعد احتلالها سنة 1837.

حاول الامير انطلاقا من الزعامات التقليدية، ومن مستجدات النزاع داخل العائلة المقرانية، ان يوظف البعض منها في اطار خلافة له تكون قاعدتها مجانة التي مثلت مركز الامارة المقرانية منذ فترة.لذلك كان عبد السلام المقراني من المرؤشحين لقيادتها.

كانت سنة 1837 بداية تنظيم مقاومة الأمير عبد القادر بمنطقة المسيلة التي أصبحت منذ ذلك التاريخ ضمن إحدى الولايات الثلاث التي مثلت إقليم الشرق الجزائري الخاضع لخلافة الامير عبد القادر وهي:

1-ولاية برج حمزة تحت قيادة أحمد الطيب بن سالم وكانت تضم حوض الصومام وجبال جرجرة ومنطقة البيبان.

2- ولاية مجانة تحت قيادة محمد بن عبد السلام المقراني وضمت منطقة مجانة وسطيف والمسيلة ومنطقة البرج والتي كانت تضم قيادة وادي القصب التي تصل حدودها إلى جبال ونوغة.

3- ولاية الزيبان والصحراء الشرقية تحت قيادة كل من فرحات بن سعيد ثم تحولت في عهد الامير الى لحسن بن عزوز، وتمتد من حدود المسيلة الشرقية إلى بسكرة والواحات الشرقية.

وفي هذه الأثناء حاول الأمير عبد القادر الاتصال بفرحات بن سعيد لمد نفوذه ب المسيلة والزيبان، إلا أن بن سعيد كان قد وافق على مراسلات فالي VALLEYواقترب أكثر بالفرنسيين الذين عيّنوه قائدا لإقليم الزيبان ببسكرة في 17 جانفي 1838 مما دفع الأمير عبد القادر إلى تعيين لحسن بن عزوز مكانه سنة 1838 إعجابا بشخصيته وبانتمائه للزاوية الرحمانية لبرج بن عزوز .

الظروف التي سادت خلال هذه الفترة بمنطقة الشرق الجزائري لم تكن لتساعد للحسن بن عزوز كثيرا من الوقت، حيث كانت عملية ولاء بن قانة للفرنسيين بارزة حيث عينوه بعد سنتين شيخ العرب سنة 1839.وشكلت المواجهات الاولى بين الفرنسيين والمقاومة، عاملا هاما في تقهقر مكانة بن عزوز العسكرية إثر الهزائم التي لحقت بقواته ب المسيلة أمام بن قانة في مارس 1840 أي ثلاثة أشهر قبل وصول الجيش الفرنسي للحضنة.

و في الجهة الغربية للحضنة ظهرت مقاومة الأمير عبد القادر للاحتلال الفرنسي مبكرة، عندما اتخذ الأمير من جبال ونوغة قاعدة انطلاق في تسيير المقاومة بالمسيلة. وبعد عقد معاهدة التافنة 30 ماي 1837، بدأت البيعة الشعبية تتوالى عليه بمختلف مناطق المسيلة، وعمد الأمير في البداية إلى تولية الحاج محمد بن زعموم بقيادة المقاومة في المنطقة، في الوقف الذي حاول الأمير إيجاد حلفاء له ب المسيلة ومجانة اللتان تخضعان الى قيادة كل من فرحات بن سعيد في الشرق والمقراني في الغرب، وقام باجتماع مع أحمد المقراني ومحمد بن عبد السلام المقراني، ومال الأمير في الأخير إلى تعيين محمد بن عبد السلام العايب كخليفة له بمجانة. وربما هذا الاختيار من جانب الأمير مرده الصداقة القديمة التي كانت بين أحمد المقراني وأحمد باي قسنطينة،

كما كان ذلك دافع لأحمد المقراني إلى إعلان الولاء لفرنسا التي بادرت إلى تعيينه خليفة على مجانة في 30 ديسمبر 1837.

ورغم أن أحمد باي قد التجأ إلى المسيلة بعد سقوط قسنطينة 1837 عندما احتضنته قبائل اولاد دراج اكثر من اربعة اشهر إلا انه لم يحاول استغلال قدوم الأمير عبد القادر إلى المسيلة 1838، وربما مرد ذلك أنه كان يحارب ليس ليمد سلطانه بل من أجل سلطة محلية، لذلك لم يتفق أحمد باي مع الأمير الذي كان يرى فيه دعيا متطاولا على السلطة مستعملا الدين كوسيلة للوصول إلى الحكم، ومما زاد من شك أحمد باي في الأمير أن هذا الأخير قد وقع اتفاقيات مع الفرنسيين وهي معاهدة دي ميشال 1834 ومعاهدة التافنة 1837. وأعلن من جانبه بوضياف بن بوراس الذي يتمتع بنفوذ قوي ب المسيلة ولاءه للأمير عبد القادر، -وان كان لوقت قصير - وقام الأمير بتعيينه آغا على منطقة المسيلة.و كلف الأمير كل من بوضياف وخليفته ب المسيلة البركاني. بمهمة إلى الزيبان مع تعزيزهما بوحدات من الجيش.

لم تستقر القيادة التي عينها الأمير على المسيلة فترة طويلة بحيث حصل الخلاف بعد رحيل الأمير نحو عين ماضي 1838 عندما قام البركاني بعزل بوضياف وتعيين مكانه حامد بن عمرسنة 1838، ولعل هذا التغيير كان السبب في إطلاق سراح العدو القديم لبوضياف الشيخ عبد الله بن بوعزيز ويكون هذا الحدث عاملا هاما في انشقاق عرش أولاد ماضي في المسيلةإلى صفين صف بوضياف *و صف بوعزيز. وقد سهلت مثل هذه الانقسامات والخلافات من مهمة القوات الفرنسية التي وجدت سندا لها من جهات متعددة من الأعيان.

كما تجدد الصراع بين خليفتي الأمير في المسيلة "بوضياف" وحامد بن عمر وكتب كل واحد إلى الأمير طالبا عزل الأخر .لذلك أرسل الأمير أخاه الحاج مصطفى رفقة الحاج بلخروبي الى المسيلة لتسوية الوضع وقاما بعزل حامد بن عمر وقاما بتعيين لحسن بن عزوز سنة 1838 الذي شغل منصب خليفة الزيبان وهو من مقدمى الطريقة الرحمانية.

وكان للصراع القائم بين أبناء المقراني على خلافة مجانة، أثره على منطقة المسيلة، التي احتضنت أحمد المقراني وحاربت إلى جانبه ضد عبد السلام بفضل دور مشيخة أولاد ماضي ومشيخة أولاد نجاع. كما كان دور عبد السلام المقراني في مواصلة الحرب ضد فرنسا وحليفها أخوه أحمد في تغيير الأمير عبد القادر لموقفه ويعيد عبد السلام المقراني على خلافة مجانة .بعد أن قامت فرنسا بإصدار قرار 22 أفريل 1837 م القاضي بتعويض آغا لعرب وإلحاق مهامه الخاصة بشؤون الأهالي لقيادة الجيش لمدة عامين وفق سياسية بوجو Budjeaux اللامركزية (بتأسيس المكاتب العربية بقرار 1 فيفري 1844).

في جانفي 1840 تم تعويض فرحات بن سعيد ببوعزيز بن قانة كخليفة على الصحارى وكانت من ضمن مقاطعاتها المسيلة الشرقية، إلا أن بن قانة لم يستطع إخضاعها للسلطة الفرنسية مما جعل هذه الأخيرة تستحدث قيادة المسيلة سنة 1844. ووضعت على رأسها سي محمد بن سي محمد الحاج، وهو شخصية دينية معروفة.

احتلال مدينة المسيلة 1841

ما تزال الذاكرة الجماعية للمنطقة تحفظ معلومات، تحمل في طياتها جوانب الخطا، ليس لانها لا تعمد على حقائق مكتوبة، بقدر اعتمادها على موروث من الصراعات التقليدية منذ فترة الاتراك، ونظن ان الوضع الذي ساد خلال احتلال مدينة المسيلة لم يختلف كثيرا عن غيرها من مناطق الجزائر، وما ذكر عن موقف فئة الكراغلة في مدن كتلمسان والعاصمة لم يكن مماثلا بمدينة المسيلة، لان النسق الاجتماعي يختلف بينهما كثيرا، ولان هذه الفئة لم تعد تحس بغربتها عن اهل المدينة كما كان الحال في غيرها، ولان من ابقتهم فرنسا على قيادة المسيلة بعد الاحتلال كانوا من الكراغلة ايظا .

لقد بدأت أولى طلعات الجيش الفرنسي بمنطقة المسيلة منذ بداية 1840، بحيث أشار الجنرال دي نيقري De Négrier في عدة تقارير مؤرخة في 10و 14 مارس1840 أن أحد ضباط الأمير عبد القادر قد قام بعدة هجومات على مركز المسيلة/ المسيلة التي كانت محل تجاذب بين عائلة بن قانة ولحسن بن عزوز عامل الأمير عليها، وقد كانت الحملة الأساسية التي أدخلت المسيلة تحت الاحتلال الفرنسي والتي قادها الجنرال دي نيقري Denegrier تهدف من بين أهدافها في إقليم المسيلة، أن تكون تحت قيادة أحمد المقراني ومحطة لتوسيع دائرة الاحتلال نحو الجنوب، لذلك قام الجنرال سيلاق Silegue بإعطاء الأوامر للجيش الفرنسي بالتوجه نحو المسيلة بداية الربيع من عام 1840 من أجل تدعيم السكان، فكانت الحملة الأولى قد توجهت الحملة الفرنسية الأولى من مدينة سطيف يوم 5 فيفري نحو مدينة المسيلة وأدت إلى تراجع عامل الأمير القايد بن عمار نحو الجبال وقام الجنرال سيلاق Silegue بتعيين قايد جديد على المدينة مدعما بـــ

2000وحدة ذخيرة و50 بندقية، كما نصب عروش كل من المطارفة والسوامع وأولاد دراج حول المدينة .

أما الحملة الفرنسية الثانية انطلقت في 18 فبفري من ذات السنة السابقة الذكر وخلالها حاول القايد بن عمار مداهمة القوة الفرنسية إلا أنه فشل في ذلك، وتم تدعيم مدينة المسيلة من قبل الجيش الفرنسي ب50 بندقية وألف (1000)وحدة ذخيرة كما أمر الجنرال دي نيقري de Negrier بتكوين وحدة حراسة على مدينة المسيلة من 200 رجل تم تقسيمها إلى كتيبتين بقيادة أربعة شواش .

تعتبر معركة مرجة الزرقة التي وقعت غرب سطيف في 29 ماي 1840، بقيادة الجنرال دنيقري Denegrier، الذي كان قد أرسى المحلة العسكرية بالحروش بعد احتلال مدينة قسنطينة 1837من أجل ضمان طرق المواصلات وتهيئة الظروف لإقامة مستوطنات للمعمرين .هذه المعركة الهامة أتاحت لقوات الاحتلال بالتوغل في منطقة المسيلة، وقد انطلقت الحملة العسكرية الكبرى نحو المسيلة بقيادة الجنرال دي نيقري من مدينة قسنطينة نحو المسيلة في 29 ماي 1840 ودعمت في طريقها بقوم أحمد المقراني بنواحي برج بوعريريج، كان هدف الحملة إخضاع كل المناطق التي كانت تحت سلطة المقرانيين قبل الاحتلال وإقامة مواقع متقدمة للتوسع نحو الجنوب الجزائري ، واستغلال الخلافات بين القيادات التقليدية للتحكم في إقليم المسيلة الواسع والهام بحكم مجاله الجغرافي الذي يمثل مجال احتكاك القبائل الصحراوية والتليّة. وبمدينة المسيلة التي كانت تمثل مركز المسيلة كان الحاج مصطفى موكل من قبل الأمير عبد القادر بتنظيم المقاومة بمنطقة المسيلة، حيث عمل على جمع الأعيان والناس خلال مدة إقامته بالمدينة التي دامت سنة بين

1839-1840، إلى جانب عامل الأمير بالمدينة لحسن بن عزوز الذي حاول من جانبه صد هجومات الجيش الفرنسي بمناطق جبال المعاضيد وعياض، إلا أن تقدم الجيش الفرنسي نحو المسيلة قد دفع الحاج مصطفى الى نقل معسكره الى منطقة الديس التي تبعد عن مدينة بوسعادة بعشر كيلومترات الى الشمال، وفي هذه الفترة تمركزت قوات بلخروبي وبوضياف بقرية الشلال التي تتوسط طريق بوسعادة المسيلة. مما سهل تقدم القوات الفرنسية نحو المسيلة ثم بوسعادة كما سهلت الخلافات والدسائس التي حلت بين قياداتها(خاصة بين بوضياف وحامد بن عمر) وانقسام أهلها بين هذه القيادات مسألة تقدم الاحتلال الفرنسي للحضنة الغربية، فقد اتهم بلخروبي لحسن بن عزوز بالتواطؤ مع الفرنسيين ثم قام بالتحالف مع عدوه حامد بن عمر ضد لحسن بن عزوز، كما أن بوضياف فر بقوته الى وادي الشعير. قامت فرنسا بتأسيس دائرة سطيف في 1 أكتوبر 1840 لتكون قاعدة انطلاق ومركزا إداري وعسكري لتوسيع دائرة الاحتلال نحو المناطق الجنوبية. من جهة أخرى حاول الجنرال نيقري DE NEGRIER عزل جيش الأمير عبد القادر عن منطقة المسيلة من خلال دعمه للحليف الجديد ابن قانة الذي كان في صراع مع جيش خليفة الأمير بالمنطقة فرحات بن سعيد .

ولم تكن لخليفة الأمير لحسن بن عزوز بالمسيلة كفاءة كبيرة في إدارة الحرب مع النقص في السلاح الذي لم يزد عن مدفعين ومائة جندي تم وضعهم تحت إمارته منذ تنصيبه من قبل البركاني عامل الأمير بمنطقة بوسعادة سنة 1838. غير أن الشيء الذي يثير الغرابة في عملية الاحتلال، هو سهولة دخول الفرنسيين وموقف المشيخات الذي يبدو أنه مال تحت تأثير دور بوضياف بن بوراس وابنه الصخري وأحمد المقراني إلى قبول الأمر

الواقع. في حين التجأ لحسن بن عزوز إلى أعالي جبال المعاضيد إلى أن تم القبض عليه من قبل السكان وتسليمه إلى أحمد المقراني ليسلمه بدوره إلى فرنسا. وهذا التصرف من الأهالي اتجاه أحد منظمي مقاومة الأمير عبد القادر كان يخفي عاملين، إحداهما كان عزل الأمير للحسن بن عزوز وتقلص مكانته أمام الأهالي، والثاني وهو المهم والذي يتجلي في هذا التحول نحو مساعدتهم للأعيان النافدين، من المقراني وآل بوضياف ومن خلالهما السيد الجديد على حساب زعماء المقاومة، ولا يمكن للباحث في مثل هذه الظروف التي أصابت أقاليم الجزائر المختلفة أن يحيد عما تركته الكتابات التاريخية المتعلقة بخلفيات الاحتلال. كما يتجلي مظهر السلبية لدي المشايخ وأصحاب الزوايا المحلية التي لم تستطع أن توظف تأثيرها الديني على الجماعة المحلية وقد نعزو ذلك إلى التخلف الفكري الذي لم يساهم في استغلال القيم الدينية لدفع الحماس الشعبي الديني لمقاومة المحتل والذي تأخر في بعض الأحيان، كما حصل لمقاومة الشيخ المرابط ابن شبيرة ببوسعادة 1849 .

حاول حامد بن عمر بعد عودته من حملة الزيبان، استرجاع مدينة المسيلة وجمع الأنصار من قبائل المسيلة غير أنه لم يفلح واتجه بعدها الى ونوغة، مقر زمالة الأمير قبل انتقاله الى عين ماضي وكانت هذه المحاولة الفاشلة من حامد بن عمر سببا في ضعف موقف قبائل المسيلة، التي مالت الى الأمر الواقع وانضمت الى خليفة مجانة أحمد بن محمد المقراني.

لقد كانت حملة الجنرال دي نيقريDe negrier على مدينة المسيلة عاملا هاما في دعم فرنسا لسلطة المقراني في إقليم المسيلة وتعيينه على قيادة المسيلة خصوصا بعد قدوم الجنرال بيدوا Bedeau ، إليها سنة 1845،

فبعد أن تمكنت القوة الفرنسية دخول المدينة في 11 جوان 1841 عملت فرنسا على استحداث مركز أو برج عسكري بالمدينة في الجهة اليمنى لوادي القصب، مدعما بحراسة قوم المقراني بوضياف بن بوراس، الذي وكلت إليه قيادة المدينة ومنطقتها باعتباره أحد أعضاء الوفد الأهلي لسنة 1831 .، وكان له ولعائلته دورٌ بارز في إحلال الأمن والاستقرار لفرنسا بمنطقة المسيلة ومدينة المسيلة خاصة، ومناطق أخري كبسكرة ولوطاية والأوراس والعلمة والبيبان.

لم يستقر الوضع طويلا للفرنسيين بمنطقة المسيلة، ولم يظن الفرنسيون ان تعود المقاومات الشعبية من جديد، فقد انتفض السكان في جهات عديدة منها، بين سنوات 1843 –1845 خصوصا بمنطقة جبال المعاضيد وأولاد ماضي، حيث استدعت هذه الانتفاضات المحلية استنجاد فرنسا بقواتها المتواجدة بقسنطينة بقيادة الجنرال لوفا سور levasseur والجنرال بيدو Bedeaux الذي استطاع دخول مدينة المسيلة في جوان 1845. في حين تلقت الفرقة الفرنسية المرابطة بمدينة المسيلة بقيادة الكولونيل إيراد Eyrd الأوامر الصارمة بعدم الاستسلام للمقاومة الشعبية ونصحتهم بعدم الخروج إلى بساتين الأهالي المحيطة بالمدينة، أو جني ثمارها. والجدير بالذكر أن عدد الأوروبيين المتواجدين بمدينة المسيلة في هذه السنة لم يزد عن 9 أفراد .وفي هذا الوقت تراجعت فيه مقاومة جيش الأمير عبد القادر بقيادة الحاج مصطفى عن منطقة المسيلة بينما كانت المناطق الشرقية في حالة مقاومة تحت راية أحمد باي قسنطينة الذي كان في تنقل بمنطقة المسيلة ووالأوراس بحثا عن دعم الأهالي خصوصا بعد سقوط مدينة قسنطينة 1837، وقد انتقل أحمد باي إلى أناس عرش أولاد دراج الذين طلبوا منه الدعم ضد تصرفات خليفة

الأمير عبد القادر بالمنطقة محمد الصغير بن أحمد بلحاج في أوت 1840 .ومن المعلوم أن أول عرش احتمى به أحمد باي بعد سقوط قسنطينة هو عرش أولاد دراج ثم يليه عرش أولاد سلطان، غير أن الظروف المستجدة بالزيبان بعد تحول الناس عن ابن قانة الذي تمادي في استخلاص الضرائب من السكان جعل أحمد باي يعتصم بجبال أولاد سلطان مدة من الزمن بعد أن قضى مدة 4 أشهر بمنطقة أولاد دراج .

رغم قلة الجيش الفرنسي ب المسيلة إلا أن المقاومات الشعبية لم يسمح ضعف التنسيق فيما بينها محو تباين الاطماع الشخصية في قلب ميزان المقاومة لها، وكانت سنة 1847 سنة تحول بالنسبة لمقاومة الإحتلال بحيث قدمت زمالة الأمير في وادي القصب التي كانت تحت قيادة بلقاسم أوقاسي طاعتها لفرنسا في 10 أفريل 1847، كما فشلت قوات الثائر بومعزة في نفس الشهر 13 أفريل في التصدي للجنرال سانت أرنو SAINT .ARNAUD

وفي خضم هذه التطورات لم تستطع قيادة الأمير بإقليم ونوغة شمال غرب المسيلة.بقيادة خليفة الأمير عبد القادر. سي أحمد بن عمار الصمود وقدم ولائه لفرنسا سنة 1847 وهذا ما دفع فرنسا إلى تنصليب زمالة من الحرس على وادي القصب في موقع المجاز على بعد 30كم شمال المسيلة حيث قام القبطان بيشو Capitaine Pechot مع الأغا بلقاسم أوقاس المتعاون الجديد مع فرنسا بتنصيبها في جوان 1851 وتنظيمها إلى منطقتين بعد قرار 18 جويلية 1851 . وتكونت قيادتين هما:

1- في الشرق قيادة وادي القصب تحت إمارة على محمد الحسين قائد الزمالة.

2- في الغرب قيادة تحت إمارة محمد أمزيان بن إسماعيل.

وقد ضمت قيادة وادي القصب عدة مناطق ألحقت فيما بعد إلى قيادات المسيلة الغربية وهي ملوزة –بني يلمان –الخرابشة – الدريعات – لقمان .

تمكنت فرنسا خلال هذه الفترة بسط سيطرتها على أجزاء واسعة من المسيلة خاصة بعد القضاء على ثورة الزعاطشة 1849بالزيبان، ومقاومةابن شبيرة ببوسعادة وكانت عملية استرجاعها عاملا أساسيا في تكوين مركز بوسعادة 1849 حيث ألحقت منطقة المسيلة الجنوبية والشرقية إليه وتم إخضاع جميع قياد المنطقة مباشرة إلى حاكم المركز الفرنسي الجديد . بينما ألحقت مدينة المسيلة لمحيط البرج التابع لدائرة سطيف منذ 28 جوان 1856 .من الجانب الأخر شهدت فرنسا سقوط عرش لويس فيليب بعد ثورة 1848 مما سمح بارتفاع الهجرة نحو الجزائر، بحث ارتفع عدد المهاجرين من 11507 أوربي سنة 1846 إلى 24672 أوربي سنة 1850 إلى33939 سنة1856 وكان ذلك في إطار عملية تشجيع الاستيطان وتغليب العنصر الأوربي بالجزائ. غير أن ذلك لم يتم بالشكل الذي تمنته قيادة فرنسا بالمسيلة بسبب ظروف الأمن والانتفاضات الشعبية، لذلك لم يتعدّ العنصر الأوربي بها الـ 10 أفراد سنة 1860 وكلهم من العسكريين.

توسع المقاومات الشعبية بمنطقة المسيلة

بين 1840-1850

الكتابات الأجنبية التي تناولت تاريخ الحملة العسكرية على المسيلة تركز على موقف السكان من الاحتلال لمنطقة المسيلة الغربية ومدنها الأساسية بوسعادة والمسيلة (قضية الضيافة) غير أن المقاومات الشعبية التي بدأت منذ حلول الاحتلال لها دلالات عديدة يمكن أدراجها في ذلك البعد الوطني المتأصل لسكان المنطقة قبل أن يتحدد مفهوم الوطن بالحدود الحالية.

يمكن اعتبار سنة 1840 هي بداية توسع دائرة الاحتلال الفرنسي لمنطقة المسيلة ومحيط بوسعادة، بحيث نجحت حملة الجنرال دي نيقريي في إخضاع المسيلة وجعلها ضمن إدارة محيط برج بوعريريج العسكري بعد فشل قائد المقاومة لحسن بن عزوز في حمايتها وكان ذلك في 11 جوان1841.

أما منطقة بوسعادة فأولى محاولات الوصول إليها يجعلها الضابط البارون اوكابتانbaron Aucapitaine بداية 1843 على إثر تراجع قوات الحاج مصطفى بن محي الدين ورفيقه الحاج الخروبي الى منطقة الديس (قرية أولاد سيدي إبراهيم) لترقب قدوم الفرنسيين هناك.

كانت فرنسا تريد من مدينة بوسعادة أن تتحول الى مركز عسكري ومرتكزا لبسط سياستها التوسعية نحو الجنوب الجزائري لذلك تكررت محاولات احتلالها من طرف مجموعة من القادة العسكريين مثل:

-حملة دي مونتيل 1846 التي كانت في إطار متابعة جيش الأمير عبد القادر بونوغة والتي عسكر خلالها الجيش الفرنسي في حاسي الذيبان (عرش أولاد فرج).

- محاولة الجنرال هيربيون Herbillonاختراق المدينة بقوة عسكرية 1847 .

- ومحاولة الكولونيل دوبراك Dubreckفي صيف 1848 وتعتبر سنة 1849 سنة حاسمة في مقاومة قبائل ناحية بوسعادة للاحتلال الفرنسي من خلال معركة المطاريح التي تمثل جانب هام من المقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي.

المقاومة الشعبية بجنوب المسيلة

_معركة المطاريح 1849.

إذا كانت أحداث هذه المعركة قد حصرتها الكتابات الفرنسية كأحداث محلية مرتبطة بعصيان لبعض وجهاء المنطقة، فإن بوادر هذه المقاومة التي اتصفت بالبعد الوطني، والذي ظهر في سرعة انتقال تطوراتها إلى مناطق محيطة ب المسيلة العربية مثل أولاد نائل والأوراس دليلا على عمقها الشعبي والوطني والذي كان دائما أحد المقومات الهامة في تواصل النضال والكفاح الوطني.

وعلى الرغم من النظرة السطحية التي عالج بها الكتاب الفرنسيون ثورات عقد الخمسينات من القرن التاسع عشر حيث يطلق عليها بمرحلة التهدئة فإن المقاومة الشعبية التي عرفتها منطقة الزعاطشة والتي كانت المسيلة بكاملها شرقية وغربية جزء منها قد أصبحت في نظرهم مجرد مناوشات يقوم بها دراويش ومشاغبون.ولذلك يعتبرون أن الجيش الفرنسي كان في هذه المرحلة يقوم بعمليات التأديب وتلقين الدروس القاسية للثوار أو المتشيطنين أمثال الشيخ بوزيان. وهذا ما نلمسه في كتابات كل من الجنرال هيربيون في: كتابه حصارالزعاطشة وكذا الجنرال بارالBarrelle deفي مذكراته حول معركة الزعاطشة .

تتجلى أهمية هذه المعركة وأحداثها المختلفة في عمقها الوطني نظرا لأنها اندلعت امتدادا لمقاومة أهل الزعاطشة1849 بالواحات واستجابة لزعيمها الشيخ بوزيان كما ارتبطت بانتشارها أخبارعودة الأمير عبد القادر لتنظيم المقاومة بالمنطقة وأخبار قدوم السلطان من المغرب من بلاد السوس على رأس جيش المطاردة الفرنسيين – وأخبار عن جرائم فرنسا في واحات بسكرة، ومن جهة ثانية كانت عوامل الثورة المرتبطة بالوجود الأجنبي وتداعيات إجراءاته العقابية على الأهالي كافية لاندلاعها.

بدأت بوادر تنظيم الثورة منذ تمرد أولاد سحنون ب المسيلة الشرقية 1849 ومهاجمة طرق المسيلة وقوافلها خصوصا قوافل البدو الرحل العشابة. وقعت معركة المطاريح بقرية العليق قرب بوسعادة في ربيع 1849 وانتشرت في محيط بوسعادة حيث وصلت الى عين الريش، لمليلحة أولاد سعد، السويقات، أولاد بلقاسم، عين الملح، عين أغراب، أولاد جابر، أولاد مردف، وباقي المنطقة. جهزت فرنسا قوة عسكرية للقضاء على الثورة بقيادة لادوميرولت في ماي 1849 مكونة من كتبتين من المشاة وفصائل من الخيالة وفرقة من قوم المقراني إضافة الى فرقة من قوم الآغا يحي بن عيسى قايد بالمدية سابقا. حاولت هذه القوة التقدم إلى عروش أولاد محمد لمبارك، وأولاد سعد والسويقات التي تحصنت بجبل بوكحيل واستطاعت الجيوش الفرنسية مطاردة الثوار في كل من عين الريش وعين الملح وعين أغراب في جوان 1849.

من جهة أخرى ثارت قبائل أولاد جابر، أولاد مردف وتحصنت بمنطقة استراتيجية كثيرة الأحراش تدعى المطاريح حيث الجبال العالية مثل جبل فرنينة، جبل الزرقاء جبل بولمعة على بعد7 كم جنوب شرق قرية

العليق ودارت المعركة على جبهة يزيد طولها عن 2كلم قاوم خلالها الثوار ببسالة وألحقوا هزائم بالجيش الفرنسي حيث قتل خلال هذه المعركة الضابط الفرنسي قابريون في المكان الذي يحمل اسم ضاية القبطان*.

لقد كان لمعركة المطاريح صدى كبير في محيط بوسعادة خصوصا لدى العروش المترددة وكانت من عوامل اندلاع مقاومات عديدة رغم انتصار الفرنسيين فيها المؤقت، مثل مقاومة أولاد سعد ومقاومة الشريف محمد بن شبيرة الآتية الذكر.

حققت معركة المطاريح نتائج ايجابية على الجيش الفرنسي بحيث أعلنت اعراش المنطقة الخضوع لفرنسا ودخل عرش اولاد فرج في طاعة فرنسا ودفعوا إلى الأغا يحي بن عيسى الموالى لفرنسا جواد القيادة مع غرامة مالية كما دفعوا رهائن الى البايلك 2 وكانت من عوامل تحويل مدينة بوسعادة الى مكتب عربي.

مقاومة الشريف بن شبيرة بجنوب المسيلة وبوسعادة 1849

كانت سنة 1849 صعبة على الاحتلال الفرنسي من جهات عديدة، وقد مثلت منطقة المسيلة خلالها جانب الدعم القوي لانتفاضة الزعاطشة بالزيبان بقيادة بوزيان الذي ربطته علاقات مع رموز المنطقة مثل الشيخ الشريف بن شبيرة، كما كان محيط الحضنمة الجغرافي ممر انتقال القوافل العسكرية الفرنسية نحو الزيبان والصحراء، مما زاد في عمليات الاحتكاك الدائم بين قبائل المسيلة وثوارها والجيش الفرنسي.وبعيدا عن دوافع الثورة الوطنية والدينية فقد شهدت المسيلة خلال هذه السنة أوبئة وأمراض وزمن ضنك كبير في نقص المعيشة وتعسف الجيش الفرنسي في استغلال ثروات الأهالي على قلتها.

أخذت هذه الثورة طابع جهادي بعد عودة الشريف محمد بن شبيرة من مكة وعلاقته بأنصار الأمير عبد القادر مثل حامد بن عمر من ورقلة وامتدت تأثيراته إلى حدود أولاد نايل وعين الريش وقد مثلت خطورة كبيرة على الجيش الفرنسي الذي استندت قيادته بفرق من سبايس بسطيف وقوم المقراني وقوات النواحي المجاورة.

ينتمي الشريف محمد بن شبيرة إلى عائلة جمعت بين العلم والجهاد وإلى عرش أولاد سيدي سليمان الذي تنحدر أصوله إلى الأشراف الادارسة الآتين من الساقية الحمراء حسب الر وايات الشفوية والمكتوبة. .

عرف عن ابن شبيرة بعلمه وحفظه للقران ومكانته الاجتماعية بين أهالي بوسعادة ومنطقة وادي العليق، ثم تحول بقدوم الفرنسيين الى داعية للمقاومة والجهاد، وبدأ في التحضير للثورة من خلال التجمعات التي يعقدها مع الأنصار ومراسلاته مع زعيم ثورة الزعاطشة الشيخ بوزيان. وخلال شهر أوت 1849 عقد الشيخ ابن شبيرة اجتماع كبير عند شرفة الهامل لإمداد ثورة الزعاطشة بالأسلحة والمؤن.

يعتبر اجتماع جبل كردادة الانطلاقة الفعلية لثورة الشيخ ابن شبيرة والذي حضرته قبائل المنطقة ثم أعلنت الثورة نهار يوم 19 أكتوبر 1849، لقد سبقت الثورة تداعيات محلية خلفها الوجود الاستعماري بالمنطقة، و يمكن حصر أسبابها في العناصر التالية/

1- تأثير أحداث ثورة الزعاطشة التي بلغت أخبارها كل المنطقة وعمت رسائل زعيمها كل المسيلة وأولاد نايل وأمدها سكان المنطقة بالمتطوعين، الذين هاجما قوات الاحتلال المارة عبر المسيلة .

2-أحداث معركة المطاريح وما ترتب عن جولة –لادوميرولت- في جبل مساعد والتي بقيت أثارها عالقة بالا ذهان حتى مابعد احتلال بوسعادة

3-نشاط الشيخ محمد بن شبيرة – وتنبه السلطات الاستعمارية لما يقوم به وقد أدى ذلك الى تعين وكيل من بيت مال للنظر في أملاك الحبوس وبايلك ومؤسسات الأخوان.

وقد توصل هذا الوكيل المسمى ابن النوي عمر الى تهديد ابن شبيرة بالقبض عليه مستعملا في ذلك تأشيرة المكتب العربي لبرج بوعريريج الذي

كانت تخضع له قيادة بوسعادة والمسيلة قبل استحداث دائرة بوسعادة سنة 1849.

4-الإشاعات التي كانت تدور حول تحول مدينة بوسعادة إلى مركز عسكري للقوات الفرنسية.

5-تشجيع تحرك عروش أولاد عدي بشمال المسيلة وأولاد فرج بقتل القيادات التي عينتها فرنسا والتي تمادت في استغلال أمر الضيافة للجيش الفرنسي مثل قتل شيخ أولاد فرج سليمان بلباجي الذي طلب من العرش تقديم عدد من الخرفان للجيش الفرنسي وقت عبوره بأراضي العرش.

ـتطورات الثورة:

قبل اندلاع الثورة بأيام وخلال الأيام الأولى من شهر أكتوبر مرت بمدينة بوسعادة قوات الكولونيل دوبرالDe Barelle متوجهة نحو الزعاطشة، حيث تركت بالمدينة مستودع مؤونة مع 170 جندي تحت قيادة الملازم لابييرLapierre التابع للفيلق 38 ونائب شؤون العرب لبرج بوعريريج رفقة الطبيب بريجو Perrigot كحماية مؤقتة للمدينة، ولم يكن الكولونيل على علم بما يجري من تحضير سري للثورة .

وقد صادف مرور القوة العسكرية مجيء الشيخ ابن شبيرة أحمد أخ الشيخ محمد ومعه أخبار انهزام الفرنسيين بالزعاطشة، فتشجع السكان وأقاموا اجتماع في 11 أكتوبر 1849 اتخذت خلاله تدابير إعلان الثورة بعد انضمام أعراش كل من اولاد جابر واولاد مردف واولاد عمر فرج واولاد

الفكـرون وأولاد بولفعـة وأولاد بقـيرة وأولاد النـايلي مـن اولاد خالـد والحوامد واولاد سيدي إبراهيم والشرفة .

وعند اندلاع الثورة في 19 أكتوبر 1849 كان الهجوم على موقع تمركز القوات الفرنسية بالموامين بالقرب من جامع سيدي عطيـة بمدينـة بوسـعادة، ولم تستطع القوة الفرنسية من حماية نفسها إلا بعد وصول قوات قـوم تنتمـي الى 38و3 من فيالق إفريقيا. إلى جانب دور ابن القمري وفرقة اولاد ماضـي المكونة من 250فارس انتشرت أخبار الثورة إلى أنحاء المسيلة وإلى قيادة محيط برج بوعريريج حيث يوجد النقيب بان Pein الحاكم المفوض بمنطقة المسـيلة الذي أمر بتجهيز حملة عسكرية قوامها 112 جنـدي انطلـق بهـا مـن الـبرج ليصل مدينة المسيلة حيث حاول استمالة عرش أولاد ماضـي للانضـمام إلى القوة العسـكرية المتجهـة نحـو بوسـعادة، إلا أن أولاد ماضـي تمـردوا عليـه وحاولوا مهاجمته وأدى بالقيادة الفرنسية الموجودة بالمسيلة إلى مغادرة المدينة، وفي مدينة بوسعادة ظهر تخوف كبير لقائـد القـوة المحيـة بعـرش المـامين مـن انقلاب العرش عليه بعد أخبار أولاد ماضي .

وصلت قوات النقيب بان Pein بوسعادة التي دخلها من بـاب الجزائـر بصـعوبة وبمسـاعدة ابـن القمـري، وتـدعمت القـوات الفرنسـية في اليـوم السـادس بقـوم المقرانـي بعـدد400 فـارس رفقـة الضـابط الفرنسـي بـوبريترلBeaupretel، كمـا وصـلت في اليـوم المـوالي قـوة أخـرى بقيـادة صورات saurret.

وخلال هذه الأيام كانت المعارك قوية بالزعاطشة وكانت فرنسا تبحث عن انتصار قوي لذلك جهزت قوات عديدة مرت عبر المسيلة، التي كانـت

تشهد بدورها أحداث مماثلة، ومن بين القوات الفرنسية التي كانت لها مساهمة في إخماد ثورة ابن شبيرة حملة الكولونيل كانروبيرCanrobertالمكونة من 1500 فارس القادمة من سور الغزلان وحملة الكولونيل دوماس Daumasالمكونة من 1400 فارس والتي وصلت إلى بوسعادة يوم 13/ 10/ 1849 .

أدى وصول هذه القوات الضخمة إلى تردد بعض الاعراش من مواصلة الثورة ودخل الكولونيل دوما* المدينة بعد قصف وقتل في 13/ 11/ 1849 حيث فرض على أهلها ضريبة حرب قوامها 8000 فرنك دفعت بضاعات محلية ثم واصل ملاحقة الثوار الذين تحصنوا بجبل مساعد إلى غاية استسلامهم يوم 30/ 11/ 1849، وهو اليوم الذي وصلت فيه أخبار انهزام ثورة الزعاطشة، وبهذه الأحداث دخلت المسيلة بكاملها تحت السيطرة الفرنسية التي تضعها ضمن إدارة جديدة باستحداث المكتب العربي لبوسعادة مكان إدارة محيط برج بوعريريج الذي استمر في إدارة الأجزاء الشمالية للحضنة الغربية (أي شمال مدينة المسيلة والمناطق الجبلية للحضنة) .

سكان مدينة المسيلة خلال الاحتلال الفرنسي

تعد دراسة أصول الأعراش الحضنية من الأهمية بمكان، نظرا لأهمية هذه المنطقة في مختلف العصور، هذه الأهمية التي جعلت أمواجا من الهجرات السكانية تتوافد عليها، ورغم اختلاط الأنساب بسبب المصاهرات، وسياسة فرض الألقاب الاستعمارية، إلا أن الرواية الشفهية التي اعتمدتها عدد من الكتابات الفرنسية على الخصوص ظلت تحتفظ بالكثير من الأخبار المتعلقة بأصول الأعراش.

وقد دلت المصادر المكتوبة القليلة والتي اغلبها فرنسية والشفوية أن عددا من الفرق الوافدة قد امتزجت مع القبائل الحضنية الكبرى امتزاجا سياسيا حافظت فيه على ذكريات قدومها للمنطقة، كما تعددت المناطق التي قدمت منها الفرق والأعراش التي عمرت المسيلة .

من الثابت أن سكان منطقة المسيلة تشكلوا عبر قرون من الزمن من سلالات مختلفة وأجناس متباينة انتقلت ضمن موجات بشرية وهجرات عديدة في فترات تاريخية يتعذر حصرها كاملة أحيانا، وعرفوا بأسماء عديدة، كالليبيين والجيتول، البربر الزناتيين، الأمازيغ وهي تسميات حافظت على خصوصية السكان الأصليين ودلت في نفس الوقت على عدم استطاعة العناصر الدخيلة مثل الرومان والوندال الانصهار معهم.

وسكنت منطقة المسيلة والهضاب العليا عناصر الجيتول Gétules التي استمرت في التنقل وفق الظروف المناخية والطبيعية في الوقت الذي استقرت فيه عناصر الليبيين لأقاليم الشمالية.

كما تحولت خلال الحكم الروماني مناطق السهوب بما فيها المسيلة إلى ملجأ لشعوب البربر الفارين من الاضطهاد الروماني، الذي حاصرهم بخطوط الدفاع "اللمس الروماني".

وخلال الفتح الإسلامي، وقبل تأسيس مدينة المسيلة في العهد الفاطمي315ه/ 927م، كانت تسكن المنطقة قبائل بربرية من بنو كملان وبنو برزال التي انتشرت في الأراضي السهلية، في الوقت الذي سكنت فيه قبائل عجيسة المناطق الجبلية حول جبال المعاضيد وكيانة" .

وكان للأحداث التاريخية والصراعات المذهبية التي شهدنها المنطقة خلال حروب الخوارج ومن بعدها النزاعات الزيرية الحمادية، وما تلى ذلك من ظهور المدن الجديدة، كأشير والقلعة، دور في انتشار السكان وتنقلهم في اتجاهات مختلفة، كانت من بينها منطقة المسيلة التي وفدت إليها جماعات مختلفة من أصول عربية كونت عروشها الهامة.

وكانت بداية تشكيل هذه العروش منذ النصف الثاني للقرن 11 اثر الزحف الهلالي الذي دفع بأغلبية السكان المحليين إما إلى الاندماج بالعرب الهلالية، ومن صعب عليهم الانصهار فروا والتجؤا بالجبال حيث حافظوا على هويتهم لمدة من الزمن، قبل أن يعربوا لغويا على الأقل.

قد تكون مسالة تحديد انساب العروش من الأمور الصعبة لأنها تصدم الكتابات التاريخية المدونة ما رسخ في ذاكرة الاعراش أحيانا.

سكان منطقة المسيلة قبل الاحتلال الفرنسي

إلى غاية الهجرة الهلالية واستقرار العرب بالمنطقة ليست لدينا سوى إشارات قليلة عن سكان المسيلة من قبائل البربر انطلاقا من الوصف الذي تركه عدد من الجغرافيين العرب، وتتحدث المصادر عن وجود بقايا الروم البيزنطيين بالمنطقة كما أن فروعا من قبيلة مغراوة البربرية كانت تقيم بجبل عياض .ويقول اليعقوبي أن مقرة كانت موطن عرب بني ضبة وبعض العناصر غير العربية ويذكر البكري أنه بعد تخريب العرب الهلالية للقيروان فإن الكثير من سكانها قد انتقلوا منها للإقامة بقلعة بني حماد .

وبالنسبة للأرياف الحضنية فاليعقوبي يقدم لنا قائمة من القبائل والبطون التي هي في الغالب زناتية كزنداج وقورايزة وسدرانة في ضواحي مقرة وبنو برزال وبني كملان في المنطقة التي ستتشكل فيها المسيلة، وبني يزنيان في منطقة المسيلة أين نجد منطقة هاز ومن هذه المنطقة وحتى تيارت تمتد أراضي بني دمر وبني كسلان. ويشير ابن حوقل في القرن 4 هـ/ 10 م إلى وجود كل من العرب وقبيلة سماها برقجانة بطبنة(بريكة) ووجود البربر من بني برزال وبني زنداج وهوارة مزاتة بمدينة المسيلة وفي القرن 11 م يشير البكري إلى بني زقراح ضواحي طبنة وعجيسة وهوارة وبنو برزال بالمسيلة.

ومن المحتمل أن قبائل المسيلة قد عرفت خلال قرون سابقة اضطرابات ونزاعات لكن لا توجد معلومات كافية عن ذلك حسبما أكده الجغرافي الفرنسيس Despois ديبوا.

المؤكد أن السكان الأصليين لمنطقة المسيلة وغيره قبل دخول الفاتحين العرب كانوا من قبائل البربر المختلفة، ولم تقدم لنا الكتابات التاريخية للرحالة والجغرافيون العرب ما يفيد عن وصول هجرات جماعية عربية للمنطقة، إلا ما حملته الذاكرة عبر الزمن لأفراد جاؤا عقب الفتح واستقروا بأماكن مختلفة لم يسمح لهم عددهم بالبروز كتجمعات عربية مميزة ب المسيلة إلا بعد الهجرة الهلالية نهاية القرن الحادي عشر بعد سقوط الدولة الحمادية بالقلعة.

جلبت الهجرة الهلالية للحضنة في القرن11 م عناصر سكانية جديدة، فبعد انتصارهم على الزيرين والحماديين فإن الهلاليين هاجموا المسيلة وفروع قبيلة زناتة، وخلال عدة قرون شهدت المنطقة مجيء مجموعات جديدة في حين اختفت مجموعات أخرى، نُقلت بالقوة أو طُردت أو سافرت بمحض إرادتها أو ذابت في العناصر الجديدة، وتعاقبت على المنطقة اثر زوال الدولة الحمادية بالقلعة الهجومات الموحدية والمرينية والزيانية مما منح المنطقة عناصر سكانية جديدة ساهمت في مزج سكان المسيلة.

وقبل ذلك وخلال انتشار الوجود الهلالي ب المسيلة استطاعت قبائل الأثبج ورياح ان تبسط سلطتها على مناطق واسعة من بلاد المسيلة والزاب حيث يذكر ابن خلدون أن رياح غلبوا بقايا الأثبج فنزلوا قرى الزاب،

وأن الدولة الحمادية ببجاية أوكلت لهم جباية الضرائب بالقسم الشرقي من والأوراس وقسم كبير من بلاد الزاب الشرقية حيث كانت محلاتهم الشتوية .

وفي أواخر القرن 14 م كان النصف الغربي من الهضاب العليا القسنطينية العليا ومنطقة المسيلة محل إقامة قبائل رياح خاصة أعراب الدواودة الذين استمروا في الترحال على ظهور جمالهم ينتجعون في فصل الشتاء في الجنوب وعند قدوم فصل الربيع يعودون بمواشيهم إلى الشمال. واستطاع أولاد سباع وهم فرع من الدواودة الرياحيين (كانوا يشكلون المجموعة الغربية) توسيع سلطتهم من الزاب الغربي حتى ضواحي زواوة ونظريا حتى بجاية (كثيرا ما وصل نفوذ الدواودة في جباية الضرائب او توسعهم الى مناطق قريبة من بجاية في ظل ضعف أمراءها)وكان تحت سلطتهم ليس فقط المسيلة لكن أيضا الجبال التي تحيط بها من الشمال والشمال الشرقي مع سكانها الخليط من العرب والبربر.

وهكذا استطاعت قبيلتان بدويتان من البدو القادمين من الشرق السيطرة على التوالي على ربوع المسيلة، وسكنتا بشكل جزئي المسيلة ومراكزها، وفي زمن ابن خلدون فإن قبائل المسيلة كان بها بطون أثبجية ودوا ودية وتعربت على الأقل لغويا .

وللأسف الشديد فإن ابن خلدون هو آخر كاتب يحدد لنا وضعية قبائل المسيلة وليس لدينا معلومات عن الوضع بعده لكن من الممكن ربط صلة القبائل الحالية بتلك التي تحدث عنها ابن خلدون .

وتكوين عروش منطقة المسيلة تبدو فيه الكثير من القراءات في تحديد الأصول الحقيقية إذ القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها العرش هي الاسم،

أو ما يطلق عليه "بالنقمة" أو اسم العائلة المرتبط باسم الأب والذي يمثل العائلة الأبوية حيث يكون للأب السلطة المطلقة على أفراد العائلة كما أن الأرض لها صلة بالعرش من حيث دور العرش في تنظيم الحياة والعمل وتحديد المهام وحل المشاكل داخل العرش الذي عادة يتكون من عدة فرق تكونها مجموعة من العائلات والعرش بمنطقة منطقة المسيلة حقيقة اجتماعية وثقافية واقتصادية وأحيانا عسكرية تبدو فيها روح الجماعة هي الرابطة السائدة ترتكز على الإحساس الجماعي بالانتماء الواحد إلى الجد المشترك أو الاسم الأول للعرش، لذلك فصفات التضامن والتوازن الاجتماعي والتكامل بين عائلات وفرق العرش هي السائدة، وأولوية الجماعة على الفرد هي الهدف الأول باستثناء مدينة المسيلة التي تبقى مسالة البحث في أصول سكانها يشوبها الحذر بالنظر الى الظروف التاريخية التي مرت بها من جهة والى التزاوج الذي حصل اثر دخول الأتراك من جهة ثانية والى مسالة التعريب اللغوي الذي حصل لقبائلها البربر بعد عملية الفتح الإسلامي، فان القبائل الحضنية تنسب في اغلبها الى العنصر العربي سواء الهلالي او ألمرابطي المهاجر في عودة من المغرب الإسلامي بعد سقوط الأندلس وقبلها بقليل .\

عتبر عرشي أولاد دراج وأولاد ماضي أهم عروش المنطقة انتشارا جغرافيا وكثافة سكانية، ويمثلون خصوصية بشرية مميزة يطلق عليها الحضنية، والعرشين عاشوا وفق نمط إنتاج ملائم للوسط الطبيعي الذي جعلهم في ترحال وتنقل أو عشابة لكن في انسجام وتوازن.

إن عروش منطقة المسيلة ورغم أن عناصرها لا تنحدر من أصول واحدة، فقد التحمت بتطور عناصر العائلة من جهة وباندماج العناصر

الأجنبية عن المنطقة، التي وجدت في اسم العرش القوة التي يحميها وتعينها. في صراعها مع غيرها .

واللافت للانتباه أن معظم الروايات الشفهية والمسجلة تشير أن الأسطورة هي الغالب على الروايات الشفوية والمكتوبة لأغلب العروش و تفيدنا أن جذورهم وأصولهم تمتد إلى الساقية الحمراء من العرب الحجازيين العائدين من الساقية الحمراء ووادي الذهب أو فأس .بالمغرب الأقصى. كما تربط شخصياتهم بكرامات خارقة للعادة أحيانا تبدو فيها الدعاية والرغبة في النسب الشريف هي السائدة عن الأصول البربرية المحلية، وقد ركزت مختلف الكتابات التي هي قليلة ومن الفرنسيين إلى إعطاء هذا الجانب حيزا كبيرا في تاريخ سكان المنطقة لا يخفى النظرة الفرنسية الاستعمارية في استغلال ما يعرف بنية الحضنى في إرساء قناعات تعدت حدود معرفة الأصول إلى المعتقدات، والى جعل السكان في لبس بين ما هو شريف وماهو غير ذلك، لتكريس التباعد الاجتماعي وبث النزعة التقسيمية، القبائل الحضنية هي العناصر التي تقطن إقليم منطقة المسيلة منذ فترات قديمة قد تعود الى ما بعد الهجرة الهلالية والمحصورة بين جبال المسيلة شمالا وغربا وواد بريكة شرقا إلى جبال بوسعادة جنوبا وتمتاز بالتنقل والترحال وتربية الماشية وفي ظل غياب الكتابات المعاصرة لتشكيل العروش الحضنية اعتمدنا على ما توفر لدينا من وثائق الأرشيف الفرنسي الذي بدوره دون على أساس الذاكرة الجماعية للعرش وقد تكون هذه الوثائق في بعض الأحيان قد كتبت من مصادر غريبة عن العرش وبذلك قدمت معلومات تبقى بعيدة عن الحقيقة الكاملة .

سكان منطقة المسيلة : الحضر

تتمركز المجموعة الحضرية المستقرة في مواضع محدودة كمدينة المسيلة وقصبة بني يلمان وقلعة بني حماد وقرية الديس بأولاد سيدي إبراهيم وقرية سيدي هجرس.و هي مجموعات استقرت منذ فترة سابقة للاحتلال الفرنسي واحترفت الزراعة والتجارة والصناعات التقليدية وهي بذلك مميزة في اشياء كثيرة عن الاعراش الرحل من حيث الاستقرار والمساكن والعادات ونمط المعيشة واساليب الحياة وعلاقاتها ببعضها من جهة وباصول بعضها البربرية او الكرغلية او المرابطية.و تعتبر مدينة المسيلة اهم تجمع حضري اصبح مركز منطقة المسيلة الاداري والاقتصادي والاشعاع الثقافي .

سكان مدينة المسيلة :

تختلف التركيبة البشرية لمدينة المسيلة عن باقي المجموعات المحيطة بها، ليس من حيث أنها حضرية فحسب بل من حيث الجذور التاريخية لأصول

عائلات مدينة المسيلة، وحتى الغموض الذي يطبع البحث في نسب سكان المدينة، نلمس هذا في انعدام الكتابات التاريخية من جهة، وفي امتزاج السكان بالعنصر التركي من جهة اخرى، مما يصعب على الباحث تحديد حقيقة الأصول الاتنولوجية للسكان. لقد جمعت المدينة عناصر مختلفة من السكان ذات أصول متباينة تشكلت في إطار مجتمع متباين من حيث الانتماء والمستوى المعيشي والرتبة الاجتماعية قبل الاحتلال الفرنسي وخلاله.

وتجمع مختلف المصادر المكتوبة والشفوية على أن المدينة حافظت على تشكيلتها الاجتماعية إلى حين دخول الأتراك بداية القرن السادس عشر. بحيث يرجع تعمير المدينة إلى الفترة السابقة للقرن الثالث عشر عندما استقر بها سيدي محمد بن عبد الله المغربي المدعو سيدي بوجملين. مع أفراد عائلته على الجهة اليسرى لوادي القصب بالمسيلة .وانتشر أفراد عائلته على الأحياء : الحاج العربي والجزار بالجعافرة والشارف بحي الذي يعرف اليوم بحي الكراغلة.

لكن وجود اسم أهل المسيلة الى جانب حي الكراغلة خلال الفترة العثمانية يعطي الانطباع بالتمايز في الأصل من جهة وفي ان تعمير المدينة سابق لقدوم شخصية سيدي بوجملين من جهة ثانية، انطلاقا من وجود المدينة قبل سنة تاسيس المحمدية الفاطمية سنة 315ه/ 927م لان قدوم بوجملين جاء بعد القرن الثاني عشر ولا ندري بالضبط هل جاء في النصف الاول ام الثاني من القرن الثالث عشر رغم ان بعض المصادر التي اشارت الى علماء عصره ترجعه الى بداية القرن الخامس عشر.وتحفظ الذاكرة المحلية انتساب عدد كبير من العائلات الى الاصول القبائلية البربرية والى الاصول التركية، بينما لانجد ذكر للاصول الهلالية بالمدينة، ونستدل بهذا الكلام الى

ما ذكره الرحالة حسن الوزان عند زيارته لمدينة المسيلة خلال العهد الحفصي وقبل وصول العثمانيين اليها حيث يميز اهلها عن القبائل العربية الهلالية التي كانت تحيط بها بطبيعة المساكن والحرف والانتماء، لاننا نشك في تحول القبائل الرعوية الى حرف الزراعة التي تتطلب الاستقرار انذاك .

واستمرت المدينة منغلقة على نفسها خلال الفترة الحفصية وتأثرت بموقعها بالصراع الحفصي الزياني وما لعبته عروش المنطقة خصوصا الدوادة الرياحين في هذا الصراع والذي جعلها في فقر وبؤس كما يصفها حسن الوزان خلال القرن السادس عشر .

و من وصف الوزان نلمس خصوصية سكان مدينة المسيلة وتميزهم الاجتماعي عن ما جاورهم من القبائل التي أطلق عليها الوزان اسم الأعراب، وهذا التميز جعل الاندماج صعب واستمر كذلك الى فترات متأخرة من الاحتلال الفرنسي .ومنذ القرن 16 تشكلت بفعل انتصاب الإدارة التركية بالمدينة جماعة الكراغلة التي سكنت الجهة اليسرى للوادي بمقربة من مقام سيدي بوجملين وتزاوجت عناصرها بأهالي المدينة واستحوذت على الأراضي الخصبة والمياه والسدود التي مازالت تحمل إلى اليوم أسماءها وارتفعت كثافتهم ليصلوا إلى نصف سكان المدينة.

إلا أن ما هو موجود عند باقي العروش من ارتباط الفرق بأصولها وأسماء أجدادها، فان حال مدينة المسيلة غير ذلك، فلم يعد للاسم أو الموطن دور في تحديد أصول عائلات المدينة، فوجود تسميات مثل أهل المسيلة أو الكراغلة –وهي مرادفات للمكان والأصل في نفس الوقت، – تبدى لنا وجود انساب مختلفة لآهل المدينة الذين كانوا يتوزعون بداية

الاحتلال على أحياء تحمل اسم حي الكراغلة، وهو الحي الخاص ببقايا الكراغلة او من انتسبوا لهم، وحي أهل المسيلة وقد ضم جزء من حي خربة تليس وحي العرقوب، وحي الجعافرة الذين ينتسبون الى العريب، وحي خربة تليس، والشتاوة الذي يعتبر مزيج من الكراغلة والبربر في الجهة اليسرى لواد المسيلة، في الوقت الذي تكونت حديثا على الجهة اليمنى أحياء الكوش والظهرة قبل بناء المركز الاستيطاني منذ 1877.

فأهل مدينة المسيلة كان يطلق عليهم بالحضر أو أهل المسيلة، وكانوا عشية الاحتلال الفرنسي كما جاء في وصف كتاب دوما Daumas انهم مجمعين في الأحياء القديمة أو العتيقة بين 400-500 مسكن كانت موجودة خلال بداية الاحتلال 1845 وهم مزيج من عائلات عديدة، توافدت إلى المدينة من جهات مختلفة وفي فترات وظروف تبقى إلى حد كبير مجهولة. فعدد من العائلات جاؤوا من قلعة بني حماد، وهذا القول يدعم مسالة انتقال اهل المسيلة الى القلعة زمن بناءها وهموبذلك يعبرون عن عودة الى الاصل وأخرى من بوسعادة، نذكر منهم عائلة بوغلام أو من سيدي هجرس مثل عائلات محمدي. ولعل أسماء الأحياء تدلنا على اختلاف أصول السكان بحيث نجد حي أهل المسيلة الذين يتركزون انذاك في احياء العرقوب وخربة تليس وحي أولاد بوجملين الذي يظم عائلات جاءت مع الشيخ بوجملين مثل عائلة بن حميدوش والشارف والجزار والحاج العربي وقاضي او اولاد القاضي نسبة الى ربيب سيدي بوجملين البجاوي وعائلات اخرى وجدت بالحي بفعل التزاوج الذي حصل مع الاتراك وشكلوا عائلات كرغلية .كما أن المدينة ضمت وسطها عدد من العائلات اليهودية التي انتقلت من فاس مع فرقة أولاد معتوق وتوزعت بين بوسعادة والمسيلة منذ القرن 17 وكونت

بين 7-8 عائلات اندمجت مع العرب المسلمين .و أخذت عاداتهم وطبائع حياتهم المنتشرة رغم أنها حافضت على بعض طقوسها العقائدية دون الوصول إلى حد التصادم أو الصراع مع بقية الأهالي، رغم تحولهم إلى الجنسية الفرنسية بعد قانون كريميو 1870، ومعظم العائلات اليهودية تعيش في حي يعرف برحبة اليهود بحي الشتاوة والعرقوب إلا أن الجماعات اليهودية التي توافدت بعد بناء مركز الاستيطان الخاص بالمعمرين في الحي الجديد للمدينة، قد استقرت به واستحوذت على أهم النشاطات التجارية والصناعية وملكت العقارات داخل المدينة أما الكراغلة :وهم المنحدرون من أصول تركية وأمهات جزائرية فقد تركزوا في الحي الذي استمر يحمل اسمهم على الجهة اليسرى لوادي القصب وكونوا فئة راقية مميزة في مجتمع المدينة بما ملكوه من أراضي فحص المدينة وأراضي البايلك الخصبة، ونفوذ على بقية السكان خلال الفترة التركية. كما تركزت مجموعة منهم على الجهة السفلى للوادي وتحمل اسم حي أولاد سيدي محمود بوفالة، التي تنتسب إلى سيدي محمود بوفالة التركي الذي انتقل من أزمير وكون فرقة من الكراغلة بقيت تحمل اسمه إلى اليوم .وكثير من العائلات التي تسكن حي الشتاوة من أصول كرغلية كذلك .وقد بدأ استقرار الأتراك بمدينة المسيلة منذ النصف الثاني للقرن 16 عندما تكونت حامية عسكرية لهم بالمدينة، و تصاهر الجنود الأتراك بالعائلات المحلية واستقروا بحي خاص بهم عرف بحي الكراغلة أو رأس الحارة ثم ظهر التزاوج بين العائلات الكرغلية والعائلات العربية بحي الشتاوة وخربة تليس ثم انتقلت عائلات أخرى من الكراغلة إلى الحي الموجودة على الجهة اليمنى الوادي القصب المسمى بحي الكوش، في حين استمر حي العرقوب بعيدا عن أي اتصال أو مصاهرة للكراغلة .كما

استقرت عائلات تركية بالمدينة الرومانية القديمة زابي عندما أعادوا بناءها بالحجارة الرومانية جنود الانكشارية قبل أن تفقد قيمتها قبل الاحتلال الفرنسي الذي وجدها خرائب وعند سقوط مدينة الجزائر شهدت المسيلة أحداث عديدة، حيث بدأ الأمير عبد القادر بتنظيم المقاومة بها منذ 1838 عندما أبقى المدعو نابي المعين من قبل الأتراك كخليفة له على المسيلة والحق معه بوضياف بن بوراس وبحلول الحملة الفرنسية التي قادها الجنرال نيقري negrier كان الكراغلة الأوائل الذين مثلوا أمامه وغادروا المدينة بعد ذلك في جوان 1841 وتم تعين حرس حضري على المدينة أوكل إلى القايد شعبان بن محمود ثم خلفه الكرغلي قريشي بن سفار.

كما استقرت بالمدينة عائلات بن يلس التي تنسب إلى الانكشاري يلس الذي تولت عائلته قيادة قبيلة بن عامر بسطيف ثم انتقلت إلى زمورة لإدارتها ومنها إلى المسيلة التي استقر بها بعد أن اقترن بامرأة من نبلائها النافذين وقد عين بعد ذلك قايدا على أولاد دراج من طرف احمد باي وكانت لعائلة بن يلس مصاهرة مع بن القندوز المقراني. ومع ذلك تبقى مسالة دلالة اتنولوجيا سكان المسيلة من المسائل الشائكة والصعبة في ظل انعدام الكتابات التاريخية، و قد يصعب على الباحث تحديد مرجعياتها التي تبقى مع ذلك الذاكرة الجماعية المحلية اهم مصادرها .

3ـالأوربيون واليهود:

ظلت منطقة المسيلة منذ بداية الاحتلال الفرنسي لها 1840، بعيدة عن استقطاب المعمرين الفرنسيين الذين لم يزد عددهم بداية الاحتلال عن 9

أفراد ستة 1845، ولعل ذلك نرجعه الى مسالة حركة الاحتلال وما رافقها من مقاومات شعبية حالت دون تدفق العنصر الأوربي خاصة المدني منه، وبقيت منطقة المسيلة بين سنوات 1840-1880 تحت سلطة الإدارة العسكرية، والتي بدورها لك تكن تمثل إلا عدد قليل من الضباط وعناصر التنقيب والبحث التي حاولت في عدة تقارير ان تقدم الوجه الحسن لإقليم المسيلة لاستقطاب المستوطنين خاصة بعد الحرب السبعينية مع ألمانيا.

لم يرتفع عدد الاوربيين الفرنسيين بمنطقة المسيلة إلا بعد تحول المدينة إلى الإدارة المدنية بتكوين بلدية المسيلة المختلطة سنة 1884، حيث وصل عددهم إلى 120 نسمة وتبدو زيادة المعمرين ضئيلة مقارنة بالمدن المجاورة كبوسعادة وبرج بوعريريج، ورغم تكوين الاحتلال الفرنسي لمركز الاستيطان بمدينة المسيلة ومشاريع الاستيطان التي قدمها بعض الخبراء مثل المهندس ماريو فيفاريس سنة 1900 فقد بقي العنصر الأوربي بها قليل ولم يزد عن 453 سنة 1912 ليرتفع قليلا بعد عقدين من الزمن إلى 559 نسمة قبل الحرب العالمية الثانية 1939. وكان استقرار المعمرين بالأراضي التي صودرت من الأهالي عقب ثورة المقراني 1871، وعلى الأراضي الخصبة على وادي القصب بموضع سباغ الغربي، كما أن الزيادة القليلة لهؤلاء المعمرين كانت مرتبطة بجهود المتصرفين الإداريين في تشجيع الأوربيين، من خلال تقديم التقارير المشجعة للاستثمار بالمنطقة من جهة، وبتوافد العائلات التي لها علاقات بالمعمرين الأوائل الذين وفدوا من وجهات مختلفة إيطاليا وأسبانيا، إضافة إلى اليهود الذين مثلوا بعد عملية التجنس 1870 نسبة معتبرة جاء اغلبها من المغرب، مثل عائلات أطلانattlan من مراكش وعطيةAttia من مراكش وآخرين من اسبانيا مثل

عائلات حجاج مويس، وشيش بورتيش، وكون الأوربيون مع اليهود تجمعا منفردا في الحي الأوربي الجديد الذي وجد على يمين المدينة ووادي القصب وتميزوا بذلك عن الأهالي جغرافيا واقتصاديا اضافة الى تميزهم الاجتماعي، بعد أن استحوذوا على أجود الأراضي.وبدا تشكل الحي الأوربي منذ قرار تكوين مركز الاستيطان بمدينة المسيلة سنة 1912 واشتغل الأوربيون بالتجارة وبالزراعة في الأراضي المصادرة من السكان منذ 1871 ومن بعدها 1912 واحتكروا مياه السقي وتحكموا فيها .كما أصبحوا يمثلون السلطة في الجان البلدية للمسيلة المختلطة وباقي البلديات منذ 1885.

ومن بين المعمرين الأوائل الذين وفدوا الى مدينة المسيلة نجد عائلة فورني Fournier الذي شغل احدهم عضو اللجنة البلدية للمسيلة منذ 1885 وكان احد أفراد العائلة من بين الأطباء الأوائل الذين اشتغلوا بالمسيلة واحتكرت عائلة فورني مياه السقي من أعالي وادي القصب واستطاعت أن تعقد معاهدة امتياز لها في احتكار الماء ووضع سد عرف بسد فورني وأصبحت العائلة تملك حق بيع المياه للأهالي.منذ 1880.إضافة إلى عائلة باريت barbet وعائلة Forestier وآخرين .ترجع اصول المعمرين الفرنسيين في غالبيتهم الى فرنسا وهم العائلات المتوسطة والمهنية بينما وجدت عائلات اخرى أصلها من ايطاليا مثل scarpita وعائلات أخرى أصلها من اسبانيا .

اليهـــود:

الظاهر أن شمال أفريقيا استقبلت في الماضي تدفقا للهجرات اليهودية بحيث تذكر الكثير من المصادر التاريخية أن الهجرة الأولى حدثت عقب

تخريب هيكل القدس سنة 586 ق.م على يد نبوخذ نصر. وتزامنت الهجرة الثانية مع وقوع شمال أفريقيا في قبضة الفينيقيين، وتأسيس مدينة قرطاجة. فقد كانت هناك مستعمرات على امتداد الساحل الإفريقي ينحدر سكانها من قبائل يهودية. أما الهجرة الثالثة فهي الأحدث لأنها وقعت في القرن الأول الميلادي .

لكن في غياب آثار مادية أو نقوش أو مخطوطات تؤرخ للهجرات اليهودية الأولى فإن الهجرة الأخيرة هي وحدها التي يمكن التحقق فعلا من صحتها. أما ما عدا ذلك فهو أقرب إلى الأسطورة منه إلى التاريخ. ويجب أن نستحضر ها هنا الروايات الكثيرة التي تفنن المتخيل اليهودي في صنعها، والتي ترجع استيطان اليهود في هذه المنطقة من العالم إلى أزمنة موغلة في القدم.

رغم أن منطقة المسيلة شهدت منذ عصر الدولة الحمادية تواجد فئة اليهود خاصة بقلعة بني حماد، إلا أن الكتابات الوسيطة لم تشر إليهم فيما بعد الهجرة الهلالية، وذكر دخول اليهود في الفترة التي أعقبت سقوط الأندلس .

تعتبر فئة اليهود من الفئات القديمة التي استوطنت واستقرت بمنطقة المسيلة حسب الكتابات الفرنسية التي تبقى في غياب الكتابات العربية المصدر الوحيد المدون، وتكونت عدة عائلات يهودية منذ القرن 14 م، عندما وفدت مجموعة من يهود مدينة فأس المغربية مع فرقة أولاد معتوق التي انتشرت بمنطقة أولاد ماضي بالمسيلة، إلا أنها سكنت مدينة المسيلة، ويبدوا أنها جاءت من حواضر المغرب أو الأندلس بدليل المهن التي احترفتها

واستمرت عليها الى حين دخول الفرنسيين مثل حرفة صناعة الحلي والجواهر والدباغة والتجارة في العقار من جهة وبتواصل هجرة اليهود من اسبانيا خلال الاحتلال. واتجه جزء منها إلى مدينة بوسعادة .وهم الأكثرية بحيث وصلت نسبتهم بمدينة بوسعادة نهاية القرن 19 إلى 6.3 ٪ من مجموع السكان في حين وصل عددهم بمدينة المسيلة سنة 1885–66 يهودي من مجموع 3085 نسمة أي 2 ٪ من مجموع السكان.وظل عددهم مستقرا رغم صدور قانون كريميو 1870 إلى غاية ظهور مركز الاستيطان بمدينة المسيلة حيث بدأت تتوافد جماعات من يهود المغرب الأقصى من مدينتي فاس ومراكش ومن فرنسا معظمها لها قرابات بيهود المدينة القدماء ووصل عدد اليهود بداية القرن 1905–121 يهودي ليرتفع إلى 542 سنة 1937.

وسكنت هذه العائلات حي الشتاوة حيث اندمجت بالأهالي المسلمين وأخذت عاداتهم وطبائعهم وتكلمت لهجتهم وتزوج بعض نسائهم بالأهالي، لكن لم يتركوا طقوسهم العقائدية المرتبطة بالديانة اليهودية مثل عدم إشعال النار يوم السبت وتأجير الأهالي بمقابل زهيد لذلك.

وقد حمل اليهود أسماء مرادفة للحرف والنشاطات التي يقومون بها مثل لقب نجار وجاوي "العقاقير" وعاشور "العثر" وخلفة "الأمير" وأسماء من كتبهم السماوية مثل إسحاق، يعقوب شالوم، هودا، ...الخ.

وترجع أصول بعض العائلات إلى المغرب الأقصى مثل عائلات عطية من "مراكش" وأسبانيا مثل عائلات نجار وجاوي كما تشير بعض الروايات إلى وجود علاقة بين اليهود بمدينة المسيلة وبوسعادة ويهود منطقة بني عباس بمجانة .

إذا كان واقع اليهود الاجتماعي نهاية القرن 19 ضمن واقع الأهالي داخل الحي القديم للبلدة فان بداية القرن العشرين كانت بداية لتحول هذه الفئة إلى مجموعة كبيرة نسبيا بعد ارتفاع عددها ومميزة مكانة وثراء، وانتقلت مجموعة منهم مع المجموعات الجديدة إلى الحي الأوربي الجديد الخاص بالمعمرين الفرنسيين ضمن مركز الاستيطان، وتحول هؤلاء اليهود من الأنشطة التقليدية ذات الدخل الضعيف مثل حرف الصباغة إلى الأعمال الأكثر دخلا كالتجارة الواسعة والنقل والمقاولات والمصالح الإدارية الاستعمارية كالتوثيق والشرطة.

وبدأ اليهود منذ ذلك التاريخ يتميزون عن الأهالي من حيث الثروة والنفوذ، وتقربوا أكثر من الإدارة الاستعمارية التي سمحت لهم على أساس تجنسهم بالفرنسية بالارتقاء إلى مناصب ضمن اللجنة البلدية .واستغلوا نفوذهم في التوسع في الأملاك والعقارات على حساب الأهالي الذين كثير ا ما إشتكوهم للإدارة المحلية وبدأ تجمع اليهود في إطار جمعيات دينية وثقافية من اجل ترقية الدين اليهودي وتنظيم المجموعة اليهودية داخل البلدة.

لكن كيف كان تأثير اليهود بعد هذا التحول عل الأهالي، لقد بدأت عناصر اليهود بالمدينة في غرس قيم الفساد داخل المجتمع المحافظ سواء من خلال المعاملات التجارية الربوية التي استغل من خلالها اليهود حالة فقر وعوز السكان أو من خلال تكوين بيوت الفساد والدعارة والتي أخذت اسم "Maison de Tolerance" وبدأ ظهورها منذ 1920 وهي ملك اليهوديين moise hadjadj مويس حجاج، واليهودية هودا، ورغم شكاوى سكان المدينة وأعيانها ضد هذه البيوت فقد استمرت في الوجود إلى غاية سقوط فرسا جوان 1940 ومجيء حكومة فيشي.

لقد فرض قانون 1940 الخاص باليهود واقع جديد مخالف لما كانوا عليه من نفوذ وامتيازات، فطردوا من المناصب الإدارية ومنعوا من الاشتغال في أسلاك الشرطة، وعمهم الفقر والبؤس كحال الأهالي وأصبحوا يتسولون الخبز، الا ان الحال تغير بعد 1943 واسترجع اليهود نفوذهم بعد ظهور حكومة فرنسا الحرة التي أعادت إدماجهم إلى مناصبهم، وتحولوا إلى فئة دعم لها سياسيا، من خلال جمعية "وجماعة الكفاح" التي كانت عبارة عن فرع من فروع الحزب الشيوعي الفرنسي وكانت تعمل على مساعدة فرنسا الحرة.

إن هذه الفئة ورغم قلتها فقد استحوذت على عقارات وأراضي اغلبها اكتسب نتيجة معاملات الرهن للأهالي، أو تزايد الديون وكان التميز الاجتماعي كبيرا جدا بينهم بين الأهالي بسبب الوضع الاجتماعي المزري الذي هو انعكاس للسياسة الاستعمارية المتحالفة مع اليهود بالمدينة.

-عرش أولاد ماضي :

تمتد أراضي هذه القبيلة الكبيرة التي تشغل القسم الأكبر الممتد بين المسيلة وبوسعادة وهي قبيلة مُحاربة لعبت دورا محوريا في تاريخ المنطقة، وينحدر أولاد ماضي الأصليين من الأثبج، وتتفق الرواية الشفهية والتاريخ حول ذلك مع اختلاف في التفاصيل، فالرواية الشفهية تقول أن أولاد ماضي ينحدرون من ماضي بن مغرب الهلالي قائد قرة - وهي بطن من بطون الأثبج حسب ابن خلدون- الذي استقر ببرقة في خلال الهجرة الهلالية الثانية وأقامت هذه القبيلة أولا في إقليم الزاب ثم استقرت بعدها بمنطقة

منطقة المسيلة التي وجدت بها قبائل العريب والزناخرة وأولاد علي بن داود والدواودة .

وتقول رواية أخرى أن أولاد ماضي يُنسبون إلى ماضي من بني قرة التي هي فرع من العمور وهم مجموعة ارتبطت بالأثبج ونجد اسمهم قد أطلق على المكان المعروف بعين ماضي بالأغواط.

وتقول رواية ثالثة أن ماضوي هو مؤسس القبيلة، وقد جاء من تونس مع عائلته إلى سد الغابة جنوب المسيلة في القرن 6 هـ/ 12 م وهي رواية كان يرويها بعض الأهالي سنة 1856. وقد اندمجت مجموعات كثيرة في أولاد ماضي كما هو شأن مجموعة من العريب وفرق أولاد معتوق وأولاد سليني والعكاكلة ومجموعات من أولاد بو قاهية والخباطنة، كما وجدنا المعاريف -وهم فرع من العريب كما سنرى- قد اندمجوا في فرقة أولاد عبد الحق، واستطاع أولاد ماضي فرض سيطرتهم على منطقة المسيلة، ويشكّل أولاد منصور أو ماضي غرب المسيلة قسما من قبيلة أولاد ماضي. ويشتمل عرش أولاد ماضي على عدة فرق هي:

- أولاد علي بن خالد.
- أولاد يحي بدوار شلال.
- أولاد سي سليمان بدوار بريبري.
- أولاد سديرة بدوار بريبري.
- أولاد معتوق بدوار سعيدة.
- أولاد عبد الحق بدوار سعيدة.
- أولاد سيدي حملة بدوار مسيف.

- أولاد منصور بن مهدي بدوار لقمان وتارمونت.ولكن المصادر تقول أن أولاد ماضي الحقيقيين اليوم هم:
- أولاد عوار وهم فرقة صغيرة من أولاد علي بن خالد.
- أولاد بويحي.
- الخباصة.
- أولاد قانة من فرقة أولاد معتوق.
- قسم من أولاد عبد الحق وأولاد بديرة بما في ذلك عائلة بوضياف .

ويذكر ابن خلدون أن أولاد ماضي في عهده كانوا مقيمين مع أولاد فارس وأولاد عزيز بسفح جبل أوراس المطل على بسكرة وتمتد أراضيهم غربا حتى تشمل غمرة "وهم في جوار رياح وتحت أيديهم" وخصوصا من الدواودة ونتيجة تسلط الدواودة عليهم فقد قرروا الرحيل للإقامة في منطقة المسيلة خلال القرن 15 م وبداية القرن 16 م، وفي سنة 1552 عندما قام صالح رايس حاكم الجزائر بغزو الجنوب فقد اصطحب معه الكثير من فرسان أولاد ماضي وتخلص أولاد ماضي تدريجيا من سلطة الدواودة، وحسب الرواية الشفهية فإنهم وجدوا كلا من أولاد سيدي حملة والعريب وفرق من الدواودة تقيم بالمسيلة.

وبالنسبة لفرق الدواودة فقد أزاحوا قسما منها نحو الزيبان واندمج قسم آخر معهم، وتضم حاليا قبيلة أولاد ماضي فرقا وبطونا صغيرة ذات أصول مختلفة وجمّعت معها بعض المنحدرين من الأثبج وخصوصا في دوار لقمان، كما جمّعت بعض ذوي الأصول المغربية عند أولاد عبد الحق وعند أولاد سي سليمان ومن المحتمل أيضا عند أولاد معتوق.

وهكذا فإن قبيلة أولاد ماضي إذن قد تشكّلت شيئا فشيئا حول نواة من الأسر الأثبجية التي فرضت عليها سيادتها في منطقة المسيلة وأزاحت الفرق التي وجدتها هناك واستوعبت عدة فرق أجنبية عن المنطقة. وحسب تقارير المجلس المشيخي لعرش أولاد ماضي فانه يقع جغرافيا بين واد القصب "واد المسيلة" ومنطقة الرمل شمال شط المسيلة إلى واد الشلال قبل أن يتم تحديد مساحة أراضيه بعد الاحتلال الفرنسي بـ 180.000 هكتار .

وانتشرت عائلة ماضي بن عبد الله بن على من بني قرة المنطقة السهبية للمسيلة، وعاش العرش منذ القرن14 تحت سلطة الدواودة الرياحين، إلى جانب أولاد فارس وأولاد عزيز في إقليم الزاب الغربي، حيث بدأ يستكمل تكوينه واستقراره بالمنطقة التي تحمل اسمه، وحيث واجه صعوبة الانتصاب مع قبائل الزناخة الاتين من منطقة الجريد التونسية في حدودالقرن16 والذين اندحروا نحو منطقة بوغزول جنوب قصر البخاري .وينقسم عرش أولاد ماضي إلى فرعين:فرع أولاد ماضي الجواد أو النبلاء وفرع المرابطين (أولاد سيدي حملة) .

ولابد للإشارة أن عرش أولاد ماضي امتاز بظاهرة التعمير التي تأتي بعد عملية الترحال والتنقل عبر الأرجاء الواسعة لإقليم منطقة المسيلة، وتكونت من خلال ذلك مجموعة أجزاء وفرق للعرش في مواطن أرض العرش التي امتدت في فترات متقطعة إلى تارمونت والشط وتيارت .والصحراء وسور الغزلان والمدية وبوغاز والاغواط وحتى منطقة القبائل وأهم الفرق المكونة حسب توزيعها الجغرافي لها :

- فرقة أولاد عبد الحق وأولاد معتوق بمنطقة السعيدة.

- فرقة أولاد علي بن خالد وأولاد يحي بمنطقة اشلال.
- فرقة أولاد سي سليمان وأولاد سيدرة بمنطقة البريري.
- فرقة أولاد منصور بن ماضي بمنطقة لقمان وتارمونت .
- فرقة أولاد سيدي حملة التي تمثل عرش مميز ضمن نفوذ أولاد ماضي.

وتحتوي كل فرقة من فرق العرش على فرق فرعية عديدة حصل بينها التزاوج والتنقل في أرجاء الأراضي الممتدة من بوسعادة والمسيلة ومن جبال المعاضيد إلى جبال ونوغة، فمثلا منطقة ونوغة كانت موضع إحدى الفرق القوية للعرش وهي أولاد عبد الحق، التي تنتمي إليها عائلات بوضياف بن بوراس وهي المنطقة التي أوكلت إلى أولاد عبد الحق من قبل السلطان المريني وامتدت سلطة الفرقة إلى منطقة السعيدة، حيث توجد عائلات بوعبان وأولاد نخلة وأولاد سعيدي والمراشدة .وقد ضمت فرقة أولاد عبد الحق إضافة إلى هذه الجماعات أولاد سديرة والمعارف وأولاد عزوز.وتضم فرقة أولاد سيدي حملة أولاد يحي – أولاد عطية أولاد الحاج أما وأولاد منصور أو ماضي تضم : أولاد موسى أولاد بعلي أولاد لجالس أولاد سيدي إبراهيم أولاد حريز وأولاد بلقا سم بمنطقة لقمان.

ولا تبدو هذه الفرق تنتمي إلى عرش واحد بل تجمعت تحت غطاء اسم وقوة وهيبة أولاد ماضي عبر فترات التاريخ، بدليل وجود جماعات في المنطقة كانت قد أتت من عرش أولاد دراج مثل الدحادحية وأولاد سديرة من جبال ونوغة ذات الأصول البربرية، في حين انحدرت جماعة الخنانشة من جبال المعاضيد .كما ترجع بعض الروايات فرقة أولاد سيدي سليمان إلى مرابطين الزوي قبل انتصابهم بأولاد ماضي. كما ترجع عائلات أولاد فالي

من أولاد منصور بن ماضي إلى منطقة الزيبان بسكرة، في حين تنتسب فرقة أولاد بعلي إلى فرقة آتية من المغرب الأقصى نسبة إلى شخصية الحوناس من فأس .

كما تفرعت عن عرش أولاد ماضي فرق أخرى انتقلت إلى المناطق التلية منها:

- فرقة أولاد الحيف التي كانت تسكن حول منطقة السبخة بشط المسيلة وارتحلت إلى التل بمحيط عرش أولاد عبد النور بموقع الكدية الصفراء.

- وفرقة أولاد احمد الذين انتشروا بجبال الخرابشة وأولاد العشاش وقد عرف عرش أولاد ماضي قبل الاحتلال الفرنسي بأصحاب الخيم الحمراء تمييزا لهم عن أولاد نايل أصحاب الخيم السوداء والذين كان بينهم صراع طويل حول الأراضي المخصصة للعشابة أصحاب المواشي.

وقد كان التقارب والتحالف كبير بين عرش أولاد ماضي وعرش أولاد دراج والمقرانين، وحتى خلال الحكم التركي عند ما حدثت العداوة بين المقرانيين وفرقة أولاد عبد الحق من عرش أولاد ماضي سنة 1733. وتمكن آنذاك المقرانيون من دحر أولاد عبد الحق إلى حواف الصحراء حيث عرفوا فيما بعد بأولاد بوراس الذين وقفوا ضد ثورة المقراني في انتفاضة 1871 وعرفوا بصف بوضياف بوراس أو صف أولاد عبد الحق .ولم يستطع العرش الاحتفاظ بتماسكه رغم امتداده ونفوذه القوى، فقد كانت ثورة المقراني وقبلها دخول الاحتلال الفرنسي للمسيلة بعض عوامل الانقسام إلى صفوف أهمها:صف وادي الشلال الذي وقف إلى جانب الثورة بينما وقف صف

أولاد منصور بن ماضي على الحياد في حين كونت فرقة أولاد بوضياف بن بوراس صف آخر إلى جانب فرنسا.

بينما استمرت فرقة أولاد حملة متماسكة محافظة على شخصيتها وتضامنها خصوصا في فترات النزاع مع عرش السوامع على الأراضي .

لعب الاحتلال الفرنسي دورا خطيرا قبل وبعد ثورة المقراني في تقسيم وتفتيت العرش اجتماعيا، وإعادة توزيعه جغرافيا في غير ظروفه الطبيعية المعتادة وإعادة ربط عناصره بتقسيمات إدارية قلصت من روابطه الاجتماعية والاقتصادية ومن تماسكه.

لقد عملت فرنسا على أن تكون أراضي العرش المنطقة التي تم توطين حشم المقراني بها بعد نقلهم وتهجيرهم من أراضي التل بمجانة والبرج سنة 1876 .كما تم تنفيذ عملية تقسيم العرش إلى دواوير 5 حسب تقرير المجلس المشيخي " سناتوس كونسيلت 1898" ولم يتم مراعاة الارتباطات والعلاقات الاجتماعية التقليدية لسكان المنطقة في هذا التقسيم، مما أحدث اختلالات في نمط الحياة وعقد من بساطتها المألوفة والدواوير الخمسة هي-دوار أولاد سيدي حملة –دوار أولاد عبد الحق-دوار أولاد معتوق–دوار البريري-دوار وادي الشلال

جدول تقسيم عرش أولاد ماضي حسب قانون المجلس المشيخي سيناتوس كونسيلت senatus consulte1869 .

اسم الدوار	عدد السكان 1869	الأراضي الزراعية	مساحة الدوار

أولاد سيدي حملة 1456 نسمة 9375 هكتار 70.000 هكتار

واد الشلال 1520 نسمة 6644 هكتار 20.837 هكتار

أولاد عبد الحق 914 نسمة 1806 هكتار 19.123 هكتار

البريبري 732 نسمة 1420 هكتار 10.405 هكتار

أولاد معتوق 846 نسمة 2891 هكتار 10.379 هكتار

المجموع 5468 نسمة 22136 هكتار 130.744 هكتار

ورغم هذا التقسيم فقد استطاع عرش أولاد ماضي، أن يجمع تحت غطاءه فرق اندمجت فيه وقويت باسمه الذي كان يعني الكثير بالنسبة للعروش المجاورة، فهو يعني السيادة وضمان الأمن والشرف والعزة، لذلك نجد فرقة أولاد سيدي حملة ورغم ارتباطها بشخصية وليها لصالح سيدي حملة إلا أنهم أكثر احتماء وولاء لعرش أولاد ماضي الذي زاد نفوذه وسيادته على الحصنة الغربية من خلال منح فرنسا سلطة القيادة لأعيانه على مختلف دواويربلدية المسيلةو المعاضيد.

-عرش أولاد دراج :

ينسب عرش أولاد دراج الى حسب وثائق المجلس المشيخي ل22/ 4/ 1863 والذي استقى المعلومات التاريخية من الذاكرة الجماعية المحلية الى شخص دراج المغربي الذي اقام ب المسيلة مع أربعة من أبناءه واصبح هذا الاسم يطلق على مجموع الفرق التي سكنت معه او الى جانبه.

وفي نهاية 1450 كانت منطقة المسيلة مقسمة بين السكان البربر والعرب وكان عرش اولاد دراج قد انقسم الى اربعة فرق هي:

اولاد عدي واولاد دهيم والمطارفة والمعاضيد.

قال الورثلاني بخصوصهم : "وأولاد دراج طائفة من العرب وقد رأيت في بعض الطُرر أنهم من ربيعة" وهناك عدد من الروايات الشفهية المحلية حول أصل هذه القبيلة منها تلك التي تنسبها لشخص يدعى سيدي عثمان الدراجي جاء إلى المسيلة بعد الفاتحين الأوائل وذلك منذ القرن 7 الهجري فقد كان راعي جمل [دراجي] فاطمة الزهراء بنت الرسول [ص] وهي رواية تبقى للتحقيق .

وهناك رواية أخرى مفادها أن أولاد دراج ينحدرون من سيدي عثمان وهو مغربي جاء من جنوب المغرب من منطقة وزان في القرن 13 أو 14 وبعد دراسته هناك مع صديقه أحمد بشلالق عند الشيخ أحمد بن يوسف توجه الاثنان إلى المسيلة ووجدوا بها 12 خيمة لقبائل هلالية واستطاع المرابطان فرض سيادتهما عليها وصارت هذه القبائل الـ12 تُعرف جميعا بأولاد دراج وتضيف هذه الرواية أن سيدي عثمان قد حصل من سيدي حملة على حق الإقامة في المسيلة بعد أن قدم له هدية هي عبارة عن 100 فرس مُسرّجة وأولاد دراج الحقيقيين هم ذرية هذه الخيام الإثني عشر لكن مختلف الفرق لا تتفق على هويتهم .ويذكر ديبواDespois أنه من الممكن أن يكون أحد المرابطين قد منح اسمه لهذه القبيلة، وأن قدومه كان بين القرنين 15 و17م، وشكّل أولاد دراج مجموعة أكبر من قبيلة فهم فسيفساء من الفرق ليس بينها لحمة قوية وفي الغالب غير متجانسة. ففرقة السوامع التي

تنسب الى اولاد دراج بالصحبة لا بالاصل، نجدها في حد ذاتها عدة فرق لا صلة بين بعضها البعض احيانا سوى المصاحبة في الاقامة والمعاشرة نهاية 1450 حصل نزاع على حدود الاراضي بين فرقة اولاد عدي وفرقة المعاضيد استطاعت خلاله فرقة اولاد عدي ان تنتزع أراضي المعاضيد وتطردهم الى اعالي الجبال وتوسعت حدود اراضي أولاد عدي بعد ذلك وتوسعت فرق أولاد عدي الى :

اغولاد منالله / أولاد صالح/ البراكتية/ اولاد قسمية/ أولاد ولهة/ المرابطين .

اتخذت فرقة المرابطين موقعا متميزا من أولاد عدي بحيث استقرت على سفوح المعاضيد وشكلت موقعا وسطا بين أولاد ماضي واولاد عدي والمعاضيد وسمح لها تميزها الجغرافي والاثني ان تكون فرقة للصلح بين الأطراف المتصارعة خاصة المعاضيد وأولاد عدي وأصبحت تحضي بتميز ديني .

كما انقسمت فرقة المطارفة الى تسعة فرق صغيرة بعد ذلك اتخذت موقعا بين وادي القصب ومواقع بشيلقا في حين استقرت فرقة أولاد دهيم بدرعون الى جانب فرقة السوامع واحتفضت فرق اولاد دراج بحدودها الى غاية دخول الأتراك منطقة المسيلة 1568.

وذكر الورثلاني الذي زار أولاد دراج نهاية القرن الثامن عشر أن الصراع بين أعراش المسيلة كان محتدما وأن فرق المنطقة كانت كثيرة جدا "وقد تحصل الفتنة بينهم فيموت الثلاثون والأربعون في يوم واحد" .

وعند دخول الاحتلال الفرنسي وضع العرش تحت قيادة ومشيخة سفار بن التومي الى غاية تعويضه باحد أفراد عائلة المقراني علي بن بوزيد المقراني

وتمتد قبيلة أولاد دراج من واد القصب وحتى واد بريكة على الشكل التالي :

أولا : المطارفة بدوار المطارفة ثم السوامع بدوار بير عنات وبوحمادو ثم نجد مجموعة أولاد عدي :ففي الشمال الغربي نجد أولاد عدي الظهرة وأولاد دهيم وفرق صغيرة بدوار الجُرف وسلمان وفي الجنوب الشرقي نجد أولاد عدي القبالة وتضم البراكتية وأولاد ولهة وأولاد قاسمية .

وفي بريكة يقيم أولاد نجاع بدوار برهوم والزوي بعين كلبة وأولاد أعمر بدوار مقرة والسلالحة بدوار الجزار وأخيرا أولاد سحنون بدوار بريكة ومتكاوك الذين ينكرون أي صلة لهم بأولاد دراج. وهذه هي أهم فرق أولاد دراج :

- دوار المطارفة : أولاد لوصيف، البراكتية، أولاد علي، أولاد بوعكر، أولاد الكحال، أولاد حواسة، أولاد سلامة .

- دوار بئر العانات [السوامع] : أولاد عثمان، أولاد اعمر، المهاية، العوايز، أولاد غنايم .

- بوحمادو [السوامع] أولاد حديدان، لوذاني، أولاد عبد الله، العواسة .

- الجُـرف [المـرابطين] : أولاد دهـيم، الخلاليـف، أولاد بـن صوشـة، العرايب

- سلمان : أولاد صالح، أولاد منا الله، أولاد بن عثمان .

- ويتلان : قرى الطلبة والشرفة بالجبال .

- أولاد عدي القبالة : وتضم :

1- أولاد قاسمية: التي تتفرع هي الأخرى إلى: أولاد قاسمية وأولاد باية وأولاد عطية والبرابرة والمحاميد

2- أولاد ولهة: وتضـم أولاد ابـراهيم بـن قاسميـة والعـوابي والحمايـد وأولاد حميدة والعوايز والعطالات .

3- البراكتيـة: وتضـم أولاد جلايـل والزوانتيـة وبـرابح واولاد سـعيد وأولاد مهدي

- برهوم [أولاد نجاع] وتنقسم إلى قسمين :

أ-القبالة: وتضم الحواشي وأولاد إبـراهيم بـن نجـاع وأولاد خليفـة وأولاد نويوة والعمايـر.

ب-الظهرة: وتضم أولاد سعيد وأولاد سـيدي يحـي والمنايفـة وأولاد مرزوق وأولاد بوضياف والسلامات والحلالات وأولاد مبارك.

ج-عين كلبة [الزوي] وتضم أولاد سـيدي عثمـان وأولاد ضـحوة وأولاد الخضرة وأولاد سيدي أحمد.

- مقرة [أولاد اعمر] وتضم :

1- أولاد اعمر الذين يضمون بدورهم : احزال والخرايب والمرابعة والعباري والدبابحة.

2- أولاد زميرة .

3- أولاد منصور .

4- أولاد خشايش .

5- أولاد سيدي عبد القادر .

- الجزار [السلالحة] وتضم : أولاد مسعود وأولاد سليح وأولاد حريز وعجيسة وقاوة.

- متكاوك [أولاد عبد الرحمن بن سحنون] وتضم الدخامنة وأولاد شريفة وأولاد العمرية والعياضات وأولاد طالب وأولاد سيدي غانم.

- بريكة [أولاد سحنون] وتضم أولاد عبد الله وأولاد عمار وأولاد أمحمد وأولاد احمد .

ومن الصعب أن نعرف عند أولاد دراج النواة الأولى التي تشكلت حولها القبيلة فالروايات مضطربة ومليئة بالأساطير لكن يبدو أن العنصر النشط في القبيلة وكما وجدناه عند أولاد ماضي هو مشكّل أساسا من العرب الهلاليين وعلى الخصوص من الأثبج ونجد أن أولاد حريز بالسلالحة وهم أقارب سكان دوار لقمان هم من بطن لطيف أي من الأثبج.

كما نجد عند المطارفة بأولاد دراج مجموعات من عرب المرتفع، والأثبج نجدهم في دوار بير عنات فرقة صغيرة تحمل اسم المهاية وهو نفس الاسم الذي ورد عند ابن خلدون لمجموعة كانت تقيم بمنطقة الغنية . ونشير

أن قانون السناتوس كونسولت الذي طبق على قبيلة أولاد دراج في 13 أفريل 1867 قد قسّمها إلى الدواوير التالية : المطارفة وأولاد دهيم ومرابطي الجرف وأهل الدير وكدية ويتلان وسلمان والبراكتية وأولاد ولهة وأولاد قاسمية. والجدير بالذكر إن عرش أولاد دراج كان أول من تعرض لعمليات سناتوتس كونسيلت الجراحية منذ 1867 إلى 1904 حيث ثم تقسمه إلى 33 فرقة و9 دواوير ولم يكن يتجاوز عدد سكان العرش سنة 1866 سوى 6371 نسمة .وحسب الروايات التاريخية الشفوية والمصادر المكتوبة فان عرش أولاد دراج خلال القرن الثاني عشر كان يتكون من 4 فرق هي أولاد عدي، المطارفة، أولاد دهيم، المعاضيد، الذين انتقلوا من الأراضي التي كانت للعرش الكبير، والتي استحوذ عليها أولاد عدي الذين طردوا المعاضيد إلى جبال كيانة التي تعرف بجبال المعاضيد .ومنذ ذلك التاريخ لم تعد فرق المعاضيد مرتبطة بعرش أولاد دراج ولا تحس بالانتماء له بل ارتبطت أكثر بالسكان الجبليين وإقليم التل. ومما زاد هذا الاتجاه هو جعل فرنسا منطقة المعاضيد إداريا ضمن بلدية برج بوعريريج قبل أن تتحول إلى بلدية مختلطة تدير أكثر الأراضي التلية والبعيدة عن المسيلة. إلا أن بعض العائلات عادت لتستقر بمحيط أولاد دراج منها العياضات نسبة إلى جبل عياض والمتكاوك وعجيسة التي يدل اسمها على أصلها الصنهاجي وأولاد سلامة، كما تنسب جماعة أولاد ولهة إلى منطقة ريغا الظهارة .كما تشير بعض الروايات إلى انتقال أولاد تبان منذ عدة قرون إلى منطقة البراكتية واللوذاني .وقد أدت هذه التنقلات المتعددة الاتجاهات لمختلف الفرق والعائلات إلى استقرار أفراد الفرقة الواحدة في مناطق مختلفة للعروش القريبة من أولاد دراج وادى هذا التحرك إلى تزواج وانصهار الجماعات في المناطق الجديدة التي كونت ما يعرف بالمجتمع الحضني، الذي يمثل المدلول

الأوسع لتركيبه السكان لهذه المنطقة. مثل وجود جماعة الحجاجبة الذين هم من السوامع في إقليم المطارفة أو البراكتية بشرق دوار المطارفة أو جماعة المطارفة في أولاد بلقا سم بلقمان أو أولاد بوضياف ذو الأصول الماضوية في أولاد نجاع. كما تدل على مدى هذا التكامل والتواصل الاجتماعي عبر الزمن الذي لم تقف أمامه أية حواجز طبيعية أو بشرية إلى حين دخول الاحتلال الفرنسي).

وقد قررت فرنسا في إطار سياستها الاستعمارية "فرق تسد" تقسيم عرش أولاد دراج حسب قانون المجلس المشيخي 1863 إلى 9 دواوير هي

-المطارفة، أولاد دهيم، مرابطين الجرف، أهل الدر، كدية ويتلان سلمان، البراكتية، أولاد ولهة، أولاد قسمية. ومعظم فرق السوامع لا تربطها فيما بينها رابطة الدم او الانتماء الى الجد الواحد، او ان يكون لها رابطة بمرابط او نسب مشترك، الا ان بعض الفرق مثل الحدادة ترجع اصولها الى الاشراف القادمين من السوس الاقصى بالمغرب الاقصى وهي بذلك تدعي انتسابها الى الاشراف عكس بقية الفرق التي تؤلف السوامع.

جدول يمثل تقسيم أولاد دراج بعد تطبيق قانون سيناتوس كونسيلت 1867 وانفصال فرقة السوامع عنه .

اسم الدوار	عدد السكان 1866	مساحةالأراضي الزراعية	عدد الجابدات	مساحة الدوار
المطارفة	1943 ن	6925 هكتار	336	17115 هكتار
أولاد ولهة	660 ن	7989 هكتار	103	16261 هكتار

البراكتية 684 نسمة 4397 هكتار 119 6010 هكتار

أولاد قسمية 561 ن 3500 هكتار 107 4899 هكتار

سلمان 619 ن 2771 هكتار 178 3357 هكتار

مرابطين الجرف 704 ن 1574 هكتار 47 2362 هكتار

ويتلان 274 ن 590 هكتار 41 1867 هكتار

أهل الدير 317 ن 733 هكتار 30 1341 هكتار

أولاد دهيم 603 نسمة 907 هكتار 51 1035 هكتار

المجموع 6371 نسمة 29338 هكتار 883

وتم تقسيم فرقة السوامع الكبيرة إلى دواوير منذ 1863هي

- دوار بئر العانات الذي ضم 1253 نسمة وحددت له مساحة 20906هـ-ودوار بوحمادو الذي ضم 1054 نسمة وحددت له مساحة 22794هـ .

وقد حاولت لجنة السنانوس كونسيلت أن تقترح تجميع كل من أولاد دهيم ومرابطين الجرف وأولاد سلمان، و أهل الدير ضمن اسم أولاد عدي الظهارة وكل من الطلبة أو ما تعرف بكدية ويتلان وأولاد عدي لقبالة.

وحددت مساحة العرش حسب القانون 54.409 هكتار عندما كان عدد خيم العرش 1785 خيمة. كما تعرضت أراضيه إلى تقسيم جديد والى

تحـولات اجتماعيـة واقتصـادية، حيـث تم تعـيين مسـاحة 248.8 هكتـار كأراضي كومينال و488 أراضي دومين عام بينما استمر للعرش مسـاحة في إطار الاستغلال الجماعي 29338 هكتار .وتم مصادرة أراضـي المخـزن وتم كرائها لقياد المنطقة وبعض المعمرين الفرنسيين.ومعظم سـكان عـرش أولاد دراج يعيشون علـى تربيـة المواشـي خصوصـا الأغنـام الـتي وصـل عـددها سنة1867=27360 رأس و958 جمل وقد سادت العـرش قبـل الاحـتلال مظاهر التضامن والتوازن والتكامل كما ميزت حياته ظاهرة التنقـل المسـتمر وفق الظروف الطبيعية التي يبحث عنها خصوصـا المـاء والكـلأ مـن خـلال حركتين فصليتين.-التنقـل لمسـافات قريبـة تصـل إلى 10 كـم داخـل نطـاق العرش بين السهل والرمل في الشتاء.

2-التنقل لمسافة بعيدة بين المسيلة والمناطق التلية كالهضاب العليا أو الزيبـان وأدت هذه الحركة الثانية إلى انتشـار واسـع لعـرش أولاد دراج في كـل مـن تبسة، بسكرة، الثمرة، العلمة، الشريعة ونجدها.

اما عروش المسيلة الشرقية، نجد منهـا عـرش أولاد سـحنون الـذين ينفرون من أي صلة بأولاد دراج ويقيمون بالمسيلة الشرقية، وهم ينحدرون من أولاد مولات ويشير الباحث عبد الكريم عوفي أن هنـاك مخطوطـة تعـود للعهد العثماني وأورد هذا المخطوط أن سحنون ينتسـب إلى قبيلـة مـولات التي ترجع في الأصل إلى بني الأحمر في الأندلس إذ أنهم لما طردوا منها اتجهوا إلى جنوب المغـرب ومنـه اتجهـوا إلى جنـوب الجزائـر واسـتقروا في تـوقرت وبعدها اتجهوا إلى منطقة الزاب ثـم لجـؤوا إلى قلعـة بـني حمـاد ب المسـيلةثم خرجوا منها قاصدين جبل بوطالب وبعد سنوات عـاد سـحنون إلى المسـيلة بعد أن تزوج وكان ذلك خـلال القـرن 17 م حيـث اسـتوطن مـع أسـرته

مناطق في المسيلة الشرقية وتقول الرواية أن سحنون بن شينون قد عمل راعيا عند سيدي بركات وهو مرابط من بوطالب، وتضيف الرواية أن سحنون تزوج بامرأتين هما: هنية وبروكة، أنجب من الأولى ستة أبناء هم : محمد وعبد الله وعمار وعلي وسليمان ومسعود، وأنجب من الثانية ثلاثة أبناء هم : عبد الرحمن وأحمد ومبارك ولما كبرت أسرته استقر سحنون في نواحي مقرة عند أولاد زميرة.ودخل أولاد سحنون في صراع مع أولاد دراج وأولاد نجاع وكان صراعهم محتدما على الخصوص مع أولاد اعمر الذين يزعمون أنهم كانوا يشغلون في الماضي منطقة بريكة التي طردوا منها السوامع.

كما دخلوا أيضا في صراع مع أولاد منصور ثم مع السوامع الذين استقدمهم إلى المنطقة المرابط محمد بن الحاج المدوكالي ليزرعوا معه نصف الأراضي التي منحها إياه الأتراك، وظل أولاد سحنون أسياد هذه المنطقة في القرن 18 م .وتضم قبيلة أولاد سحنون حاليا الفرق التالية :

- أولاد محمد.
- أولاد عمار.
- أولاد عبد الله.
- أولاد أحمد.
- أولاد عبد الرحمن: والذين ينقسمون بدورهم إلى ست محموعات هي:
- أولاد شريفة.
- العياضات.
- الثعالب.

- العمسية.

- الدرامنة.

-أولاد مبارك. ومن العروش الكبيرة في المسيلة الشرقية نجد عرش أولاد سيدي غانم الذي ترجع المصادر الشفوية قدومه اليها – الى منتصف القرن 18 عندما غادر المرابط سي غانم بن علي وهران قصد الاستقرار في نواحي عين الكلبة وكان لديه 5 أطفال : بلقاسم، يحي، قندوز، سقاي، خالد .

- وقد كان يقوم بزرع أراضي على ضفاف وادي نفيد، في القسم الأعلى الذي يحمل اسم : واد منايفة، وعلى القسم الأسفل، القريبة من عين نخار

- كما أن أولاد دراج الذين كانوا مستقرين في الوطاية : تركوا أولئك النازحين الجدد بزراعة وحرث الأراضي التي كانت ضرورية .

- وبعد جيلين، فان النازلين من سيدي غانم أصبحوا كثيري العدد ثم عملوا على تقسيم ممتلكاتهم: حيث أن عائلات سيدي يحي وسيدي قندوز كانت لديهم أراضي في" لمنايفة"، أما الآخرين، فلديهم أراضي بنواحي عين نخار.

الأعراش والفرق المرابطية والشريفة بمنطقة المسيلة :

انتشرت ظاهرة الانتساب للأشراف في الجزائر خصوصا في الفترة العثمانية لما يحققه ذلك الانتساب من منافع مادية وحظوة ونفوذ، وغالبا ما تحمل الفرق المرابطية والشريفة تسمية أولاد سي أو أولاد سيدي كما هو الحال عند أولاد سيدي حملة وأولاد سيدي سليمان وأولاد سيدي محمود وأولاد سيدي إبراهيم وبعض الفرق الأخرى ولكلمة سي وكلمة سيدي

دلالة تربط الأولى بالجانب السياسي وأصبحت تعطى لكبار الأعيان والقياد وأعوانهم والثانية بالجانب الروحي أو الديني وكانت ترتبط بالمرابطين والأئمة وأصحاب الكرامات من الأولياء الصالحين .

إلا أن ظاهرة اللقب الشريف والصفة المرابطية لا تكاد تكون صحيحة دائما بمنطقة المسيلة، لان بعض العروش التي حملت اسم سيدي ليس لجدها صفة الإخوان المرابطين وينتسب بعضها الى الأتراك مثل عرش أولاد سيدي إبراهيم الذين ينتسبون الى إبراهيم الغول التركي ويعتبر المهندس المعماري لمدينة بوسعادة، وهناك فرعان من قبيلة سيدي براهيم أولاد سيدي تواتي وأولاد سيدي مرزوق شمال واد اللحم، وأهم قبيلة بهما أولاد سيدي بلقاسم التي تقطن أولاد سيدي رابح في بن زوه. وهنا تقع إشكالية الاسم بين النسب التركي وبين الجاه السياسي الذي امتد الى الأحفاد الذين حملوا اسم سيدي بدل سي.بينما العكس في حالة عرش سيدي هجرس الذي ترجعه الذاكرة الى الاشراف، حيث تغيب في فرقه كلمة سيدي كما سياتي.

عرش سيد ي هجرس :

قبيلة أولاد سيدي هجرس التي تنحدر من قبيلة محمد بن علي المسمي سيدي هجرس بن المسعود بن عبد العزيز بن سالم بن أحمد بن علال بن جابر بن أحمد بن علال بن أبو القاسم بن جعفر بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي كرم الله وجهه، وهذه القبيلة جاءت في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر من فأس بالمغرب وهي عائلة شريفة، ويتكون عرش سيدي هجرس من عدة فرق :أولاد عمرة. منهم بلمجنح، بن عمرة

أولاد عيشة . منهم مالكي، بن سنوسي، عبداللاوي
أولاد عيسى. منهم قريشي، بن عزيز
أولاد سي خربوش منهم بلحفصي بن رابح
أولاد محمد بن سعيد منهم بوشارب، سعيدي، صالحي
أولاد ناقب. حمراوي، شعباني، بن حميدة
أولاد تواتي. بلجغلولي بلخيري، زيداني، بلحاج، حاجي، بن غانية زمامتة. أولاد علي بن زميت وهم بلعمري، بن سعد، وعيل، بن محاد، بن عبد الكريم.

وحسب الذاكرة الجماعية التي تنسب الى سيدي هجرس كرامات خارقة، فان منطقة المسيلة التي كانت فترة قدوم سيدي هجرس تحت السلطة الحفصية، تعرضت الى محاولة السلطان الحفصي مولاي عصمان السيطرة على المنطقة، وعند عبوره بوادي اللحم امر من سيدي هجرس ان ياتيه بالحطب، وقد امتعض لهذا الطلب الولي سيدي هجرس والذي دفعت كراماته الى انسحاب القوة العسكرية للسلطان الحفصي، كما تشير الذاكرة ان سيسدي هجرس ترك اربعة اولاد بداية القرن التاسع الهجري وهم:قديم وعامر وعبد تالرحمن وعبد الله، وكان للولد الاول احفاد هم سيدي يحي ثم من بعده سيدي محمد الكريدر ودحمان الذي فكر في اقامة القبة التى يوجب بداخلها ضريح سيدي هجرس فترة دخول الاتراك وبمساعدة احد حرفييهم.

او اولاد سيدي محمود بوفالة الذي يعود اصله الى مدينة ازمير التركية.

- **عرش أولاد سيدي حملة :**

يعتبر أولاد سيدي حملة من أقدم العناصر التي استقرت ب المسيلة وهم ينتسبون إلى الأشراف حسب الذاكرة المحلية، والجد الأول سيدي حملة جاء للاستقرار بالمنطقة في القرن 12 م، ومن المحتمل أن ذلك تم خلال التوسع ألموحدي، وحسب الروايات المتداولة فقد وصل إلى سد الغابة جنوب المسيلة ثم قام بزراعة المنطقة بالزيتون وبعد فترة أقام معصرة زيت، وتنسب لسيدي حملة الكثير من الكرامات منها إفاضته لوادي القصب لمنع السلطان عثمان ثم إيقافه للفيضان ليعبر هو، وأمام هذه الكرامة اضطر السلطان عثمان للاعتراف بقداسة سيدي حملة ومنحه هو وأتباعه حق استيطان منطقة المسيلة مع إعفائه من الضرائب، وقد دفن سيدي حملة قرب سد الغابة .

ولكن الرواية وبعيدا عن الخرافات اللصيقة بها تبقى بحاجة لتوثيق علمي خصوصا الزمن الذي جاء فيه ذلك المرابط وهو القرن 12 م لأن لفظ أولاد سيدي كان نادر التداول قبل القرن 16 م حسب المصادر المتوفرة لدينا. ويقول أولاد سيدي حملة أنهم ينحدرون من أبنائه الأربعة، ولكن أولاد ماضي لم يعيروا اعتبارا للأصل الشريف لهذه القبيلة وقاموا بإجبارها على النزوح شيئا فشيئا إلى الرمل أين هي المواطن الحالية لفرقها الأربعة وبعض الأسر الغريبة عن المنطقة التي اندمجت معها.

ونلاحظ أن ضريح سيدي حملة وضريح ابن سيدي بشلالق يقعان قرب سد الغابة في أراضي أولاد معتوق عند أولاد ماضي.

يضاف لأولاد سيدي حملة مجموعة كبيرة من الفرق التي تنتسب للأشراف والمرابطين فقد وجدنا عددا كبيرا من القبائل والفرق تنسب نفسها لجد قدم من الساقية الحمراء مثل أغلب العروش الجزائرية وهي أولاد العوبي والعطالات وأولاد عدي القبالة وطلبة دوار ويتلان الذين اشتروا الأرض والماء من الزّبير وهم فرقة من دوار الزمالة في المعاضيد، وأولاد دهيم وأولاد بن صوشة وقسم من أولاد صالح وأولاد عدي الظهرة وأولاد خشايش بدوار مقرة وغالبية السلالحة والسوامع الاصليين، ويقول أولاد سعيد ببرهوم إن أصولهم من تافيلالت ونفس الزعم عند كل من أولاد سيدي احمد وأولاد الخضرة وأولاد بن ضحوة ودوار الزوي.

ـ الاعراش الوافدة الى منطقة المسيلة :

شهدت منطقة المسيلة منذ الاحتلال الروماني توافد هجرات في فترات مختلفة تبقى مجهولة في كثير من الأحيان، سواء التي وفدت عقب الفتح الإسلامي وتكوين الإمارات الإسلامية، والتي عمل الجانب السياسي دور في نقل بعضها منها أو إليها(كما حصل عند تأسيس المسيلة وأشير والقلعة) أو التي حصلت عقب الهجرة الهلالية الكبرى وما نتج عنها من اندماج أو تعريب جنسي أو لغوي (بقي يحمل في طياته الأصول غير العربية)، وإذا كان بعض الكتاب يعطي للأسماء أهمية كبرى في تفسير أصول الاعراش، إلا أننا لمسنا حالات عديدة لألقاب وأسماء لا تعطي الانطباع بالأصل الواحد، نظرا لوجود الألقاب عند القبائل البربرية والعربية على حد سواء.

أو ألقاب تركية وبربرية في آن واحد.إلا أن اغلب القبائل التي وفدت الى المسيلة جاءت بعد الهجرة الهلالية في المرحلة الأولى وعقب سقوط

الأندلس في مرحلة ثانية.ومن بين هذه القبائل الوافدة الى المسيلة في الفترة المتأخرة نجد:

-العريب :

هم أيضا من بين الأقوام الأولى التى التي استوطنت المسيلة في المرحلة الاولى وينتسب هؤلاء إلى شخص يدعى عريبي بن الطيب قدم من الحجاز مع موجة الهلاليين، وقد استقر مع أهله في منطقة الزيبيان، وظل العريب بالزيبان حتى مطلع القرن 14 م حيث زاد عدد سكان القبيلة بشكل لم تعد معه منطقة الزيبيان تستوعبهم فقرروا غزو منطقة المسيلة ملتمسين في ذلك عون المرابط سيدي هجرس الذي قدم من المغرب وتقول الاسطورة ان 99 عرش اجتمعت تحت امارة سيدي هجرس بمنطقة المسيلة لكن بوفاة سيدي هجرس بالموضع الواقع بين المسيلة وسيدي عيسى في جبل بوزيدية بدأت القبيلة تعرف الانقسام ودخل العريب في صراع مع عدد من قبائل المسيلة وهي أولاد ماضي وأولاد منصور أو ماضي وأولاد عبد الله وأولاد علي بن داود وتحتم على العريب في النهاية مغادرة المسيلة فاستقر بعضهم بصحراء جنوب المغرب، والبعض التجا الى واد معمورة بين شلالة العذاورة وبني موسى قرب سور الغزلان سنة 1541 والبعض الأخر من قبائل العريب خضع لسيطرة المقرانيين الذين وحدوا لفترات عديدة المسيلة تحت إمارتهم والبعض الآخر اتجه نحو التل جنوب سور الغزلان حاليا ثم في نهاية القرن 16 استقروا في سهل حمزة بالبويرة وتحالفوا مع الأتراك. ضد قبائل الاجواد مثل أولاد ماضي وردا لجميل قبائل العريب مع الأتراك قدم الاتراك لهم الاسلحة والمؤونة للدفاع وتحولوا فيما بعد الى قبائل المخزن نهاية القرن السادس عشر واول قائد من العريب تسلم مهام القيادة من

طرف الاتراك هو رابح بن طالب المتوفي سنة 1803 وجاء بعده نايلي بن محمد المتوفي في 1825 .

وبعد وفاة نايلي انقسمت قيادة العريب الى 5 فرقهم 1-أولاد زيدان2-بني مسلم 3-أولاد مهية 4-أولاد قمرة 5-الهضبان ويضمون حوالي 25 فرقةمنهم:أولاد سلمون، دقافلة، بني مسلم، أولاد سيدي داود، روبية، أولاد عبدة، قورة سبيسب، أولاد معمر، أولاد محمد بن علي، الهضبان، الحمادة، بني سليم، أولاد عليان، اللحوفية، أولاد عمار، ريمات، سراحنة، أولاد مهية، قورة الشعيبة، أولاد عبد الله، أولاد قمرة، أولاد عبد السلام، الكباطنة، اولاد الحاج. وقدر عدد سكان العريب بداية الاحتلال الفرنسي سنة 1844بنحو 36000 نسمة منها 1000 فرسان و3000 فانتازيا و32000 شيوخ وأطفال ونساء.

ومع ذلك فقد بقيت بعض الأسر منهم في المسيلة وأشار الورثلاني لوجودهم في القرن 18 م وأقامت بعض الأسر منهم عند أولاد عبد الحق وهي معروفة بالمعاريف وعند أولاد منصور بن ماضي وبعضهم لدى أولاد عدي عند أولاد دراج وغالبية السلامات ببلدية سيدي عيسى يقولون أنهم ينحدرون من العريب.

- **المخاليف** : يرج البعض العرش الى شخصية سيدي مخلوف الذي قدم من منطقة الجلفة، إن بعض المخاليف جاءوا من الجلفة كرعاة عند أولاد يحي بعرش اولاد ماضي وبعض السلالات ببلدية سيدي عيسى عند أولاد عطية واستقروا ب المسيلة واندمجوا مع باقي السكان مع الحفاظ على ذكريات نسبهم الذي يعود إلى الجلفة ونشير أن هناك عرش يسمى أيضا المخاليف

بالأغواط يُنسب إلى سيدي مخلوف وهو ولي عاش في القرن السادس عشر الميلادي، ولا ندري الصلة بينه وبين مخاليف الجلفة وقد يكون الأخير" مخاليف الجلفة" فرعا من الأول.

فرق قدمت من الزيبان :

يوجد عددا هاما من سكان المسيلة قد قدموا من صحراء جنوب الأطلس التلي وخصوصا من الزيبان وهم: الرباطة بأولاد صالح والدوالم والسعادات وسلمان الذين قدموا من سيدي عقبة والعواير وبير عنات وأولاد علي بالمطارفة الذين قدموا من بسكرة، وأولاد مولات وأولاد قاسمية الذين تعود أصولهم إلى أولاد جلال، وأولاد سيدي غانم بمتكاوك وقسم من أولاد اعمر بمقرة والعواير بأولاد ولهة بعرش أولاد عدي القبالة يقولون أن أصولهم صحراوية، وبعض الأسر من امدوكال ببسكرة قدمت للالتحاق بأولاد موسى بتارمونت منذ فترة طويلة .ووفد من أولاد علي بالزيبان قسم من أولاد سعيدي [أولاد بوعبن] من أولاد عبد الحق من في القرن 19 كما وجدنا أن أصول بعض من أولاد حلاس بدوار تارمونت تعود إلى منطقة بسكرة.

-و هناك فرق أصولها من أولاد نايل :

منذ القرن 16م استقر ب المسيلة عدد من فرق أولاد نايل الذين كانوا يأتون في الغالب لقضاء الخريف مع قطعانهم في مراعي منطقة المسيلة وخصوصا في السهول الغرينية بواد شلال "واد اللحم فيما بعد" كأولاد سيدي أمحمد الذين أصولهم من الجلفة وهم يتبعون أولاد موسى بتارمونت وبعض الحوامد الذين ليسوا من أولاد نايل استقروا عند أولاد موسى .

وقدم من أولاد نايل فرقة أولاد عطية من أولاد قاسمية بعرش أولاد عدي القبالة وأولاد فرج بالمعاضيد وأولاد حميدة في عرش أولاد صالح بدوار سلمان وأولاد عبد الله واولادحديدان والعواسة بالسوامع بدوار بوحمادو والحواشي وأولاد إبراهيم بن نجاع بدوار برهوم.

كما وجدت فرق أصولها من ريغة:

منها اولاد سديرة بدوار بريبري [العوينات واللوذاني] هم من ريغة ومجموعة صغيرة منهم أصولهم من أولاد تبان، وقدم من ريغة أيضا الحمايد بأولاد ولهة في أولاد عدي القبالة وهم من ريغة الظهرة وأيضا اللوذاني الذين قدموا عند السوامع منذ سنة 1750 تقريبا وزوانتية البراكتية بأولاد عدي القبالة هم من أولاد تبان .بينما هناك روايات عن اعراش ذات اصول مغربية مثل فرقة أولاد معتوق التى تنحدر من رجل يدعى يعقوب جاء من فاس مصطحبا معه أسرته الكبيرة .

ب-عروش المناطق الجبلية "الغير الحضنية":

تشير معظم المصادر إلى إن الأصول الأولى لسكان المناطق الجبلية كمنطقة ونوغة والدرياعات والخرابشة إلى القبائل البربرية .التي فرت من الأراضي السهلية على اثر الزحف الهلالي وتم تعريبها على مر الزمن، وتشير الكثير من التسميات للمواقع والأشياء وحتى السمات اللغوية إلى الارتباط الكبير بالمناطق الجبلية لبلاد القبائل.

واهم عروش المناطق الجبلية لبلدية المسيلة الخرابشة، بني يلمان والدريعات وملوزة إذا اعتبرنا أن ونوغة لا تمثل عرش بل تسمية للمنطقة

التي تكون جبال ونوغة التي هي امتداد لجبال المسيلة الشمالية الغربية وهي عروش لا تنتمي إلى المسيلة اجتماعيا بقدر ارتباطها الإداري بها وجغرافيا..

عرش بني يلمان وملوزة: يعرف العرش كذلك باسم أولاد جلال وأصلهم بربر وحسب ابن خلدون فان عرش ملوزة ينتمي إلى قبائل كتامة، بينما عرش بني يلمان إلى قبيلة زناتة، وعند الزحف الهلالي اندمج سكان ملوزة بالعرب أكثر من سكان بني يلمان الذين حافضوا أكثر على اصالتهم البربرية رغم تعربهم لغويا ويعتقد البعض أن التباعد الموجود منذ مدة بين العرشين يمتد إلى هذه الفترة، كما أن عرش بني يلمان تعرض إلى وفود جماعات من المغرب من مدينة فاس استقرت بجبال ونوغة ولا يرتبط العرش بشخصية دينية كحال ملوزة التي تشارك مدينة سيدي عيسى في شخصية المرابط الصالح سيدي عيسى بوقبرين" بوجود قبر بملوزة وقبر بسيدي عيسى المدينة".

وكان عرش ملوزة يمثل مجتمعا مترابطا واحدا قبل أن تعتمد فرنسا عملية تقسيمة إلى 11 فرقة سنة 1891 وتوزع مجموع السكان البالغين آنذاك 2988 نسمة على فرق هي:أولاد الحمران، أولاد حمودة، أولاد عبد الله، أولاد سعيد، أولاد احمد، أولاد بوراس، أولاد رحال، أولاد علي المنانة الزمالة، أولاد سيدي عيسى .

أما عرش بني يلمان فقد قسم إلى عدة فرق بدورة هي: أولاد سيدي محمد مبارك أولاد عزوز، إزالة، أولاد داود، المدامز .

والى جانب عرشي ملوزة وبني يلمان فقد سكن المناطق الجبلية لبلدية المسيلة المختلطة عرش الخرابشة الذي ينسب إلى عبد الله بن الشطر الذي

استقر بالمنطقة مع عائلته سنة 911هـ بموضع أولاد سلامة، وتمتد أراضي العرش من دوار السلاطنة ومنصورة شمالا "وهي مناطق بربرية" إلى عرش أولاد منصور بن ماضي جنوبا إلى مدينة المسيلة والضلعة والمكارطة جنوبا وأولاد سيدي إبراهيم غربا وقد حددت للعرش مساحة 35.994 هكتار كما قسم العرش إلى عدة فرق هي :الغراسلة، أولاد يحي، أولاد فايد، أولاد طلحة أولاد دشوشة، أولاد علالة، أولاد بقادي سنة 1896 .وقد كان العرش قبل هذا التاريخ بتوزع سكانه البالغين 28.90 نسمة على4 فرق فقط هم :أولاد الزاوش، الجعاجعية، القرادة، أولاد عيسى كما يمتد شمال عرش الخرابشة عرش الدريعات الذي يمتد إلى غاية سيدي عمار وكاف العسل والذكارة وعرعار، وحسب الروايات فان العرش كان يمثل وحدة اجتماعية مرتبطة بالبيئة الجبلية إلى حين قدوم جماعات أخرى كونت فرقة ثانية عرفت بفرقة الدار الصغيرة أي أولاد سيدي اعمر، تميزا لها عن الفرقة الأصلية الدار الكبيرة أو الدريعات وعند رسم حدود بلدية المسيلة المختلطة قسمت فرنسا العرش إلى فرق جديدة هي أولاد طاجين، لفوانيس أولاد بوهادي، الضلعة الكراشة، أولاد سيدي عمر .والى فترة قريبة استمرت العروش الجبلية لبلدية المسيلة أكثر ارتباطا بالأقاليم الشمالية البربرية في حياتها اليومية

الأعراش والفرق ذات الأصول التلية :

إن الذين أصولهم تلية كثيرون كالحواسة والمطارفة الذين استقروا منذ 1829 في دوار بير العانات وقدموا من منطقة بويرة وعين بسام والخلاليف من دوار الجرف ينحدرون من علي بن خلف الله القادم من وهران حوالي

سنة 1650 وقسم من البرابرة بعرش أولاد عدي القبالة أصولهم من منطقة عين البيضاء.

وبالمقابل نجد أن المناطق الجبلية التي تحيط ب المسيلة في الشمال والشمال الشرقي قد جلبت عددا كبيرا من المهاجرين البعض أصولهم من المعاضيد مثل قسم من البرابرة بأولاد عدي القبالة والشويرات بأولاد صالح بدوار سلمان، وأولاد سلامة بالمطارفة الذين قدموا في الفترة ما بين 1700- 1750 تقريبا وعياضات متكاوك وعجيسة عند السلالحة بالجزار هم من قدماء البربر القادمين من الجبال.

الأعراش والفرق القادمة من زواوة وونوغة :

إن بعض الفرق أصولها من زواوة مثل غالبية البراكتية بعرش أولاد عدي القبالة، والمطارفة أصولهم من قلعة بني عباس أو زمورة، والعمماير بدوار سلمان أصولهم من مزيتة، والمنايفة ببرهوم أصل قسم منهم من قبائل آقبو، وقاوة بالجزار هم من زواوة الوسطى .

وهناك قسم من أولاد عبد الحق قدموا من بني يلمان بزواوة وبعض أولاد سعيدي هم في الأصل من الخرابشة، وبعض الأسر من أولاد حلاس بتاغمونت قدموا من العداورة بزواوة أيضا، ومن بين الخناتشية بدوار بريبري فإن الكثير منهم قدموا من زواوة .

وبالنسبة لمنطقة ونوغة فقد قدم منها الدحادحية ليستقروا عند أولاد معتوق، وجاءت بعض الفرق من ضواحي قلعة بني عباس والمنصورة كحال

بعض الأسر من أولاد موسى ومن أولاد حلاس بتارمونت وأولاد سيدي إبراهيم ببوخميسة بدوار لقمان .

إضافة إلى المجموعات السابقة فقد جاءت مجموعات أسرية صغيرة من الدواوير المجاورة واستقرت بعد شراء الأراضي بالمنطقة، وهكذا وجدنا الحجاجبة بالسوامع عند المطارفة بأولاد علي والبراكتية شرق المطارفة والرواقد بدوار سلمان عند أولاد ولهة منذ حوالي 1875 تقريبا والمحاميد بدوار سلمان هم عند أولاد قاسمية وقسم من أولاد إبراهيم بن قاسمية طردوا عند أولاد ولهة نتيجة النزاع على الماء، وبلغربي بالمطارفة اشتروا حديثا أراضي شمال دوار بير حنات وأولاد بلقاسم بالمطارفة استقروا بدوار لقمان، وسكن المسيلة وضواحيها عناصر مختلفة أغلبها قادمة من الأرياف كأولاد لحسن من زهريق بالمطارفة وأولاد دهيم .

ومنذ منتصف القرن 19 قدمت أسر تقيم بأماكن قريبة من المنطقة للاستقرار فقد وجدنا أولاد سلامة والخرابشة من ونوغة قدموا للاستقرار في شمال دوار تارمونت وأولاد بلقاسم من المطارفة [أولاد دراج] قدموا بأعداد كبيرة للسكن جنوب دوار لقمان واللوذاني من السوامع شكلوا مجموعة من أكثر من 120 أسرة في دوار شلال وقدم أوائلهم منذ سنة 1880 تقريبا، ووصل أولاد دهيم من منطقة سلمان إلى دوار بريبري.

والزناخة قدموا من شط الجريد عبر شبكة مزاب إلى منطقة شلالة في أعالي الإستبس قد انفعوا حتى المسيلة في بداية القرن 19 م وهزموا من طرف أولاد ماضي وانسحبوا إلى منطقة بوغزول جنوب بوخاري وفي السرسو الشرقي. وأولاد علي بن خالد بدوار شلال وأولاد بلقاسم بدوار

لقمان هم من المطارفة من أولاد دراج وقدموا منذ بداية القرن 20 وبعض الأسر من مدوكال قدمت للالتحاق بأولاد موسى بدوار تاغمونت منذ فترة طويلة .

وأخيرا فبعض المجموعات من أسر الدواوير المجاورة قدمت في فترة تبدو حديثة واستقرت في أراضي أولاد ماضي فالمراشدة من فرقة أولاد عبد الحق استقروا حديثا عند جيرانهم أولاد معتوق والسوامع من اللوذاني قدموا للاستقرار نتيجة حجز أراضيهم لفائدة الحشم .

وكانت عملية اندماج هذه المجموعات هي نفسها دائما فالقادمون الجدد يصلون أولا كمزارعين يزرعون الحبوب لبيعها للرعاة "أولاد ماضي" ويستقرون في البدء في أكواخ مؤقتة ثم في بيوت من الطين تتجمع في شكل دوار، ولما يحالفهم الحظ يقومون بشراء الأراضي ولا يغادرون المنطقة بعد ذلك.

تحولات مجتمع منطقة المسيلة في ظل الاحتلال

وجد الهيكل القبلي وسلطة الجماعة وتوازن المجتمع الريفي بمنطقة المسيلة نفسه في وضع خطير بسبب السياسة الاستعمارية التي كانت تهدف في البداية وبدرجة أساسية، مراقبة وتحرك البدو الرحل الذين اعتبروا عند الاحتلال عقبة كبيرة في مد السيطرة الاستعمارية على المنطقة، ومن الوصول إلى هذا الهدف استعملت الإدارة الاستعمارية عدة طرق ووسائل، من اجل تحطيم البنية الاجتماعية القبلية وتثبيت البدو الرحل.

لقد استمرَّ التَّنظيم القبلي بالجزائر عموما التنظيم السائد إلى غاية الاستعمار الفرنسي، وكان المجتمع بمنطقة منطقة المسيلة كغيره من سكان الجزائر منظما تنظيما قبليّاً حادًّا. ومن هنا جاءت المقاومة العتيدة للاستعمار، وكان استمرار هذه المقاومة مرتبطاً أيضاً بهذا النوع من التنظيم، ولكن ما هو مفهوم القبيلة التي نتحدَّث عنها بالنّسبة للحضنة الغربية ؟ وما هي عوامل التَّماسك والتوازن التي ظلت تحافظ على بنيتها؟ وكيف عملت فرنسا على تفكيكها.

يعرف عالم الاجتماع الفرنسي الأستاذ بورديو P، Bourdieux . الذي قام بدراسة سوسيولوجية لاعراش المسيلة تضمنها كتابه سوسيولوجية الجزائر sociologie de l'Algerie بان القبيلة في المسيلة اتحاد فيدرالي لمجموعة من الفرق، يزعم أفرادها أَّنهم ينحدرون من جدّ واحد مشترك، ينسجون حول شخصيته الأساطير. ولكن الواقع يبدو أكثرَ تعقيداً من هذه الصورة المبسَّطة.

إذ يجب أن نترك جانبا أمر القرابة الدموية، ذلك أنّ القبيلة، يقول بورديو، هي في حقيقتها تجمُّع سكاني متعدّد الأصول، أما شجرة النسب داخل القبيلة فهي مجرد محاولة بناء نظري بحت. وبناء على ما سبق تحليله، فإنه يبدو من المفيد لموضوعنا أن نطرح جانبا أمر القرابة الدموية في تعريف القبيلة في منطقة المسيلة. ذلك أنه في المناطق السّهبية والصّحراوية مثلا نجد العائلات التي تكوّن القبيلة ترجع إلى أصول مختلفة، ويكون الاسم الذي يطلق على القبيلة- غالباً- هو نفسه اسم فرقة من الفرق المكوّنة لها، والذي فرضته على العائلات والفرق الأخرى، كما يلاحظ مرّاد علي أنه من النادر ظهور مثل هذا النوع من القبيلة في منطقة التّل، ولا تظهر إلا في

حالات ظرفية، عندما تتحد بعض العائلات لتحقيق أغراض معينة كما حصل لعرش الحملات مع أولاد ماضي أو السوامع مع أولاد دراج، كالاحتماء ببعضهم في الحروب .

وما ينبغي أن نؤكد عليه -مجددا- هو أن هذا النوع من التنظيم في منطقة منطقة المسيلة، ظل محافظا على طابعه القبلي، على امتداد القرن التاسع عشر وإلى بداية القرن العشرين. وقد ظلّت جميع القرارات الهامة تتخذ داخل هذا الإطار القبلي، الذي يعمل بدوره على حماية أفراد. ويضرب بورديو عرش أولاد ماضي بمنطقة المسيلة مثالا لذلك.

المعروف ان القبيلة بقيت طرفاً سياسيا مع السلطة المركزية العثمانية في الجزائر، ولم تكن تستكمل تشكيلها إلاَّ في مواجهة التّحدي الخارجي باعتبارها وحدةً سياسيةً وعسكريةً، تتشكَّل ظرفياً في مواجهة الخطر الذي بترصدها عند حدودها، إن القبيلة بهذا المفهوم، تتشكل من عائلة موسعة، تنضمُّ إليها عائلات أخرى، من أجل الدفاع عن مصالح مشتركة. وكلَّما كانت المجموعة على جانب من القوة، كلَّما زاد عدد العائلات التي تدخل تحت لوائها، وتتعزَّز الرَّوابط داخل هذه المجموعة بفعل المصاهرة. وبالتالي، يمكننا التأكيد على كون القرابة داخل القبيلة هي اجتماعية لا دموية، وهكذا صارت القبيلة تمثّلُ أوسع شكل للتنظيم .

- تحولات القبيلة في ظل الاحتلال بمنطقة المسيلة

سبق عملية تقسيم عروش منطقة المسيلة إداريا أي بعد تكوين البلديات المختلطة بإقليمها، قانون سينانوس كونسيلت 1863 الذي أحدث ما يمكن اعتباره عمليات جراحية في بنية المجتمع الجزائري عموما

واعراش المسيلة خصوصا .ففكك روابط العرش الواحد وجزئه إلى وحدات صغيرة، وعمل قانون إنشاء الملكية الخاصة على إبعاد علاقات التضامن والتكامل التي وجدت منذ قرون بين أفراد العرش الواحد، كما عمل الاحتلال على إبداع تسميات جديدة لعروش جديدة مرتبطة بالمنطقة الجغرافية أو الوحدة الإدارية، أكثر من روابط الأصل أو الانتماء، كما عمل على إعادة ربط الجماعات إداريا بصفة تؤدي إلى مزيد من التباعد بينهما، والى التنقل والحركة البعيدة عن الموطن بسبب العلاقة المباشرة لسلطة الإدارة الاستعمارية على السكان، ولعل الأمثلة كثيرة التي تبرز جوانب ومظاهر هذا التوجه الاستعماري بداية بعرش أولاد دراج الذي أعيد تقسيمه إلى عدة فرق منذ 1867.

وقسم عرش السوامع سنة 1890 إلى 4 فرق كبيرة هي اللوذاني، أولاد عبد الله ن الهجارس، أولاد حديدان بعد ان فصل عن العرش الكبير اولاد دراج الذي تكون فيه، وتكونت مجموعة فرق صغيرة عن فرقة السوامع وهي: العسالة، الدرابلية، الزراردة، الخلوفية، أولاد قمرة، لجعادرية، الزوارق، المرايش، أولاد رحال، أولاد عجابي. وبعد أن كانت أراضي العرش مشاعة بين سكان أولاد دراج بصفة عامة فقد حددت الإدارة الاستعمارية أراضي السوامع في بوحمادوا بعد أن قسمت فيما بين هذا العرش الأراضي التي يفصلها واد بوحمادواعن الفرقات الأربعة الرئيسية .في حين فصلت منطقة بئر العانات التي يقطنها أولاد غنايم وكونت لها إدارة منفصلة وقسمتها إلى فرق صغيرة باسم أولاد غنايم وكرست بذلك سياسة التفرقة بين هذه الفرقة وفرقة سوامع بوحمادو باعتبار إن أولاد غنايم لم

يحاربوا إلى جانب المقراني الذي وقفت بجانبه بقية عناصر السوامع خصوصا أولاد عبد الله.

إن هذا لتقسيم الجديد للعرش استهدف المرحلة النهائية في تحطيم البنية الاجتماعية وإعاقة استمرار الإنسجام بين السكان، كما ان قانون ورانـي 1873 إستكمل بمنطقة المسيلة عملية التفكيك بتحويل ملكيات العروش الجماعية إلى ملكيات فردية وحطم بذلك المجتمع التقليدي، وافرز ظهور هيكل غير متوازن للملكيات، وتكوين فوارق عقارية ينجز عنها فوارق اجتماعية، ومن خلال ذلك بداية حرمان العالم الريفي من نمط تربية المواشي بإقليم منطقة المسيلة السهبي كما أفرزت هذه التحولات واقع جديد بعيد كل البعد عن عقلية الإنسان المحلي المبنية على التآزر والتضامن والانسجام.

كما أدت عمليت إنشاء مركز الاستيطان الأوربي بالمسيلة واحتوائه على النصيب الأكبر لمياه وادي القصب، إلى انهيار عمل التكامل الاجتماعي منذ 1870 بحيث امتلك المعمرون الأراضي الواسعة للسهول الشمالية وأصبحت لهم عقود سلمت لهم من قبل وارني warnier نفسه، وبدأت بذلك قصة تقهقر الملكية العقارية للفلاح لمنطقة منطقة المسيلة، والذي تحول إلى إنتاج الزراعات المعاشية الضعيفة المردود بعد أن حوصر بين ظاهرتي الاستعمار والانفجار السكاني .

والجديد في السياسة الاستعمارية بمنطقة منطقة المسيلة هو تلك الإجراءات القانونية التي أعاقت تحرك الإنسان والحيوان في محيطه الطبيعي، بعد تحديد الملكيات، ومنع مرور المواشي أو رعيهم في الأراضي التي كانت

فيما قبل ارضي عرش، وانتقلت إلى الدومين أو الكومينال أو الخواص، وهذه الإجراءات أدت إلى تحويل مستوى الإنسان بصفة عامة من إنسان ميسور إلى مزارع صغير، ومربي صغير للمواشي قرب المناطق الفيضة القليلة. وأدت العملية ككل إلى تفقير المجتمع الحضني بعروشه بعد نمو ظاهرة الاستقرار للبدو الغير مألوفة، فقد بدأت العمليات الأولى للاستقرار منذ إنتصاب الإدارة المدنية بالمسيلة 1885 وارتفعت بين سنة 1911 حيث تم إحصاء 9192 مسكن مقابل 5797 خيمة ليرتفع عدد المساكن على حساب الخيم التي لم تعد تمثل سنة 1936 إلا 19.5 من٪ من المجموع .بعد ان كانت هي المسكن الاساسي لسكان ريف منطقة المسيلة قبل الاحتلال.

وحاولت فرنسا من خلال هذه التقسيمات التي أفرزت إلى الوجود وحدات جديدة هي الدواوير المنبثقة عن العرش الواحد، أن تجعل منها واقع حتمي بعد عملية التهديم الاجتماعي التي جاء بها قانون ستانوس كونسيلت 1863 كما أن هدف هذا التقسيم هو القضاء التدريجي على الرابطة القوية التي كان يتمتع بها العرش وأفراده من خلال الفرق والعائلات.

فمنطقة منطقة المسيلة المشتهرة بتربية المواشي أكثر من الزراعة وبالتنقل والحركة أكثر من الاستقرار، كان الدوار بها نتاج كولونيالي لتجميع أفراد الفرق والعرش المجزء، لمنعها من مواصلة نشاطها الرعوي من جهة، وللسماح للمعمرين الجدد في التوسع في الأراضي الخصبة التي سوف يستقبل فيها أهل الدوار كعمال موسمين عندهم .إن هؤلاء العمال الذين تحولوا إلى أجراء لم تعد لهم أراضي بعد أن تحولت إلى الدومين أو أملاك الدولة الفرنسية وأدى هذا التحول إلى تفقير الأهالي الذين باعوا أملاكهم إلى المحتكرين الجدد خصوصا اليهود منهم .

إن الشيء اللافت للنظر في هذا التحول الاجتماعي والاقتصادي لسكان منطقة المسيلة هو ذلك التراجع الكبير لروح الجماعة وبروز الروح الفردية خصوصا بعد انقسام العائلات، وتزايد اهتمام الرجل بأفراد عائلته عن أفراد العرش الذي كان ينتمي إليه ويحميه في ظل تحول السلطة إلى المحتل الجديد.

3-تفكيك القبيلة وبروز الدوار بمنطقة المسيلة

كانت سنة 1870 محطة تاريخية في ظهور الحركة الاستيطانية لمناطق التل الجزائرية واقليم منطقة المسيلة، ومن بعدها السفوح والسهوب، وبدأت قصة جديدة للفلاح في ارض المسيلة حيث يحاصر بين الاستيطان من جهة وبين الزيادة البشرية فالأراضي المشاعة التي كانت تجوبها المواشي تقلصت كثيرا وأصبح من الصعب تنقلها والنتيجة انه خلال 40 سنة بعد 1870 أي 1910 تقلصت المواشي من 200 ألف رأس الى 100 ألف رأس.) ويعتبر تطور الاقتصاد الزراعي باحداث المكننة الفرنسية على حساب تربية المواشي من عوامل تقلص المواشي وتحول الرعاة نحو خدمة الأرض بعد تقسيمها بين الأفراد وكانت لظاهرة استقرارالرحل نتائج سريعة في عملية النموالسريع للمباني أو الأكواخ وتقلص عدد الخيام التقليدية. لقد تزايدت حركة بناء الأكواخ بين 1920-1952 على حساب الخيم في منطقة المسيلة حيث يقدم الجغرافي الفرنسي ديبوا في كتابه المسيلة ان الخيم تقريبا اختفت من منطقة المسيلة سنة 1952 بسبب التحول في نمط السكن، وحتى في المناطق الرعوية تقلصت بشكل كبير الخيم لتحل

محلها المباني الهشة الشبيهة بالأكواخ. ولم تعد الخيم تمثل إلا نسبة 40 بالمائة من مجموع المساكن الموجودة بمنطقة المسيلة في سنة 1911 في الوقت الذي كانت فيه هي المسكن الأساسي عند بداية الاحتلال .

وقد تضاعفت عملية تكوين مباني الأكواخ على حساب الخيم عقب الحرب العالمية الثانية لتصل نسبة الخيم 19 بالمائة من مجموع المساكن1939 أي قبل الحرب العالمية الثانية.

ومن جهة ثانية يظهر تحول أخر في إطار انتقال نمط حياة العشابة الرحل إلى عمال إجراء مرتبطين بالأرض، وكانت حركة الانتقال للبدو قبل الاحتلال تتم بالانتقال وراء الكلأ بين سفوح المسيلة وأراضي التل في ؤنواحي الهضاب العليا السطايفية والسهول القسنطينية، شتاء وصيفا ومنذ بداية القرن العشرين بدأ التحول الهام في اختفاء الروابط والعلاقات التي وجدت منذ مدة بين اهالي منطقة المسيلة واهالي التل بانتقال البدو الرحل في منطقة المسيلة الى عمال زراعين او اجراء مستقرين، في إطار نشاطات ثانوية كما ان التوسع الذي حصل في زراعة الحبوب على حساب تربية الماشية والرعي في السفوح العليا للحضنة الغربية أدى في البداية الى توفر فرص العمل لكن في المقابل أدى إلى تقلص الثروة الحيوانية.

المتتبع لتاريخ أزمة البدو الرحل في منطقة المسيلة يلخصه في تدهور نمط الإنتاج التقليدي من خلال سيطرة سوق الرأسمالية عليه ونستطيع القول أن البدو الرحل تم القضاء عليهم بمرحلين زمنيتين.

1-من جهة بعملية تحول وسائل الإنتاج من أيدي البدو الرحل مربي المواشي إلى فائدة المستوطنين الأوربيين والتجار اليهود المتمركزين في مراكز الاستيطان بالمسيلة بوسعادة وسيدي عيسى.

2-من جهة ثانية تأثير عملية التنمية والتطور الحاصل في قطاع وشروط مراحل تربية المواشي في إطار السوق الجديدة (المرتبطة بالنقود والمركبات وخوصصة وسائل الإنتاج،)الى سيطرة روح المادة على الروح التضامنية المعنوية التقليدية وظهور الانفرادية وهذا يمثل عامل التهديم الذاتي لعالم البدو الرحل.

سبقت عملية تكوين للإدارة المدنية بمنطقة المسيلة فترة احتلال قاربت نصف قرن، ساهمت خلالها عناصر الاحتلال العسكرية في استخلاص حقائق المنطقة الطبيعية والاجتماعية لتوظيفها في سياستها المستقبلية التي تصب في تشجيع المعمرين للاستيطان كمعمرين، بامتلاك الأراضي وتوفير اليد العاملة الأهلية، التي توقف نشاطها الرعوي بفعل سياسة التفكيك والتقسيم الاجتماعي .

ومركز الاستيطان الفرنسي بالمسيلة قد تم إنشاؤه منذ 1912 بعد أن خصصت الإدارة مجموع 24 قطعة من 62-128 هكتار للبيع ثم تجمعت القطع في 9 قطع للمعمرين التسعة.

كان ارتباط التجارة بالريف المحيط بها كبيرا، من حيث التبادل الاقتصادي والمنافع أو العلاقات الاجتماعية والتي ظلت المدينة مركزا لها، وبقيت الموطن الوحيد للتظاهرات الدينية وأحداثها، والسوق الهام للمواشي والسلع، ومساجدها العتيقة قبلة المصلين أيام الجمعة .لكن هل استمر هذا

الدور بعد تكوين البلدية المختلطة وهل حافظت المدينة على انسجامها؟ ووظيفتها الإقليمية في ظل المعطيات الجديدة كيف تعاملت السلطة المدنية الجديدة مع ماضي المدينة ؟.

إن مركز المسيلة كمركز حضاري اسلامي بدأ يفقد أهميته بالنسبة للأهالي منذ الشروع في تطبيق قانون سناتوس كونسلت على عرش المسيلة 1886 حيث قسمت أراضي البلدة إلى أصناف ثلاثة، علما إن مدينة المسيلة معظم أراضيها أملاك خاصة متوارثة منذ قرون، وقد استهدفت السلطة الاستعمارية الأراضي الخصبة المسقية التي كانت بحوزة الأهالي، لذلك عمدت إلى مصادرتها وتعويض الأهالي بأراضي الدومين ذات النوعية الرديئة.

وعموما تبقى مسالة انتساب هذه العروش تحتاج الى تاكيدات عديدة من حيث اصولها وتاريخ هجراتها الى منطقة المسيلة، لان كثيرة هي الروايات التي تعطي الانطباع للقارئ بالانتساب الى الشرفاء وكثيرة هي الاعراش التي تدى انها وفدت من الساقية الحمكراء ووادي الذهب ولا يعرفون من كان بهذه المنطقة ومتى حصلت الهجرة واشياء اخرى تبقى في طي الجهل.

المؤكد من هذه الروايات ان هناك انتساب عربي لاغلب الفرق والعروش الحضنية، وانتساب متعدد لاهل مدينة المسيلة بين الكراغلة والبربر، ويبقى التاريخ هو الذي استطاع دمج هذه المجموعات البشرية التي اصبحت تحس بالانتساب الى هذه الرقعة الجغرافية التي صقلتها وافرزت ما يسميه السكان بالانسان الحضني.

بيبليوغرافيا الكتاب

-الأرشيفــات :

1-ارشيف ما وراء البحار باكس اون بروفانس بفرنسا

Aixe-en Provence:- - ARCHIVE –D'OUTR MER1-

Gouvernement général de l'Algérie

Serie F:

F80.501:cerclez de bousaada 1850.

F 80.505:cercle de bousaada 1856.

F80.506:cercle de bordj bouareridj 1857.

Bureaux arabe du constantinois dossiers(série K(

1k190:correspondance avec l'annexe deM'sila1883.1885.

1k276/279:troubles dans les tribus.1863.1864.

1K308:tribu Hachem 1884-1888.

1K337:carte des voies d'exploitation dans le bassin du Hodna 1866.

1K412:bousa ada culte 1862-1874.

3K5:division de Constantine ،correspondance 1841-1854 ،(annexe de cM'sila ، personnels ، commandement ،statistique et resencement1883(

63K3 :cercle de bordj bouareridj(1850-1881)personnels et commandement(

Rapport hebdomadaire 1860-1873 ،situation matériel des tribus ،

63K6(6-10)rapports mensuels 1850-1873.

63k14:cercle de BBA résume des faits historiques et militaire 1877.

63k16:administration et comptabilité(impôt et contribution de guerre 1871-1873. ، état de recouvrement de contribution de guerre 1871-1880.

64K1:poste m'sila ،1871-1873(personnels et commandement(

Rapport hebdomadaires(1871-1873(

65K1:Annexe de m'sila(1871-1884) ،tableaux d'organisation(1870-1880(

Note sur les Chefs indigènes 1870-1875.

65K2:rapports hebdomadaires 1870-1880.

65K7:statistiques et renseignements1872-1882. ،colonisation dénombrement de la population 1774-1884 ،rapport sur les personnalités influentes

65k8:impôts ،santé publique ،enseignement ،écoles –arabo –musulmans

Statistiques de population ،commerce ، situation agricole

68K1/68K2 jusqu'à 68k14(bousaada ، fait historiques.(

40KK29:bureaux arabe ،cercle de setif.

Serie H organisation Administrative(affaire indigène(

2H17:Ouled amor (Hodna 1860(

2H19:colonne du Hodna 1860.

2H25:opération militaire Hodna 1847-1855.

-note sur l'organisation du hodna avant 1844.

6H1:notice biographique sur les chefs indigènes de la province de Constantine;el mokrani ،ben gana.

2H61:Hodna ،insurrection de 1871.

6H28:cercle de Bordj Bouareridj-6H34:chefs et personnalités indigènes 1841-1898.

8H3:Historique tribus de constantine.

8h4:organisation des cercles de Batna ،dossier Souamaa.

8H7;subdivision de setif(création et organisation des cercles de BBA M'sila ، Bousaada ،notice historique et géographique.1940-1880.

8H21:cercle de Bousaada1883-1904.

-Historique de cercle de bousaada .1849-1853.:organisation du territoire de sud (bousa ada ، sidi aissa(

-precis historique du cercle de Bordj Bouareridj1857

10H76:historique de l'annexe de Barika.

16H61:Rahmania el Hamel(Bousaada.(

16H74:oulema.

11H28:rapport sur la situation politique février 1872

Serie M: Senatus consulte

M1002(82)117mcom179 ،rapport d'application du senatus consulte de M'sila 1905

M86/117mcom148 ،mellouza.

M87(113) 117-161 ouled derradj1867

M60(95)117-105 ouled Madhi 1896

M103(297)117-183 ouled mansour 1910

M107(328)ouled sidi brahim 1926.

M49-105 ،ouled sidi aissa ،1901-1928.

M53-M107(322)ouled sidi hadjress 1921-1923.

M101(285)117-180 Souamaa 1906

M95(239)117-167ouled hannech 1900.

M100(283)117-mcom150) Maadid 1905

M53(117-mcom88)ouled abdallah 1923.

M104(300)117/mcom124 Kherabcha 1910.

M110(322)ouled khaled 1938.

M107(330)ouled ameur 1926.

M93(211)117/mcom163 Dreat.

الأرشيف الاستعماري بلدية المسيلة المختلطة ACMM:

2: أرشيف ولاية قسنطينة ADC:

FOND DE L'ARCHIVE COLONIALE DE LA COMMUNE MIXTE DE M'SILA
statistiques، Notice، Rapport، Monographie

3-أرشيف مديرية مسح الأراضي بقسنطينة ACC

PVd'aplication de senatus consulte des tribus de M'sila ،Ouled derradj ، Ouled Madhi ،Souamaa ،

PVN°:170 M'sila

الأرشيف الاستعماري بلدية المسيلة المختلطة ACMM:

ثانيــا: المؤلفات باللغة الفرنسية (كتب ومقالات).

.1 l'Abbé Burzet:l'Algerie ،1866-1867-1868 ،sauterelles ،tremblement de terre ، cholèra ،famine ،imp de E.Garaudel (Alger)1869.

.2 Achille ،Fillias:Histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie (1830-1860) ، -A. de Vresse (Paris)-1860

.3 Addi;(houari):De L'Algérie Précoloniale à l'Algérie colonial;économie et socité ;ENAL ،Alger ،1988.

.4 André prenant: facteurs du peuplement d'une ville de l'Algerie:Setif ،in Annales de geographie ،anneé1953 ،volume 62 ، numero 334 ،pp434.451.

.5 Augustin Bernard: Structure de l'Algerie ،in Annales de geographie ، anneé 1923 ،volume177 ،pp271-275.

.6 Augustin Bernard : L'evolution du nomadisme en Algerie ،Annales de geographie ،Anneé 1906 ،volume 15 ،numero 80 ،pp 152.165.

.7 Ageron ،(Charles ، R):Histoire de L'Algérie ،contemporaine; PUF ، Paris;1982 .

.8 AGERON ،CR:les Algériens Musulmans et la France ،PUF1968.

.9 Ageron ،(ch ،r): Les migrations des musulmans algeriens et l'exode de tlemcen(1830-1911)Annales ،Economies ،Societés ،Civilisation ،Anneé 1967 ، volume 22 ،numero 5 ،pp1047.1066.

.10 Alquier ،(P):Notices concernant les communes mixtes du département de constrantine ;M'sila ،1927.

.11 Augustin ،(Bernard).L'organisation Communale des indigène de l'algerie ، librairie Emil la rose ،Paris 1918 .

.12 Bayle ،c:une excursion dans le département d'Alger ،paris ،1888.

.13 Berbrugger ،(A) les Aribs ، ،in RAF1864.

.14 Berque ،(J)Aspect du contrat Pastoral a Sidi Aissa ، in RAF 1936.

.15 Beyssade ،(J):Monographie de la commune mixte de Maaddid. Alger1948.

.16 Blanchet ،M:Excurtion archeologique dans le hodna et le sahara ،in recueil des notices et memoires de" la societe archeologique de la province de constantine ، 1863 ،

.17 Boudia ،(Mérad);La Formation sociale Algérienne Pré coloniale essai d'analyse théorique OPU ،Alger.1981.

.18 Boudoin ،Robert:monographie manuscrite sur la commune mixte de M'sila1937.

.19 Boujades ،(G):notes chronologique sur la région d'Aumale (1845 ، 1878)in(RSADO1891.(

.20 Boukhobza ،(M) nomadisme et colonisation ، thèse de 3eme cycles-1976.ecole des hautes Etudes en sciences sociale Alger

.21 Bourdieux ،(P) :sociologie de L'Algérie ،PUF.6em édition Paris ، 1980.

.22 Boyer (Pierre):La vie quotidienne a Alger à la veille de L'intervention Française ، Hachette ، Paris ،1963.

.23 Brunchivg ،(R) :La Berberie orientale sous les Hafsides ،La Maison neuve ،Paris ، 1940.

.24 Brunhes ،Jean: Etude de geographie humaine ،L'irrigation ،ses conditions geographique ،ses modes et son organisation dans l'Afrique du nord ، faculte des lettres ، universite de Paris ،1902.

.25 Bulletin officiel du Gouvernement de L'Algérie.

.26 Buraux ،(L):Le nomadisme et la colonisation sur les haut Plateaux de L'Algérie ،Paris ،1931.

.27 Callot ،(Claude):les Institution de L'Algérie durant la période coloniale (1830-1862)Alger –Paris ،OPU ،CNRS ،1987.

.28 Carrette ،€ :Exploration scientifique de l'Algérie 1840

.29 CAT:Petite histoire de l'Algérie ، Alger 1889.

.30 Cheyron commandant:l'insurrection de 1871 en Algérie ، journal d'un officier ، -H. Plon (Paris)-1873

.31 Congrès de la colonisation rurale. 3 ، Monographies algériennes : Alger 26-29 mai 1930 / [organisé par le] Comité de l'Afrique française -Ancienne impr. V. Heintz (Alger -(

.32 Daumas ،(E):le Sahara Algérien ، Dubos Frères ،Alger ،1845.

.33 Despois(J):La Bordure saharienne de L'Agerie Orientale in ،RAF:1942.

.34 Despois ،(J) et Raynal: Géographie de l'Afrique du Nord ،Paris ،1964.

.35 Despois ،(J):Le Hodna ،PUF ،Paris ،1953.

.36 Despois ،(j):La repartition de la population en Algerie ،Annales ، economies ،societés ،civilisations ،anneé1960 ،volume 15 ،numero 5 ،pp915-925.

.37 Despois ،J ، L'Afrique du Nord (colonies et Empires)PUF1954.

.38 Despois ،j: relief et hydrographie des hautes plaines constantinoises ،in Annales de geographie ،anneé 1952 ،volume 61 ،numero 323 ،pp62.63.

.39 Duval(J)et warnier ،(A):Bureaux arabes et colons ، Paris ،1869.

.40 -Edmont ،Sergent et autres:Contribution de l'institutPasteur d'Algerie à la connaissance humaine ،in cahier d'outre mer ،volume 7-8 anneé 1954 ،pp305-310.

.41 Feraud ،(ch ،L) Les Beni Djellab ، sultans de Tougourt notes historiques sur la Province ، de Constantine in RAF N°:28 ، 1884.

.42 Feraud ،(chL) les Mokrani ، seigneur de la Medjana ، in RSADC.1871.

.43 Feraud ،(chL):Histoire des villes de la Province de Constantine ، Sétif ، BBA ،M'sila ،Boussaâda ،in RSADC ،1872

.44 Feraud ،(chl):notice historique sur la Province de Constantine RAF1886

.45 Fontaine ،(D) : Bousaada Porte du désert ، Dervy ، Paris ،1952.

.46 Gaid ،(M) : les Mokrani. Editions Andalouses ، Alger 1993.

.47 Gaid ،(Moudoud): les beni Yella et la vérité historique sur l'insurrection de Mokrani en 1871 ،Alger ، 1952.

.48 Galland (D) : Excursion à Boussada et M'sila ، Paris ،1899.

.49 Gautier ،(EF) :le Passé de l'Afrique du nord ،Paris ، 1937.

.50 Gautier ،(EF):L'islamisation de l'Afrique du Nord ،'les siècles Obscures du Maghreb ،Paris ، 1927.

.51 Gauvion ،(Marthe et Edmond):Kitab Aayane El Marhariba imp Fontaine Frères ،Alger ، 1920.

.52 Grammant ،(H.D):Histoire D'Alger sous la Domination Turque 1515-1830. ed Bouchene-2002.

.53 Grange ،®Monographie de Tobna in RSADC 1901

.54 Gsell(st):Atlas archéologique de l'Algérie ،1902 ،1911.

.55 Guin: notes historique sur les Adaoura ، in RAF ،11873.

.56 Guiraud ،René:Morphogenese quaternaire de la region du hodna(Algerie du nord) ،in Annale de geographie ، anneé 1970 ،volume 79 ،numero433 ،pp367-374.

.57 Hadad (Mostefa):Emergence de l''Algérie Moderne ، imp A.Guerfi Batna ، 2001.

.58 Jean Jacques Perennes:L'eau et les hommes au maghreb ،edition karthala ، Paris ،1993 ،

.59 Jules ،(oget)Une expédition Algérienne ،épisode de L'insurrection de 1864 ،imp-fabiani ، Bastia 1871.

.60 Julien ،(ch ،A):L'insurrection de Kabylie 1870-1871 ،Paris ،1963.

.61 Julien ،(ch.A):Histoire de L'Algérie contemporaine la conquête et les début de la colonisation (1827-1871)PUV ،Paris ، 1964.

.62 Kaddache (M) :L'Algérie durant la Période Othmane OPU ،Alger ،1991

.63 Kaddache (Mahfoud) ،L'Algérie Médiévale ، SNED ، Alger 1980

.64 Maceira ،(Paul):Histoire de M'sila du xxv siècle in Bulletin de la société Historique et géographique de Sétif N°:1941.

.65 Maguellone ،(J): Monographie Géographique et historique de la tribu du Hodna Orientale in RSADC ،1909.

.66 Marcaillai: le département de Sétif et ses environs ، Imp. Baconier ، Alger ، 1960.

.67 Marçais ،(G) :Deux stèles funéraires hamadites du musée st-Gsele ، in BSH.GS.1941.

.68 Marcais ،(G):Les Arabes en Berberie XI-XIV siècle Constantine 1914.

.69 Marcais ،(G);le costume Musulman d'Alger ، collection du centenaire de l'Algérie ،Archéologie et Histoire1830-1930 ،libraire Plan ، Paris ،1930.

.70 Marcel Larnaude:le hodna(compte rendu) ،in Annales de geographie ، anneé 1954 ،volume63 ،numero 335 ،pp62.64

.71 Maurice ،Wahl:l'ALGERIE ،imp Germer Bailliere ،paris ،1882.

.72 Mercier ،(E):Les Arabes d'Afrique jugés Par les auteurs Musulmans ، in RAF N°:17 ،1873.

.73 Mercier ،(E)Histoire de Constantine ، imp. Jérôme Marle et F.Biron ، Constantine ،1903.

.74 Ministere de la GUERRE :TSEF.1940-1941.

.75 Nacib(Y):culture Oasiennes ، Boussaâda ، essai d'histoire sociale Alger ، ENAL ،1986.

.76 Nouché "(André): Enquête sur le niveau de vie des Populations rurales constantinois ، de la conqûéte jusqu'à 1919 ،Paris ،1961.

.77 Octave ،Teissier:ALGERIE ،librairie Hachette ،paris ،1865.

.78 Payen:colonisation du Hodna ، in RSADC1893.

.79 Payen:notice sur les travaux hydroliques anciens du Hodna in RSDAC ، 19090.

.80 Pelissiers:Annales Algérienne vol-1Auselin et Gautier Laguione;Alger ، 1836.

.81 Pelut:notice historique sur la commune mixte de M'sila 1895.

.82 Perevot:Administration des communes mixtes en Algérie Adolph jourdane ، alger1884 .

.83 Perevot:les Pouvoirs des Administrateurs des communes mixtes en Algérie ، 1890.

.84 Peyronnet©:livre d'or des officiers des officiers indigènes (1830-1930) imp. P Guia nchain;Alger ،1931.

.85 Probst-Biraben: les rites d'obtention de la pluie dans la province de constantine ،journal de la societe des africaniste ،anneé 1932 ،volume 2 ، numero1 ،pp950102.

.86 Poulle:Ruine de Bechilga (Zabi)in RAF.1861.

.87 Paul Eudel.: D'Alger à Bou-Saada. Illustrations de H. Eudel -A. Challamel (Paris)-1904.

.88 Receuil officiel des Actes de la Préfecture de Constantine 1915.

.89 René Emsalem:Marcel Larnaue ،Algerie(compte rendu) Revue de geographie de lyon ،anneé 1952 ،volume 27 ،numero1 ،pp 85.87.

.90 Rinn ،L:Marabout et Khouar: étude sur L'islam en Algérie A; Jourdar;Alger ،1884.

.91 Rinn ،L:Nos Frontières Saharienne in RAF1886.

.92 Rinn:Deux chansons Kayles sur L'insurrection de 1871 in RSADC1887.

.93 Rinn;L:Histoire de L'insurrection de 1871 Alger 1891

.94 Robert ،A:La castella de la Plaine de Sétif in RAF 1971.

.95 Robin ،N:Expédition du général Blangini en Kabylie ، in RA 1885.

.96 Robin ،N:notes sur Yahia agha in RAF N° 18-1874.

.97 Ronna ،a:arrosées ، l'économie des irrigations ، histoire ، législation et administration. -Firmin-Didot (Paris)-1888-1890.

.98 Savornin ،J :Etudes Géologique du Région du Hodna et Plateaux Sétifien ، Alger ،1920.

.99 Savornin ،J:L'hydrologie du Hodna ، Bulletin service de la carte géologique de l'Algérie ، Adolph Ejourdon Alger-1908.

.100 Shaw ،D:voyages de M'show dans plusieurs Province de la barbarie d'Alger et de Tunis ،A de la hate Jean ، Neouline.

.101 Uvcapitaine ،(B):les Fondateurs de Boussaâda ،in RAF ،1861.

.102 Vayssette ، E! Histoire des derniers Beys de Constantine in RA 1861.

.103 Vayssette ، E;De Boussaâda par M'sila ،BBA ،Barika et Tobna ، in RA ، 1861.

.104 Vayssettes ، E; Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 a 1837 ،Paris édition bon chérie 2002.

.105 Vidalle de la blanche: L'irrigation ،d'apres Mr jean brunhes:etude de geographie humaine ،l'irrigation ،ses conditions geographique ،ses modes et son organisation;in Annales dec geographie ،anneé1902 ،volume 11 ،numero 60 ،pp 457.460.

.106 Ville ،J: voyage d'exploration dans le Bassin du Hodna et du Sahara ، Alger ،1873.

.107 Xavier (De Plantiol) les Fondement géographique de l'histoire de l'islam ، Paris ،1960.

.108 Xavier Yacono:Les prisoniers de la smala d'abdelkader ،revue de l'occident musulman et de la mediteranné ،anneé 1973 ،volume 15 ،numero 1 ،pp 415.434.

ثالثا : المؤلفات بالغة العربية (كتب ومقالات):

1. أحمد دوغان، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، الجزائر :المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989.

2. احمد حماني، شهداء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مطبعة الخلدونية، الجزائر..

3. إسماعيل العربي : المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع –الجزائر .

4. ابن خلدون (عبد الرحمن): تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 2003 م 1424هـ.

5. –ابن قينة، عمر : الديسي حياته واثاره وادبه الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977.

6. ابراهيم مياسي:، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1834–1837 دار هومة، الجزائر، 2005.

7. –أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر طبعة دار المعارف القاهرة –1963 .

9. ابن شعيب (محمد بن علي): أم الحواضر في الماضي والحاضر، تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث قسنطينة 1980.

10. ابن ميمون محمد الجزائري : التحفة المرضية في الدولة البكداتية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1951.
11. بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، 1997.
12. التميمي عبد الجليل: أول رسالة الأهالي الجزائر السلطان سليم الأول ن المجلة التاريخية المغربية وعدد 6، جويلية 1976 تونس .
13. . الجيلالي محمد بن عبد الرحمن :تارخ الجزائر العام، ج4، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 .
14. جوليان شارل اندي:تاريخ إفريقيا الشمالية، / تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، ج2، الدار التونيسية للنشر تونس 1978.
15. الحفناوي (ابو القاسم): تعريف الخلف برجال السلف، موفم للنشر الجزائر 1991.
16. حليمي عبد القادر: مدينة الجزائر، نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي الجزائر، 1972.
17. حمدان خوجة: المراة، تعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1982.
18. خير الدين، :مذكرات خير الدين :الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
19. 1-دبوز، محمد علي : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 2 ط 1، المطبعة التعاونية، سوريا، 1965.
20. الزبيري محمد العربي :مذكرات احمد باي وحمدان خوجة بوضربة الشركة، الوطنية للنشر والتوزيع، ط2الجزائر 1981.
21. عبد الغني خطاب : مناقب الشيخ محمد بن عبد الله الديلمي، طباعة دار تلمسان –ابن خلدون 1372 هـ الموافق لـ 1953 .

22. عبد الرحمن بن العقون : الكفاح القومي والسياسي. ج 1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
23. عبد الله ركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري الحديث، تونس، ليبيا : الدار! العربية للكتاب، 1977م.
24. :العارم عزاني، موسى الاحمدي نويوات، حياته واثاره، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1998.
25. علي بوديلمي : أماطة اللثام، المطبعة العليوية – مستغانم 1939 .
26. سعد الله أبو القاسم:أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986.
27. سعد الله، ابو القاسم :محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث(بداية الاحتلال) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1982.
28. سعد الله، ا، 'مؤلفات ألمشرفي المعاصر للأمير عبد القادر' مجلة الثقافة'عدد75 السنة 13 الجزائر جوان 1983.
29. –سعد الله، ا، –تاريخ الجزائر الثقافي – ج3–دار الغرب الاسلامي، المجلد الرابع، الطبعة الثانية بيروت 2005 .
30. سعيدوني ناصر الدين: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984.
31. –السعيد وحماني:الشيخ موسى الاحمدي نويوات، حياته واثاره الفقهيةو الادبية، نشرةالدراسات الاسلامية، الجزائر، المجلد الثالث، العدد السادس، 2004–.
32. الشنيتي محمد البشير :تاريخ الجزائر في الاحتلال الروماني ن ج1.المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1981.
33. العنتري محمد الصالح : تاريخ قسنطينة : مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، ديوان م .ج الجزائر 1991.
34. فركوس صالح : المكاتب العربية، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر (1844–1871) جامعة ffمنتوري قسنطينة ج1.

35. فيليب لوكا، جون كلود فانان: جزائر الأثير وبولوجين نقد السوسيولوجيا الكولونيالية منشورات الذكرى 40 للاستقلال 2002 .
36. محمد الشريف ساحلي : تخليص التاريخ من الاستعمار وترجمة محمد هناء محمد الشريف بن والي حسين، منشورات الذكرى 40 للاستقلال 2002.
37. محمد الحسن فضلاء : من أعلام الاصلاح في الجزائر –الجزء الثالث – مطبعة دار هومة .الجزائر.
38. . ابن عبد الحكم الجيلالي : .المراة الجلية المطبعة الخلدونية، تلمسان 1953.
39. –ابن أبي شعيب سعد الدين : نبذة عن بعض المؤرخين العرب المحدثين بالجزائر، المجلة الافريقية، سنة 1956.
40. المدني أحمد توفيق حياة كفاح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.
41. مسلم بن عبد القادر الجزائري الو هراني: خاتمة أنيس الغريب والمسافر تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1974.
42. الميلي (محمد مبارك): تاريخ الجزائر في القديم والحديث المؤسسة للكتاب، الجزائر 1981.
43. –الشيخ الطيب بن المختار الغريسي المختاري'القول الأعم في بيان انساب قبائل الحشم ' المطبعة الخلدونية الطبعة الأولى تلمسان ب ت ص ص 330.351' كذلك الهاشمي بن بكار: كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والادب، مطبعة ابن خلدون ، تلمسان، 1961
44. نجيب بن خيرة : مقتطفات من سيرة الأحمدي، جريدة النصر، 20ماي 1998م 1.
45. نويهض عادل:معجم أعلام الجزائر ن مؤسسة نويهض الثقافية ط2، بيروت، 1980.
46. الورتلاني (الحسين بن محمد):نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار تحقيق محمد بن ابي شنيب، مطبعة بيروفونتانا الشرقية الجزائر 1908.

47. الوزان محمد الفاسي:كتاب وصف إفريقيا، تحقيق محمد صبحي ومحمد الاخضري الرباط 1982.
48. يحي بوعزيز : ثورات الجزائر في القرنين 19-20، ط1 دار البعث قسنطينة 1980.
49. يحي بوعزيز: ثورة 1871 ودور عائلتي المقراني والحداد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978.
50. يحي بوعزيز: كفاح الجزائر خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب ن الجزائر 1986.
51. يحي بوعزيز:مظاهر المقاومة وروادها في الشرق القسنطيني ضد الاستعمار الفرنسي في القرن 19 الأصالة ع 79 الجزائر 1980 .

الفهرس

الوجود الروماني بالمسيلة القديمة:	40
الوضعية السياسية والإدارية لمنطقة المسيلة خلال الاحتلال الروماني:	42
المخطط العمراني لمدينة زابيzabi الرومانية:	45
العهد الروماني ومنجزاته العمرانية :	50
التواجد الروماني باقليم المسيلة	52
منطقة المسيلة خلال الاحتلال البيزنطي	66
الوضع الاقتصادي لمنطقة المسيلة فترة الاحتلال الروماني	78
الوضعية الدينية	81
تطور مدينة المسيلة بعد الفتح الإسلامي	82
المسيلة خلال الفترة الاغلبية:	87
المسيلة خلال الفترة الفاطمية	92-
اعادة بعث مدينة المسيلة كحاضرة إسلامية كبرى بناء مدينة المحمدية الفاطمية وعلاقتها بالمسيلة	94
تأسيس المحمدية او المسيلة الجديدة:	94
دوافع بناء المسيلة الجديدة:	97
التطور العمراني لمدينة المسيلة خلال الفترة الفاطمية:	102

ثورة ابي يزيد صاحب الحمار بالمسيلة	
المسيلة في عهد الزيرين والحماديين	
ركيبة الاجتماعية لسكان المسيلة في الفترة الوسيطة	
التنوع المذهبي لسكان المسيلة في الفترة الوسيطة	